

جامعة الأزهر

مجلة

كلية اللغة العربية

بايتاى البارود

العدد العاشر

١٤١٤ - ١٩٩٣

مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة كلية

اللغة العربية بايتاى البارود جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والنقد

مشروع إعداد نسخة إلكترونية للمجلة كلية

اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والتقد

جامعة الأزهر

مجلة

كلية اللغة العربية

إيتاي البارود

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود علي السمان

عميد الكلية

العدد العاشر

١٤١٤ - ١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

يطلع علينا هذا العدد الجديد من مجلة كلية اللغة العربية
بالبحيرة - إيتاي البارود - والحياة العلمية في جامعة
الأزهر الشريف يدب فيها نشاط كبير واسع ، فقد امتدت
جامعة الأزهر بكلياتها الخمسين من أقصى البلاد الى أقصاها
شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا ، في مصر الكنانة وما ذاك إلا
للتفاعل الخصب بين الجامعة وغامة الشعب وخاصة
المستولين ، كما هو بين الأزهر كله والعالمين العربي
والإسلامي والتفاعل بين الجامعة والشعب والمستولين
جعل التنافس في إنشاء كليات جديدة للجامعة يتخرج
فيها أبناء الشعب بالكثرة والغزارة الفائقتين أملا يراود منهم
تحقيقه وهدفا يسعى جميعهم إليه .

ولا شك أن دور قيادات الجامعة وعلى رأسهم الأستاذ
الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس الجامعة في اتساع رقعة
الجامعة وانتشار فروعها وكلياتها في كل منحنى من أنحائها

البلاد - دور كبير بل خطير على أن المنشآت الجديدة
للكتليات قد اتسمت بالضخامة والفخامة والاتساع ، مما
يهيئ لطلاب العلم في أزهرنا الجديد تعليما جادا مثمرا
مفيدا للعلم واللغة والدين بإذن الله وعونه

يطالع علينا هذا العدد الجديد من المجلة والجامعة هكذا
في ثوب تشيب من النشاط والحيوية ومجلتنا وهي جزء من
هذا النشاط يبدو فيها حياة علمية خصبة ببحوث جيل
جديد من كوادرها العلمية الجديدة .. من أبنائنا المدرسين
فيها الذين يصعدون في طريق البحث العلمي بما ينشرونه
من هذه البحوث في مصادر النشر العلمية المختلفة .

وقد حفل هذا العدد من المجلة ببعض أشكال التخصصات
العلمية التي تعد الكلية طلابها فيها .. فجاء فيه بحثان
في اللغويات وآخران في التاريخ ، وبحث في الأدب والنقد

أما بحثا اللغويات فأولهما بحث السيد الدكتور
عروض مبروك في موضوع : « نصب الفعل المضارع بعد الواو ،
ويشتمل الأرقام ٣ - ٦٤ من صفحات المجلة ، وهذا البحث

امتداد لبحث سابق للأخ الزميل في موضوع : « نصب المضارع بعد الفاء » نشر في عدد المجلة التاسع لسنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م وقد توصل فيه الباحث - كما تقل ل في ص ٢ - الى نتائج قيمة - فرأى من الواجب عليه أن يبحث في نصب الفعل المضارع بعد الواو لعله يستطيع أن يخدم العربية ثم يقول : « وانه قد رأى في آيات كريمة من القرآن الكريم غير ما رأى علماء النحو السابقون » .

ماذا رأى فضيلته ؟ .. ذلك ما يكشف عنه البحث

وثانى الباحثين اللغويين - بحث السيد الدكتور وجيه عبد العزيز زيادة ، في موضوع : « تاء التانيث : خصائصها وأغراضها » ويشغل من العدد الصفحات من ١٦١ - ٢١١ .

وقد خص الباحث في بحثه تاء التانيث من بين العلامات التي وصفت للفرق بين المؤنث والمذكر ، لكونها دون غيرها من العلامات « أكثر وأظهر دلالة من غيرها » كما أنها - الى جانب ذلك - تحمل العديد من المعاني والأغراض ، كالفرق بين

الواحد والحين ، والمبالغة ، وتأکید المبالغة وغير ذلك مما
يتضح في البحث .

وأما البحثان في التاريخ فأولهما بحث السيد الدكتور
أحمد محمد الحسوقي في موضوع : « شعر ملطية ، ودوره في
الجهاد ضد البيزنطيين » ، وقد ورد في صفحات هذا العدد
من المجلة ما بين صفحتي ٦٥ ، ١٦٠ .

وفي البحث كما يقول السيد الباحث عرض الجهاد
وشعب ملطية وصفحة من تاريخ أمتنا الإسلامية كسماها
الإشراق والفخار في معظم سطورها . . . »

وثاني الباحثين في التاريخ - بحث السيد الدكتور
أنس هارون عبد المجيد ، في موضوع : « مواقف الشعوب
إزاء صراع الخارجين مع الدولة » ، وقد جاء البحث فيها
بين الصفحتين ٢٢٥ ، ٤٠٠ .

وقد بنى الباحث مناقشته لمواقف الشعوب على أسس
محاور رئيسية أربعة هي : المحور العقائدي ، والمحور
العسكري ، والمحور الاجتماعي ، والمحور المكاني أو الجغرافي .

وأما بحث الأدب والنقد وهو للأخ الدكتور عبد الكريم أحمد فراج في موضوع : « خطبة الوداع من منظور عام للخطبة الجاهلية والإسلامية ويشمل من المجلة الصفحات ما بين رقم ٢٠٣ ، ٣٢٤ » .

وقد ربط الباحث فيه بين الخطبة الجاهلية والخطبة الإسلامية ، وأبان عن عمومية القواعد والقيم التي ذكرها الرسول صلوات الله وسلامه في خطبته وشمولها ، بحيث أصبحت خطبة الوداع دليل عمل ، وإعلانا عالميا لحقوق الإنسان وواجباته في كل زمان ومكان .

وبهذا يتم عقد المجلة الفريد بحبات بحبوته العلمية الثمينة .

والله من وراء القصد ، وهو نعم المولى ونعم النصير

د . محمود السمان

عميد الكلية

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية في إيتاي البارود

نصب الفعل المضارع بعد الواو

إعداد
الدكتور
عوض مبروك عبد العزيز شحاته
المدرس بقسم اللغويات
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد :

فقد كنت كتبت بحثاً في : « نصب الفعل المضارع بعد الفاء » ، نشر في المجلة العلمية لكلية اللغة العربية في إبيد ببارود ، في عددها التاسع لسنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، وقد توصلت فيه بحمد الله إلى نتائج قيمة ، فرايت من الواجب علي أن أبحث في : « نصب الفعل المضارع بعد الواو » ، لعني أستطيع أن أخدم العربية ، وأن أقدم للقارئ الكريم ما يثري صدره ، ويسر خاطره . فجمعت ما استنطعت من كتب في النحو والشعر - على بعد الديار وشط المزار وقلعة المراجع - وبدأت بقراءة القرآن الكريم ، فوجدت فيه آيات كريمة رأيت فيها غير ما رأى علماء النحو السابقون . ولا عجب ، فالفكر ليس مقصوراً على أحد ، والعلم ليس وليد زمن ، وليس من الواجب علينا أن نأخذ كلام السابقين على أنه قطعي ، لا يجوز مناقشته ، أو إعمال الفكر فيه ، وإنما علينا أن نجعل للعقل مجالاً فيما نقرأ أو نسمع ، فإذا توصلنا إلى ما يتفق ولسان العرب - دون إخلال أو إفساد بما اصطلح عليه العلماء من قواعد لأربية - ويكون مؤيداً بقوة الحجة ، وصدق الدليل ، فعلينا أن نقبله ، وأن نتمسك به ، وأو كان مذهباً لما عليه الأقدمون والمحدثون .

وهأنذا أبدا بعون الله - سبحانه وتعالى - فاقول :

نصب الفعل المضارع بعد الواو

ينصب الفعل المضارع بعد الواو في أربع حالات :

الأولى . إذا كانت الواو عاطفة للفعل المضارع الواسع
بعده على فعل مضارع سابق منصوب * .

وذتعيث الواو تلطف فيما يأتي :

أولا : إذا كان الفعل المعطوف عليه واقعا بعد إيجاب غير
شرط، وغير مشتمل على اسم لا يحتمل التأويل بالفعل، وأعني
بلا إيجابها ليس نفيا أو طلبا * . ومثال ذلك قوله تعالى :
(وكنك جعلناكم مة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا) (١) ، فالواو في (ويكون) عطفت لفعل
(يكون) على الفعل المضارع المنصوب (تكونوا) * وذلك لأن
المعية لا تقتضي في الخبر ، وإنما يجب أن يسبقها نفى أو طلب
وأعني بالطلب الأمر والنهي والاستفهام والتمنى كما سيأتي
قال سيبويه : « أعلم أن الواو ينتصب ما بعدها في غير الواجب
من حيث انتصب ما بعد الفاء » (٢) * أه وقال : « وأعلم أن
الفاء لا تضم فيها «أن» في الواجب » (٣) * أه ومثل سغير

(١) البقرة ١٤٣ *

(٢) ٣ : ٤٦ *

(٣) ٢ : ٣٨ *

الواجب بـ الأمر والنهي والاستفهام والتمني والعرض والنفى (٢)

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم) (٥) . فانفعل . (يتوب) معطوف وجوبا ، والواو متمخضة نعطف ، ومعطوف عليه هو الفعل المضارع المصوب بعد لام التعليل (يبين) ، وليس (يهدي) لأن العطف بالواو يكون على المعطوف عليه الأول ، أما العطف بالإنشاء أو ثم فانه يكون على السابق مباشرة . فإذا قلت : جاء محمد وعلي وخالد وإبراهيم ، كان خالد معطوفا على محمد ، وليس على «علي» ، وكان «إبراهيم» أيضا معطوفا على «محمد» وليس على «خالد» ولا على «علي» ، لأن الواو نفيدة مطلق الجمع ، ولا نفيدة الترتيب ، فيجوز أن يكون «إبراهيم» قد جاء قبل «محمد» أو قبل «علي» أو قبل «خالد» ، أو جاء بعدهم أو جاء مصاحبا لهم ، لأن الواو نعطف السابق على اللاحق ، كما نعطف اللاحق على السابق ، وكذلك نعطف المصاحب .

أما لو قلت : جاء محمد فعلى فحالد فإبراهيم ، كن «حادث» معطوفا على «علي» ، و «إبراهيم» معطوفا على «حالد» ، لأن الإنشاء تفيد الترتيب .

وكذلك إذا قلت : يأكل محمد ويشرب ويقرأ ويلعب ، وجب أن يكون كل من الأفعال الثلاثة : «يشرب» و «يقرأ» و «يلعب» معطوفا على الفعل «يأكل» . أما إذا قلت : يأكل محمد فيشرب

(٤) مثل الأمر في ٢ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٠ ، والنهي في ٢ : ٢٤ ، وينفي في ٣ : ٢٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٠ ، والتمني في ٣ : ٢٣ والاستفهام عن النفي في ٣ : ٢٥ ، ٤٤ ، والعرض في ٢ : ٢٤ .
(٥) النساء ٢٦ .

فيقرأ ثم يلعب ، وجب أن يكون الفعل «يشرب» معطوفاً على «يأكل» ، و «يقراء» معطوفاً على «يشرب» ، و «يلعب» معطوفاً على «يقراء» ، لأن في المقال ترتيباً بين الأفعال .

وفي قوله تعالى : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم سيعاً ويفيق بعضكم بأس بعض) (٦) الفعل «يفيق» معطوفاً وجوباً على «يلبس» ، ولا يجوز أن يكون معطوفاً على «يبعث» ، لأن «و» لاجتماع الشئتين أو الأشياء ، فاعطف بالواو بعدها يكون على المعطوف بها الواقع بعدها ، ولا يجوز أن يكون على المعطوف عليه الواقع قبلها .

كما لا يجوز أن تكون الواو لامعية ، لأن الأمر «قل» منصوب على المفعول ، والواو مع الفعل الذي بعدها جزء منه . أما في واو المعية فالأمر أو النهي أو الاستفهام يكون منصوباً على المعية . فإذا قلت : لا تضرب زيدا وننعم ، بنصب «ننعم» كان النهي عنه الجمع بين الضرب و لننعم ، وكذلك إذا قلت : كل الطعام وأشكرك ، بنصب «أشكر» كان الأمر منصوباً على الجمع بين الأكل والشكر ، كأنك قلت : اجمع بين أكلك الطعام وشكرك .

وإنما قلنا بعد إيجاب غير شرط ، لأن الواو التي نصب المضارع بعدها في الإيجاب ، إن كانت بعد شرط - سواء وقعت بعد فعل الشرط ، أم بعد فعل الشرط وفعل الجزاء - لم تكن عاطفة للمفعول المنصوب الواقع بعدها : لأن الفعل المساند عليه - وهو الشرط أو الجزاء - مجزوم . وإنما هي عاطفة

للمصدر الواقع بعدها ، لأنها واو اشعية • ولو كنت عاطفة
للفعل الواقع بعدها - وهذا جائز - لكان مجزئاً - فالواو
الواقعة بعد فعل الشرط مثل : إن تجتهد وتنجح أكافئك -
بنصب تنجح - ، والتي بعد فعل الشرط وأجزاء مثل : إن
تجتهد تنجح وأفرح بك - بنصب « أفرح » • كذلك مثل : إن
يجتمع اجتهادك ونجاحك أكافئك ، وإن تجتهد يجتمع نجاحك
وأفرح بك •

وإنما قلنا في الإيجاب الذي يسبق الواو التي نصب
المضارع بعدها - ألا يكون مشتقاً على اسم خالص من التأويل
بالفعل ، لأنها لو سبقت باسم لا يحتل التأويل بالفعل لكان
المضارع الواقع بعدها منصوب بأن مضمرة جوازا بعد الواو ،
وكانت الواو عاطفة للمصدر المؤول على المصدر المذكور ، مثل :
لولا محمد ويحسن إليك لهلك • فالواو عاطفة ، والمضارع
بعدها منصوب بأن مضمرة جوازا ، والمصدر المؤول معطوف
على الاسم الجامد السابق • وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن
شاء الله •

وانظر الآيات : المائدة ١١٣ ، والأنفال ٧ ، ٨ ، ١١ ، ٣٧ ،
وماطر ٣٠ ، ويس ٧٠ ، والزمر ٣٥ ، والشورى ٧ ، والزخرف
١٣ ، والفتح ٢٠ ، والحاقة ١٢ •

ومثال ذلك من الشعر قول عمر بن أبي ربيعة . (٧)

فعليه الآن أن ينصفنا ★ وسجد اليوم ما كان صرم (٨)

(٧) ديوانه ص ٢٨٧ •

(٨) يجد : يجعله جديداً ، صرم : قطع •

فألواو عاطفة وجوبا ، والفعل المضارع «يجد» معطوف
على «ينصف» منصوب مثله ، والعامل فيهما «ان» ، ولا يجوز
أن تكون الواو للمعية لأنها مسبوقة بالإيجاب .

ثانيا : إذا وقعت الواو بعد فعل مضارع منصوب مسبق
بما يفيد الإيجاب بعد نفي أو طلب . وما يفيد الإيجاب بعد
النفي أو الطلب أربعة حروف هي : حتى ، وإلا ، ولام التعليل ،
وفاء السببية . فمثال حتى قول الشاعر (٩) .

فلا وجد حتى تنزف العين ماءها
وتعبرند الأحشاء بالعقسان

فقد نصب الفعل المضارع «تعترف» بعد واو مسبوقة بفعل
مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى . المسبوقة بالنفي فوجب
أن تكون هذه الواو عاطفة للفعل «تعترف» على الفعل «عبرند» ،
ولا يجوز أن تكون للمعية ، لأن حتى توجب ما بعدها ، فهي حرف
غاية وجر ، وما بعدها خارج عن النفي الواقع فتأخرها ، فالفعل
تدزف لا يصل إليه النفي المسبق لأن حتى غاية لهذا النفي وهو
المعية التي ينصب المضارع بعدها . يستدعي أن يكون الفعل
السابق عليها مساطبا عليه النفي أو الطلب في اللفظ ، فإذا
قلت : لا ينجح ابنى وأتضب عليه ، كان النفي داخلا على الفعل
السابق على الواو في اللفظ ، وإن كان في المعنى داخلا على الجمع
بين الفعلين ، أي مضافة لفعل «أتضب» للفعل «ينجح» ، لأن
المعنى : لا يجتمع هذان الفعلان في وقت واحد ، فقد يكون نجاح

(٩) هو مسلم بن الوليد . ح الحاشية للتبريزي ٣ : ٥ .

ولا غضب ، وقد يكون غضب ولا نجاح ، أما أن يجتمع الأمران
فى وقت واحد فلا .

أما سى البيت فإننا نجد الفعل «تتخرف» مثبتا ، لان حتى
غاية للنفى السابق عليها ، فالفعل بعدها مثبت ، ولذلك لا يجوز
أن تكون الواو فى قوله «تتخرف» واو المعية ، وإنما يجب أن
تكون عاطفة للفعل اللاحق بعدها «تتخرف» على الفعل «تتخرف»
ويكون الفعل المعطوف منصوبا بأن المضمة بعد «حتى» الفاصلة
للفعل المعطوف عليه .

ومن ذلك قول جرير (١٠) .

بنى منقذ لاصلح حتى تصيبكم
من الحرب صمءا القنساء زبون

وحتى تذوقوا كدس من كان قبلكم
ويزرق منكم فى الجبال قرين

وحتى تضم الحرب معكم عطاردا
ويبرأ تخليج به وجنون (١١)

فالفعل «بذرى» معطوف على «تذوقوا» ، و «يبرأ» معطوف

(١٠) ديوانه ص ٤٨٧ .

(١١) هذه الأبيات من قصيدة يهجو بها المرار بن منقذ البرمجي
صمء القنساء الصلة ، والقناة : الرمح ، والزين : الدفع ، وقناة زبون .
تذوق الباس وتصدمهم ، يزرق : يسلمح ، قرين : مقارن أى المكاهىء فى
الشجاعة ، تخليج : الخليج - بفتح ، لقاء والعين - أن يشتمكى الرجل عظامه
من سمل أو من طول مشى ، وتخليج الفلوج فى مشيته ، أى تفكك وتمايل .

على « تضم » وهذا العطف واجب ، لان الاول من الفعلين -
المعطوف عليه - واقع بعد حتى .

وكذلك اذا كان الفعل الواقع بعد حتى منفيًا، مثل قوله تعالى :
(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) (١٢) فالو
في « يكرن » عاطفه ، ولا يجوز أن تكون للمعية ، لان النفي الواقع
بعد حتى منسوب إلى الفعل الواقع بعده ، لا على معينه لكون
الدين لله ، لانه غاية الامر « قاتلوهم » ، والمعنى : قاتلوهم الى
عدم وجود الفتنة ويكون الدين لله ، أى الى ان تنقطع الفتنة
ويكون الدين لله .

ولو كانت الواو للمعية لكان النفي الواقع بعد حتى منسوبًا
على المعية ، لا على وجود الفتنة ، فيفسد المعنى ، اذ يكون معنى
الاية : قاتلوهم الى ان لا يجتمع هذان الامران ، وجود الفتنة
وكون الدين لله ، وهو فاسد ، لان ثبوت الدين لا يجتمع مع وجود
الفتنة بحال .

هذا اذا كانت « حتى » حرف غاية وجر بمعنى الى ، وكذلك
اذا جعلتها للتعاطيل - وهو جائز في الاية - كانت عاطفة أيضًا ،
وكان المعنى : قاتلوهم لنفي الفتنة وليكون الدين لله .

فان قلت : كيف تكون الواو عاطفة ؟ مع أنها لو كانت كذلك
لفسد المعنى ، لانه يؤدي الى نفي الفعل الواقع بعدها ، اذ انه

بـ. ذكرن مخفياً عطفاً على المنفى ، ويكون المعنى : قاتلوهم حتى
لا تكون فتنة ، وحتى لا يكون الدين لله ، وهو فاسد .

واسجواب أن المعطوف فعل مثبت ، والمعطوف عليه فعل منفي ،
وعطف ، المثبت على المنفي جائز ، لأن العطف حينئذ يكون على
النفي والمنفي معاً ، فالفعل « يكون » في الآية معطوف على
مجموع « لا تكون » من المنفي والنسافي معاً . وذلك جائز
دلائل :

الأول : أن العامل في المعطوف « أن » المضمرة ، واجماع
العلماء على أنها مضمرة بعد حتى ، لا بعد حرف المنفي ، فما
بعد الواو ليس دخلاً في المنفي السابق ، لأن العامل فيه هو « ن »
المضمرة بعد حتى ، والمعنى : قاتلوهم حتى لا تكون فتنة وحتى
يكون الدين لله .

الثاني : أن عطف الفعل المثبت في اللفظ والمعنى على السحب
للمنفي مع النافي هو من كلام العرب ، وقد سمع كثيراً من ذلك
قول طرفة (١٣) :

لنا هضبة لا ينزل الذل ونسطها
ويأوى إليها المستجير فيعضها

فالفعل « يأوى » وهو مثبت في اللفظ والمعنى ، معطوف على
« ينزل » وهو منفي في اللفظ والمعنى ، لأن العطف على النافي
والمنفي معاً ، ولا يجوز أن يكون معطوفاً على الفعل بدون حرف

النفى ، والا كان المعطوف منقيا مثله ، فيكون التقدير : لا ينزل
الذل وسطها ولا يأوى اليها المستجير .

ومن ذلك أيضا قول عمر بن أبي ربيعة (١٤) .

لذلك أدنى دون خيلى مكانه
وأوصى به ألا يهان ويكرما (١٥)

فالفعل «يكرم» مثبت فى اللفظ والمعنى ، مع عطفه شئ
الفعل «يهان» المنفى ، وذلك لعطفه على «النفى» وإضافى معناه .
والمعنى : أوصى به ألا يهان وأن يكرما .

ومثال «إلا» قول الأعشى (١٦) :

أرانى وعمرا بيننا دق منشم
فلم يبق إلا أن أجن ويكلبا (١٧)

فالواو فى «ويكلب» عاطفة ، لان الفعلين وقعا بعد ما يفيد

(١٤) ديوانه ص ٣٤١ ، والأغانى ١ : ٧٠

(١٥) فى السيوان (رباطه) مكان (مكانه) .

(١٦) ديوانه ص ٩ .

(١٧) عمرا : هو عمرو بن المنذر بن عبيان . فى مصباح الجوهري
(نشم) : «نشم القوم فى الأمر اذا أخذوا فيه ، ولا يكون إلا فى الشر ...»
والنشم - بالتحريك - شجر تتخذ منه القسي ، ومنشم : اسم امرأة كانت بمكة
عطارة ، وكانت خزاعة وجرحهم اذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها ، وكان
إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم ، فكان يقال : أشام من عطر منشم .
أجن : أصاب بالجنون ، أكلب : أصاب بداء الكلب ، والكلب - بالتحريك -
داء يشبه الجنون يصيب الكلاب .

الايجاب ، وهو «إلا» ، إذ ما بعدها خارج عن سياق النفسى السابق .

ومثله قول مسلم بن الوليد : (١٨)

هل للعيش إلا أن تروح مع الصبا
وتصحى صريع الكس والاعين النجل (١٩)

فالتفعل «تصحى» منصوب وجوبا بأن الواقعة بعد إلا ، إذ هو معطوف وجوبا على «تروح» ، ولا يجوز أن يكون منصوبا بأن مضمرة بعد الواو ، لأن هذه الواو لا تصاح للمعية لوقوعها بعد الإيجاب، لأن «إلا» توجب ما بعدها، وتخرجه عن نطاق الاستفهام السابق .

ومثال لام التعادل قول جرير (٢٠) .

يا عبد ببيعة ما ذيرك محلبا
لتصي بعة مجرب وتلما (٢١)

(١٨) شرح ديوان الحماسة لتبريزي ٣ : ٥

(١٩) النجل جمع نجلام : وهي واسعتشق العين .

(٢٠) ديوانه ص ٤٤٤ .

(٢١) بيعة : اسم رجل ، وهو بيعة بن قرط بن سفيان بن مجاشع .
عذورك من فلان : الذى يلومه من أجلك ، محلبا : فاصرا ، العر : الجرب ،
والعر : بضم العين : فروج مثل الأقوياء تخرج بمشافر الأبل وقوائمها متفرقة
يسيل منها ماء أصفر ، فتكرى الصحاح لثلا تعديها المراض ، مجرب : من
اجرب الرجل إذا جربت أبله .

فانفعل «تلام» معطوف على «تصيب» ، لان الفعلين خرجا بلام التعاميل من سياق النفي السابق ومثل فاء السببية قوله تعالى : (ولا تنذروا أيهاكم دخلا ببنكم فتزل منهم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء) (٢٢) فتذوقوا معطوف بالواو على «تزل» لان ما به فاء السببية خارج عن سياق النفي السابق .

قد يقول القارئ الكريم : اننا نعلم أن المضارع المنصوب بعد فاء السببية جواب الطلب السابق . على هذا دأب النحاة وجواب الطلب غير موجب . فكيف تقول : ان ما بعد الفاء خارج عن سياق النفي السابق ؟

ورسل . ان المضارع المنصوب بعد فاء السببية انصبوفه بفروع مثل أنواع الطلب ، أو بالنفي ليس جواباً ، ولكنه في الحقيقة السبب الحامل على الطلب أو النفي . فإذا قلت : لستم زيدا فنحنم - بنصب نحنم - كان النعم هو السبب الحامل على النفي عن الشتم . وقد أوضحنا ذلك في بحث لني بعده ان نصب الفعل المضارع بعد الفاء (٢٣) وأقمنا لذلك منه أدلة . منها :

أن فاء السببية حرف ، والاصل في الحرف أن يظهر معه ، فيما بعده ، لا فيما قبله . وكل الحروف جاءت على هذا الأصل . ما عدا فاء السببية ، فقد جاءت في الإيجاب على العكس ، إما في النفي أو الطلب فقد جاءت على الأصل .

(٢٢) التحل ٩٤ .

(٢٣) نشر البحث في ١١ - ١٢ - ١٣ هـ "المجلة اكنية اللغة العربية" في ايتاي البارود العدد التاسع لسنة ١٤١٢ هـ . ١٩٩٣ م .

والسر في مجيئها على العكس في الايجاب انها لا تكون
السببية فيه في الغالب الا في عطف الجمل ، مثل : غضب زيد
فحزن محمد . على أنها لا تكون للسببية دائما في عطف الجمل
فقولك : قام محمد فغضب زيد ، يحتمل ان غضب زيد بسبب عن
قيام محمد ، كما يحتمل أنه مرتب عليه ، فمجيء الفاء للسببية
في الايجاب قليل ، والغالب فيها أن تكون عاطفة ، والمطابقة
مفيدة لترتيب والفرق قريب فريب الشيء من السببية ، وبمعنى
أوضح السببية نوع من الترتيب : لأن الترتيب يكون فيه "ثاني
مرتبا على الاول ، والسببية يكون فيها الثاني مرتبا على الاول
ومسببا عنه - ففاء السببية شبيهة في الايجاب بفاء المعطف ،
ومن ثم حملت عليها ، فكان ما قبلها سببا فيما بعدها ، خلافا
للاصل للفرق بين الايجاب والطلب أو النفي .

ومنها أنه لا يجوز أن تقول : لا تهمل ترسب ، لأن النهي
من الاهمال لا يكون سببا في الرسوب ، و لأن الرسوب لا يصلح
جوابا للنهي من الاهمال ، كما يقول النحاة . فإن أدخلت الفاء
فقلت : لا تهمل فترسب كان حسنا ، لأن المعنى قد تغير ، فصار
الرسوب سببا في النهي عن الإهمال . في سببويه : « لا تنه
من الأسد يأكلك قبيح أن جزمت ، وليس وجه كلام الناس ، لأنك
لا تريد أن تجعل تباعده من الأسد سببا لأكله ، فإن رفعت
فأكلام حسن فإن دخلت الفاء فحسن ، وذلك قولك : لا تنه من
الأسد قياكلك (٢٤) أه .

ومنها : فى مثل : ما جاء زيد فأكرمه ، ولأنكسر ضمير سبب ،
يقول النحاة : المضارع منصوب فى جواب النفى أو النهى ،
وهذا خطأ ، لأن الأكرام لا يكون جواباً لـ « نفى المجىء » ، والرسوب
لا يكون جواباً للنهى عن المكمل . فى سيبويه : « وليس كل
موضع تدخل فيه الفاء يحسن فيه الجزاء ، ألا ترى أنه يقول :
ما أتيتنا فتحدثنا ، والجزاء ههنا محل ، (٢٥) أ هـ .

ومعنى قوله : « ليس كل موضع تدخل فيه الفاء يحسن فيه
الجزاء » : ن فاء السببية تدخل فى موضعين بعد الإيجاب ، وبعد
النفى أو الطلب ، فإن سبقها إيجاب كان ما بعدها جزاء عما
قبلها ، لأنه مسبب عنه ، وإن سبقها طلب ونفى لم يكن ما بعدها
جواباً ولا جزاء ، لأنه صار سبباً . وانظر بقية الأدلة فى البحث
المذكور ص ٢٧٨ - ٢٨٤ .

وأيا ما كان الأمر فإن اطلب أو النفى السابق على فاء
السببية لا يصب تسمى معية ، هى الآية لكرامة النهى منصب
على اقتضاء المخاطبين إيمانهم وحلا بينهم ، وليس على المعية
مدن زل الاقدام وذوفهم لسوء بدب صدعهم عن سبيل التفمدي
وقع الفعلان المنصوبان بعد فاء السببية وكان الثانى منهما
مسبقاً بالواو ، وجب أن تكون هذه الواو عاطفة ، ولا يجوز أن
تكون لـ « معية » .

ومن ذلك قوله تعالى (وأولاً أن تصيبهم مصيبة بما
فعلتم أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك

ونكون من المؤمنين (٢٦) فالواو في « ونكون » عاطفة وجوبا ،
ولا تصلح للمعية لما أسلفنا

ومن ذلك أيضا قول عوف بن الأحوص الكلابي يهجو رجلا
من بني الحارث بن كلب :

فهل لك في بني حجر بن عمرو
فتعلمه وأجهله ولا : (٢٨)

فالواو في « وأجهله » عاطفة وجوبا ، والفعل « أجهل »
معطوف على « تعلم »

وقول جرير (٢٠) يهجو البعيث :

فأين بنو القعقاع عن ذود فرقتي
وعن أصل ذك القن أن يتقسما

(٢٦) لقصص ٤٧ .

(٢٧) شرح المضاعفات لتبريزي . القسم الثاني ص ٦٤٦ . واسم
الشاعر عوف بن ربيعة بن جعفر ، والأحوص لقب أبيه ، وهو شاعر جاهلي ،
شهد يوم شعب جبله . المرجع السابق ص ٦٤٢ .

(٢٨) بنو حجر : من كندة ، وحجر : هو آكل المرار ، جد الشاعر امرئ
القيس ، وكان من ملوك كندة .

(٢٩) ديوانه ص ٤٤٦ .

فتؤخذ من عند البعيت ضريبة
ويترك نساجا بذاريق مسلما (٣٠)

فالفعل « يترك » منصوب بالعطف على « تؤخذ » وليس
الواو للمعية .

وقول مارك بن نويرة (٣١) :

ألم اك سار رابية تطلی ★ فتتقيا أذاى وترهبانى

فأواو فى « وترهبانى » واو العطف ، والفعل بعدما معطوف
على « بنميا » ، منصوب بحذف الدون ، والدون المذكورة من
نون الوقاية الننى تقى الفعل من الكسر المناسب لياء المتكلم ،
لان ياء المتكلم تستدعى كسر ما قبلها ، وهو غير قابل للكسر
لانه اقف ، فوجب اجتلاب نون الوماية ليقع الكسر عليها .

ثالثا : اذ وقع الواو بعد فعل مضارع منهى عنه نهيا
مطلقا فى اللفظ والمعنى ، مثل قوله تعالى :

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون) (٣٢) ،
فألواو فى « وتكتموا » يجب أن تكون عاطفة ، والفعل المضارع

(٣٠) الذود من الأبل ما بين الثالث الى العشرة ، وهى مؤنثة ، فرتنا
مقصود : اسم امرأه ، والعرب تسمى الامة فرتنا ، القرن : العيد اذا ملك هو
وأبراه ، ويستوى فيه الأندلس والجمع والمؤنث ، وربما قاموا عبدا أقدار
الصباح (ذود ، فرتن ، قنن) .

(٣١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢ : ١٤٩ .

(٣٢) البقرة ٤٢ .

بعدها مجزوم بالعطف على «تلبسوا» ولا يجوز أن يكون منصوباً لأن الواو لاتصلح للمعية لما سنبينه بعد .

وقد ذهب النحويون والمفسرون إلى جواز أن تكون الواو في الآية للمعية ، في سيبويه : « وقال تعالى : (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) أن سئلت جعلت (وتكتموا) على النهي ، وإن سئلت جعلته على الواو (٣٣) أ هـ وقال ابن النحاس (٣٤) : « ولا تلبسوا : نهى ، فذلك حذف منه النون وتكتموا عطف على (تلبسوا) (٣٥) ، وإن سئلت كان جواباً لانتهى في موضع نصب على ضمير أن عند البصريين ، والتقدير : لا يكن منكم أن تلبسوا (٣٦) وتكتموا » أ هـ

وقال الزمخشري : « ويجوز في قوله تعالى : (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) أن يكون (تكتموا) منصوباً ومجزوماً . أ هـ

وقال ابن يعيش : « أما قوله تعالى : (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) فيجوز أن يكون (تكتموا) مجزوماً بالعطف على لفظ (لا تلبسوا) فيشاركه في إعرابه ، ويكون النهي عن كل واحد منهما ، وتقديره : ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتموا الحق . ويجوز أن يكون منصوباً ، وحذف النون من

(٣٣) ٢ : ١٤ .

(٣٤) أعراب القرآن ١ : ٢١٩ .

(٣٥) الزمن « عطف على تشبوا » والصواب ما أثبتته .

(٣٦) النص « أن تشبوا » والصواب ما أثبتته .

(٣٧) الفصل بقرح ابن يعيش ٧ : ٢٢ .

(تكتموا) علامة النصب ، ويكون النهى عن الجمع بينهما ، على حد : « لا تأكل السمك ونشرب اللبن » أى لاتجمع بينهما (٢٨) » وقال الطبرى : « قال أبو جعفر : وفى قوله (وتكتموا الحق وجهان من التأويل : أحدهما أن يكون الله جل ثناؤه نهاهم عن أن يكتموا الحق ، كما نهاهم أن يلبسوا الحق بالباطل ، فيكون تأويل ذلك حينئذ ، ولا تلبسوا الحق بالبطل ، ولا تكتموا الحق ويكون قوله (وتكتموا) عند ذلك مجزوما بما جزم به (تلبسوا) عطفا عليه ، والوجه الآخر منهما أن يكون النهى من الله جل ثناؤه لهم عن أن يلبسوا الحق بالباطل ، ويكون قوله (وتكتموا الحق) خبرا منه عنهم بكتمانهم الحق الذى يعامونه ، فيكون قوله (وتكتموا) حينئذ منصوبا لا نصراقة عن معنى قوله (ولاتبسوا الحق بالباطل) إذ كان قوله (ولا تلبسوا) نهيا ، وقوله : (وتكتموا الحق) خبرا معطوفا عليه ، غير جائز أن يعاد عليه ما عمل فى قوله (تلبسوا) من الحرف الجازم وذلك هو المعنى الذى يسميه النحويون صرفا . ونظير ذلك فى المعنى والأعراب قول الشاعر :

لأنه عن خلق وتأتى مثله ★ عار عليك إذا فعلت عظيم

فنصب (تأتى) على التأويل الذى قلنا فى (وتكتموا) الآية ، لأنه لم يرد : لآتفه عن خلق ولا تأت مثله وإنما معناه : لآتفه عن خلق وانت تأتى مثله ، فكان الأول نهيا والثانى خبرا ، فنصب الخبر إذ عطفه على غير شكله . فأما الوجه الأول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتاملهما فهو على مذهب

ابن عباس ٠٠٠٠ وأما الوجه الثاني فهما فهو على مذهب أبي
العالية ، (٣٩) ١ هـ .

وقال الزمخشري . «وتكنموا : جزم دخول تحت حكم النهي ،
بمعنى ولا تكتموا ، أو منصوب بإضمار أن ، والواو بمعنى
الجمع ، أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق ،
كذلك : لا تأكل السمك وتشرب اللبن .

فانتهت : لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى
ينها عن الجمع بينهما ، لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل غدا
كتموا الحق .

قلت : بل هما متميزان ، لان لبس الحق بالباطل ما ذكرناه
هن كتابتهم في التوراة ما ليس منها ، وكتمانهم الحق ان يقولوا
لانجد في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم أو حكم كذا ،
أو يمحوا ذلك أو يكتنبوه على خلاف ما هو عليه . وفي مصحف
بد الله (وتكتمون) بمعنى كاتمين (٤٠) ١ هـ .

وقال الألوسي « وتكتموا الحق : مجزوم بالعطف على
(تأبسوا) فالنهي عن كل واحد من الفعلين ، وجوزوا ان يكون
منصوباً على اضمار أن ٠٠٠٠ والوارد لا يكن منكم لبس الحق
على من سمعه ، وكتمان الحق واخفاؤه على من لم يسمعه .

(٣٩) جامع البيان في تفسير القرآن ١ : ٢٠٢ .

(٤٠) انكشاف ١ : ٦٥ ، ٦٦ .

والقصد أن ينفي عليهم سوء فعلهم الذي هو الجمع بين أمرين
كل منهما مستقل بالقبح ، (٤١) أه .

وأقول كما ست سبابا : يجب في الآية أن يكون الراو
لحظ المعطف ، فلا يجوز أن يكون المعنى ، لأن المعنى الأول
«تلبسوا» منهي عنه نهيا محالما في اللفظ والمعنى ، ما ينهي مذوجه
الده ، لاسيما مع . ووجه ذلك لعرب أن الفعل الأول مع ر و
المعة يكون منهي عنه في اللفظ فقط ، أما في المعنى فإن الذي
يكون منصبا على معية السعدن ، فهو هم . لا تأكل السمك وتشرب
اللبن - بنصب شرب - نفهم منه أن ذلك السمك ليس مشوبا
عنه لافي حال شرب اللبن ، فذلك السمك دون شرب اللبن مباح
له ، وشربه اللبن من غير أكل السمك مباح له ، فكل من الفعلين
يكرر في الآخر مباح ، لأن المعنى منصوب على المعية في المعنى .

فإذا كان الفعل الأول منهي عنه في اللفظ والمعنى لم تصح
الراو للمعنى ، ووجب أن تكون عاطفة . وفي الآية الكريمة نجد
أن بين الحق بالباطل منهي عنه نهيا محققا ، ما ينهي مذوجه
إلى لفظ الفعل وإلى معناه ، كما نجد أن الفعل الثاني «وتلبسوا»
منهي عنه أيضا في اللفظ والمعنى ، ولا يكون ذلك إلا بالمعطف ،
لأن المعطف يفرض أن يسرك المعطوف المعطوف عليه من المعامل
موجب أن تكون الراو عاطفة ، ولا يجوز أن تكون للمعنى .

ومثل الآية الكريمة : «التي توله تعالى : (ولا تأكلوا
أموالكم ببذخكم بالباطل وابدلوا بها إلى الحكام) (٤٢) » .

(٤١) روح المعاني ١ : ٢٢٦ .

(٤٢) البقرة ١٨٨ .

قال ابن النحاس : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا » . طف على (تأكلوا) . وفي قراءة أبي (ولا تدلوا) . ويجوز أن يكون (ولا تدلوا) جواب النهي بالدلوا ، كما قل :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم ، . (٤٣) أم

وقال الطبري : « فأما قوله (وتدلوا بها إلى الحكام) فإن فيه وجهين من الإعراب ، أحدهما أن يكون قوله (وتدلوا) جزما دلنا على قوله (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي ولا تدلوا بها إلى الحكام » .

وقد ذكرت أن ذلك كذلك في قراءة أبي ، بتكرير حرف النهي ، ولا تدلوا بها إلى الحكام ، والآخر منهما النصب على الصرف ، فيكون معناه حينئذ : لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وأنتم تدلون بها إلى الحكام كما قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

يعني : لا تنه عن خلق وأنت تأتي مثله ، وهو أن يكون في موضع جزم على ما ذكر في قراءة أبي أحسن منه أن يكون نصبا ، (٤٤) . أم

(٤٣) اعراب القرآن ١ : ٢٩٠ .
جامع البيان في تفسير القرآن ٢ : ١٠٧ .

وقال الألويسي : « وثقلوا بها إلى الحكام • عطف على
(تأكلوا) فهو منهي عنه مثله مجزوم بما جزم به •

وجوز نصبه بأن مضمرة • ومثل هذا التركيب وإن كان
لأنهى عن الجمع إلا أنه لا ينأى أن يكون كل من الأمرين
منهيا عنه ، (٤٥) • أه

والحق أن النهى عن الجمع ينأى ، ن يكون كل من الأمرين
منهيا عنه ، على هذا جرى لسان العرب ، وهذا مايقهه بين
كلامهم • ومن ثم لايجوز القول بأن الواو فى الايتين الكريمتين
للمعية ، لأنها إن كانت للمعية كن النهى عن الجمع بين الأمرين
وإذا كان النهى منصبا على اجمع بين أمرين فهم منه تباحه
كل منهما على حدة ، كما فى قولهم : لا تأكل السمك وتشرّب
اللبن ، وفى الايتين الكريمتين النهى منصب على الأمرين ،
فهى الأولى : (تلبسوا بالباطل) منهى عنه نهيا مطلقا ،
و (تكتموا) منهى عنه نهيا مطلقا ، وفى الثانية (تأكلوا أموالكم)
منهى عنه نهيا مطلقا ، و (تطلوا) منهى عنه نهيا مطلقا ، لأنه
إدلاء بالباطل ، وهذا ينأى النهى عن المعية • فأو فى الايتين
للعطف ، ولا يجوز أن تكون للمعية •

رابعاً : إذا وقعت الواو بعد فعل مضارع منصوب بأن مسبوق
بعضي ، وبعد الواو فعل مضارع منصوب ، وجب أن نكون الواو
متمحضة للعطف ، والمعنى الواو مع بعدها معطوف على الفعل
السابق ، ولا يجوز أن تكون نافية • نفس قوله تعالى : (فعسى

أن تكررهما شيئاً وبجعل الله فيه خيراً كثيراً (٤٦) ألواو عاطفة
و (يجعل) معطوف على (تكررهما) منصوب مثله بأن الواقعة بعد
عسى، لأن عسى للرجاء، وهو في حكم الواجب عند البصريين (٤٧)
لأنه ليس من أنواع الطيب، إذ ليس فيه طالع ولا مطلوب منه،
إذ هو توقع أمر محبوب، أو شئ في من أمر مكروه . فلو
بعده واقعه في الواجب، فلا تصلح للمعية .

وإذا كان البصريون لم يجيزوا نصب المضارع بعد الفاء
المرتبة بالترجي، وخرجوا ما أدخل به الكوفون على جواز
النصب، (٤٨) فمن باب أولى عدم جواز نصبه بعد الواو .

ومن ذلك قوله تعالى . (قال عسى ربكم أن يهتك تمركم
ويسخفكم في الأرض) (٤٩) فالواو عاطفة، و (يسخف)
معطوف على (يهتك) والعامل فيه أنه الفاعل للمعطوف عليه

(٤٦) الفناء ١٩ .

(٤٧) انظر الص ٢ : ١٢ .

(٤٨) اجاز النحويون نصب المضارع بعد الفاء المسدودة بالترجي .
واستدلوا بقوله تعالى : (لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع) بنصب
(أطلع) في قراءة حفص عن عاصم ، وقرا الباقر وأبو بكر عن عاصم
(فأطلع) معنا (السبعة في القراءات ص ٥٧٠) . كما استدلوا بقوله
تعالى (لعل يركن لو يذكر فتنته الذكرى) بنصب (تنفع) في قراءة عاصم
وحده . أما الباقر فقرأوا (تنفعه) بالرفع (السبعة في القراءات ص ٦٧٢)
وقد خرج البصريون النصب في آية غافر على وقوع الفاء في سياق
الأمر (أن لى) ، وخرجه الزمخشري على تشبيهه لعل بليت . قال في
الكشاف ٤ : ١٦٧ . وقرئ : فأطلع . بالنصب على جواب الترجي . تشبيهاً
للترجي بالتمنى . . اهـ وقال في الكشاف أيضاً ٤ : ٧٠١ . فتنته : بالرفع
خطفاً على (يذكر) وبالنصب جواباً للعل . . اهـ أي لتشبيه الترجي بالتمنى .
(٤٩) الأعراف ١٢٩ .

والرجاء ليس معية الفعلين ، لان الواو لا تصلح للمعية لوقوعها بعد الابدجاب ، ولكنه اكل من الفعلين على حدة ، فالهلاك مرجو ، والاستخلاف مرجو ، دون معية بين الفعلين .

ومثله قول عمر بن ابي ربيعة

وارسالتها لما اجد رحيها
على عجل باد من البين موفد

بأن بت عسى أن يستقر الابل مقعدا
ويغفل عنا ذو الردى المتهدد (٥١)

فالفعل «يغفل» معطوف وجوبا على «يهذر» منصوب بعامله ، وكل منهما وقع عليه الرجاء - أو تعلق به - على حدة .

خامسا : اذا وقعت الواو بعد فعل مضارع مجزوم في جواب الطلاب ، مثل قوله تعالى : (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكفوا) (٥٢) فالفعل المضارع «نكونوا» مجزوم بالعطف على «يخل» ، ولا يجوز ان نكون الواو للمعية .

والسر في عدم صلاحية الواو للمعية هنا أنها سبقت بجواب الامر ، والامر لا يتخطى جوابه الى المعية . بمعنى أنه يجب في

(٥٠) نيرانه ص ٦٠٨ .

(٥١) اد : ظاهر ، الدين العراقي . موفد : مشرف ، المتهدد : المستيقظ .

(٥٢) يوسف ٩ .

واو المعية المسبوقه بالامر الا يكون الامر منمصبلاً عن أحد الفعلين المطلوب المصاحبة بينهما - ماذا قلت : نكرم زيدا وأشكره - ينصب أشكر - كان أحد الفعلين المطلوب الجمع بينهما هو فعل الامر ، ومعنى المثال على ذلك اجمع بين اكرامك زيدا وشكري اباك ولو كان التركيب في غير الايه ، اقبلوا يوسف وتكونوا ، كانت الواو للمعديه ، وكان المعنى : اجمعوا بين منكم يوسف وكونكم قوما صالحين .

ركذلك اذا قلت : لا تضرب زيدا تنعم وينصبك شر ، وجب حزم ينصبك بالعطف على تنعم ، فيكون جوابا مثله ، لانه معطوف على الجواب ، ولا يجوز نصبه على المعية ، لان الواو لانصاح لها ، فهي عاطفة وجواب فمتى كانت الواو واقعة بعد فعل مضارع مجزوم في جواب الطلب كانت عاطفة ، وكان المضارع بعدها مجزوما عطفا على جواب الطلب .

ومن ذلك قوله تعالى : (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وبخففوا مما رزقناهم) (٥٣) ، وقوله تعالى : (قل للمؤمنين بفضلوا من ابصارهم وبحفظوا فروجهم) (٥٤)

قد يقول قائل : اذا كان المضارع بعد الواو المسبوقه بجواب الامر مجزوما فلن تكون الواو للمعديه ، لان واو المعية لا يجزم المضارع بعدها ، فلا فائدة من النص على ذلك هنا

وأقول : ان الغالب فيما نقرؤه اليوم ليس مضبوطا بالشكل ،

(٥٣) ابراهيم ٣١ .

(٥٤) النور ٣٠ .

مما يجعل الحاجة ملحة الى وضع قواعد تثير نقارى، طريفة،
وتعصمه من الزلل ، كى ينسبى له فهم مايقرا ، فيستوعب
المعنى ، لان المعنى على المعية التى ليست صوابا غير المعنى على
المعطف . فلو مرا قارى : عفوا تعف نساؤكم وتصح ابدنكم ،
وخلن ان الواو للمعية لمغير المعنى ، لان المعنى على المعطف حتمى
مما بعد الواو واجب الوقوع مثل عفة نساؤهم اذا وقع الامر ،
اذ هو جواب للامر مثل المعصوف عليه ، وجوب الامر واجب الوقوع
بوقوع الامر ، اذ معناه : اذا عففتكم عفت نساؤكم وصحت
اجسامكم أما على المعية - وهى ليست صوابا - فقد يصح ان
المعنى : اجمعوا بين عمه نساؤكم وصحة أجسامكم ، وهذا
امر ان لا يمكن المصاحبة بينهما لانهما لا يقعان دفعة واحدة وانما
يستغرقان العمر كله ، كما أن عفة النساء ليست فى وسع
المخاطبين . ومن ثم فالواو لا تصلح للمعية . ولذلك فان هذا
التركيب لا معنى له على جعل الواو للمعية . وأكبر شاهد على
ذلك أن العرب لم يتكلموا بمثل ذلك وهم يربدون المعية .

وشئى آخر دعانى الى تقعيد هذه القاعدة ، هو أن سبق
الواو بالامر فى هذه الايات وما يثبتهما قد يوهم بأنها للمعية،
وبخاصة أن المضارع الواقع بعد الواو فى هذه الايات من الافعال
التى تستوى فيها علامة الجزم وعلامة النصب ، وهى الافعال
الخمسة ، ومن ثم وجب النص لئلا يتطرق الى الذهن أن الواو
للمعية ، وأن المضارع بعدها منصوب لا مجزوم ، وهذا خطأ .

فالواجب فى الفعليين المطلوب الجمع بينهما أن يكون الامر
أحدهما ، فان كان غيرهما لم تكن الواو للمعية . ومثل الامر فى
ذاك كل طالب تصالح الواو بعده للمعية ، كالاستفهام والنهي
والتهنى ، فيجب كى تكون الواو بعده صالحة للمعية أن يكون

داخلا على أول الفعلين المطلوب الجمع بينهما ، والا لم تكن الواو للمعية .

ومثل المطلب في ذلك النفي ، فالواو في قوله تعالى :
(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا
وبهم ٠٠٠) (٥٥) لا تصنع لمعية ، وهي عطفه وجوبا ، لأن
النفي محل على غير الفعلين ، والواجب في الواو الذي يراد بها
المعية أن يكون النفي داخلا في اللفظ على الأول من الفعلين
المراعاة لجمع بينهما . أي وجه المصاحبة ، ويكون في المعنى داخلا
أي المعية بين الفعلين . فإذا قلت : ماأى زيد وتسر - بصب
تسر - كان النفي في اللفظ داخلا على «أتى» ، وفي المعنى داخلا
على معية الفعلين «يأتى وتسر» .

الحالة الثانية التي ينصب فيها المضارع بعد الواو إذا
كان العامل فيه « أن » مضمرة وجوبا على مذهب البصريين ،
ويتحقق ذلك باجتماع أمرين :

الأول : أن تفيد الواو معنى المعية . أي تفيد أن مضمون
مابعدها مصاحب لمضمون ما قبلها في النفي أو الطلب كما سيأتي
بحيث يكون النفي أو الطلب منصبا على هذه المصاحبة في
المعنى . فالمعنى في قولهم : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ،
النهى عن الجمع بين أكل السمك وشرب اللبن ، أي النهى عن
فعل الأمرين في وقت واحد . وبفهم من هذا أن أكل السمك في
حدة مباح ، وأن شرب اللبن على حدة مباح .

فإنهى أبى منصبا على الفعل الأول في المعنى ، ولاعلى

الفعل الثانى ، وانما هو موجه الى الجمع بين الفعلين على وجه المصاحبه .

فلو كان الفعل الاول منهي عنه نهيا مطلقا ، مثل : لا تفعل وتلعب ، او كان النهى متوجها الى كل من الفعلين مثل : لا تكسل وتهمل ، كنت الواو عاطفة للفعل الواقع بعدها على الفعلين السابق ، فيكون ما بعدها مجزوما ، ولا يجوز نصبه .

والمراد بالنهى المطلق ان يكون النهى منصبا على الفعل فى اللفظ والمعنى ، ففى المثال السابق النهى داخل على الفعل «تهمل» فى اللفظ والمعنى ، ومن ثم فالواو لاتصلح للمعنية ، والا كان الاهمال منهيا عنه فى حال مصاحبة للفعل «تلعب» ، ومباحا فى غير المصاحبه ، وهذا لايراد .

واذا كانت الواو لاتصلح للمعنية فهى اما للعطف ، والفعل بعدها مجزوم ومنهى عنه مثل الاول .

والمعنى النهى عن كل من الفعلين على حدة ، واما للاختلاف والفعل بعدها مرتفع ، والمعنى : النهى عن الاهمال فى حال اللعب ، و النهى عن الاهمال واباحة اللعب . على اختلاف بين العلماء فى فهم المعنى كما متباينى .

وقد سبق ان ذكرنا ان الفعل «تكتموا» فى قوله تعالى : (ولا تلبسوا الحق بالباطل) ، «تكتموا الحق وانتم تعلمون» يجب ان يكون مجزوما بالعطف على تلبسوا ، فيكون منهيا عنه ،

ولا يجوز نصبه على أن الواو للمعية ، لأن النهي منصوب على كل من الفعلين ، قالفعل « تأبسوا » منهي عنه نهيا مطلقا ، والفعل « تكتموا » منهي عنه كذلك نهيا مطلقا ، ولا يكون الثاني نهيا عنه نهيا مطلقا إلا إذا كانت الواو عاطفة ، لأن العاطفة تشترك ما بعدها في حكم ما قبلها لفظا ومعنى ، فإن كان ما قبلها مجزوما كان ما بعدها مجزوما مثله ، وهذا هو الحكم المنطقي ، وإن كان ما قبلها مبهيا عنه أو منفيا كان ما بعدها كذلك ، وهذا هو المراد بالمعنى .

أما أسنى للمعية فإن ما بعدها يكون مخالفا لما قبلها في الحكم المنطقي ، فما بعدها منصوب وما قبلها مرفوع أو مجزوم وإذا كان كل من الفعلين منهيًا عنه باداة نهى واحدة وجب أن تكون الواو عاطفة ، وامتنع أن يكون النهي متوجها إلى صاحبة ، أي للجمع بين المعنيين على سبيل الصاحبة . ومن ثم نستطع أن نحكم بتخطئة النحويين والمفسرين في زعمهم أن الواو في الآية السابقة يجوز أن تكون للمعية ، والفعل « تكتموا » منصوبا بأن مضمرة بعدها وقد سبق أن ذكرنا ذلك وبيننا ما فيه .

الشرط الثاني : يجب أن يسبق الواو نفى أو طلب . والذي يفهم من كلام سيبويه في نصب المضارع بعد فاء السببية أو الواو المعية أنه يجب أن يسبق كلا منها نفى أو أمر أو نهى أو استغناء أو تمن أو عرض . قال في الفاء : « واعلم أن الفاء لا تضر فيها » أن في الواجب ، (٥٦) اهـ . ومثل لغبر الواجب

(٤٥) . الكيف ٥٥ .

(٥٦) ٢ : ٢٨ .

بالأمر والنهي والنفي والاستفهام والتمنى والعرض (٥٧) .
وقال في الواو : « أعلم أن الواو ينصب ما بعدها في غير الواجب
من حيث إن نصب ما بعد الفاء » (٥٨) . ١٠ هـ ومفهومه أن الواو
نصب في ما يسبق به الفاء . أي بالأمر والنهي والنفي والاستفهام
والتمنى والعرض . ولكنه لم يستشهد في الواو إلا بـ (٥٩)
والنفي (٦٠) والأمر (٦١) والتمنى (٦٢) ، فلم يستشهد أن
يفعل الاستفهام ولا العرض

أما الاستفهام فهو ثابت سماعاً ، وقد استشهد له الأشموني
بقول الشاعر (٦٣) .

أتدب ريان الجفون من الكرى
وأبيت منك بلذة المسوع

وأما العرض فقد أثبتته النحويون قياساً على فاء السببية
وقاسوا التخصيص أيضاً ، وزاد ابن عقيل الدعاء في فاء
السببية (٦٤) ، وقال في وار المعية : « يعني أن المواضع النفي

(٥٧) مثل الأمر في ٢ : ٣٤ ، ٢٥ ، ٤٠ ، والنهي في ٢ : ٢٤ ، والنفي
في ٢ : ٢٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٠ ، والتمنى في ٣ : ٢٣ ، والاستفهام
عن النفي ٢ : ٢٥ ، ٤٤ ، والعرض في ٣ : ٣٤ .

• (٥٨) ٢ : ٤١

• (٥٩) ٢ : ٤٢

• (٦٠) ٢ : ٤٣ ، ٤٦

• (٦١) ٣ : ٤٤ ، ٤٥

• (٦٢) ٢ : ٤٤

(٦٣) شرح الأشموني ١ : ١٠١ ، حاشية الصبان ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٦٤) شرح ابن عقيل على ١ : ١٢٤ ، ١٢٥ .

ينصب فيها المضارع بإضمار أن ، وجوبا بعد الفاء ينصب
فيها كلها بأن مضمرة وجوبا بعد الواو اذا قصد بها
المصاحبة ، (٦٥) ١٠ هـ

والدليل على أن نصب المضارع بعد الواو المسبوبة بالعرض
أو التحضيض ثابت بالقياس أمران .

الاول : أن علماء النحو لم يستشهدوا له بكلام العرب وإنما
جاءوا له بأمثله من كلامهم ، وأغلبهم لم يتعرضوا له قال الرضي
«ويكون قبلها أمر ... أو نهي ... أو استفهام ... أو تمن ...
أو تحضيض نحو :

هلا نزورنا وتكرمنا ، أو غرض : ألا تزورنا وتكرمنا ، (٦٦) ١٠ هـ

الثاني : قول الأشموني : «وقد سمع النصب مع الواو في
خمسة مواضع مما سمع مع الفاء ، الاول : النفي ... ، الثاني .
الأمر ... الثالث النهي ... الرابع : الاستفهام ...
الخامس : التمني ... وقس الباقي ، (٦٧) ١٠ هـ

ومعنى قوله : «وقس الباقي ، أن نصب المضارع بعد الواو
للمسبوبة بالعرض أو التحضيض لم يسمع ، وإنما قدس على
نصبه بعد فاء السببية المسبوبة بأحدهما .

(٦٥) المرجع السابق ٤ : ١٤ .

(٦٦) شرح الرضي على الكافية ٢ : ٢٤٩ .

(٦٧) الأشموني مع حاشية الصبان ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣١ .

قال الصبان نعليقا على قول الأشمونى : وقس الباقي :
هو الدعاء والعرض والتحضيض والرجى . وقال أبو حيان :
ينبغي ألا يقدم على ذلك إلا بسماع ، (٦٨) ١٠ هـ

وعد الصبان الرجى ضمن الأمور التى ينصب المضارع بعد
ألواو المسبوقة بأحدها قياسا غير مسلم له ، فقد سبق أن ذكرنا
أن المترجى عند البصريين فى حكم الواجب ، فنصب المضارع
بعد ألواو أو الفاء المسبوقة به غير جائز ، لأنه ليس من أنواع
المطالب ، إذ ليس فيه طالب ولا مطلوب منه ، فهو توقع مرمحوب ،
أو اشتاق من أمر مكروه .

وما ورد فى العرآن الكريم من مضارع منصوب بعد ألواو
المسبوقة بعسى بحبان تكون ألواو فيه عاطفة ، مثل قوله تعالى
: (فعسى أن يكروها شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (١٩) ،
وقوله سبحانه : (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم
فى الارض) (٧٠) وقوله جل شأنه : (فعسى ربى أن يؤتينا
خيرا من جنتك ويرسل : ٠٠) (٧١)

ويجب هنا أن أقرر أمرا هاما ، وهو أن قياس نصب المضارع
بعد ألواو المسبوقة بالعرض أو التحضيض أو الدعاء على نصبه
بعد فاء السببية المسبوقة بأحد هذه الأشياء كما يفهم من كلام
الأشمونى وكما نص عليه الصبان قياس باطل لهذه أمور :

(٦٨) المرجع السابق ٢ : ٢٢١ .

(٦٩) النساء ١٩ .

(٧٠) الأعراف ١٢٩ .

(٧١) الكهف ٤٠ .

أولها : أنه لأصله بين فاء السببية وواو المعية سوى أن كلا منهما في الأصل من حروف العطف، ولا وجه للتشبه بينهما سوى أن خـ مـ يـ يشرك ما بعده مع ما قبله في الحكم . وهو المعنى الأصلي للعطف ، ف لعلاقة بين الواو والفاء كالعلاقة بين الواو وحقتى أو غيرها من حروف العطف .

الثاني : أن الواو هي العذاب لحسن الجمع ، أم ألم ، فهي لـ ترتيب والتعقيب . واسفرق كبير بين السببيين ، إذا معنى سـ لـ يجمع في الواو أنها صالحة لعطف اللاحق على السابق من الزمن مثل قوله تعالى : (ولمّا أرسلنا نوحاً وإبراهيم) (٧٢) ولعطف السابق على اللاحق ، مثل قوله تعالى : (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله ...) (٧٢) ولعطف المصاحب ، مثل قوله تعالى : (فأنجيناه وأصحاب السفينه) (٧٤) لأن معناه مطابق للجمع بين المعطوف والمعطوف عليه . أما الفاء فلا يجوز ما به ذلك ، لأنها للترتيب والتعقيب ، فلا بد في العطف بها أن يكون المعطوف بعد المعطوف عليه في تعلقه بالحكم ، أو تعلق الحكم به .

الثالث : أن تأثير فاء السببية المسبوقه بالنفى أو النكاح في المراد من الفعل الواقع بعدها تأثير كبير وواضح ، فهي نحوله من مسبب عما قبلها إلى مسبب له . وبيان ذلك أن ماء السببية لها حالان ، لأنها إما أن تكون بعد إيجاب ، وإما أن تكون بعد نفي و طـ ب ، فإن كانت بعد إيجاب كان ما قبلها سبباً فيما بعدها ، مثل : يسرني أن تصلى فيكرمك الله . وإن كانت بعد نفي

-
- (٧٢) الحديد ٢٦ .
 - (٧٣) الشورى ٢ .
 - (٧٤) المنكوت ١٥ .

أو طلب كان مابعدهما سببا فيما قبلها ، مثل : لا تضرب زيدا
فتندم . فالندم سبب في النهي عن الضرب ، وليس من المعقول
أن يكون النهي عن الضرب سببا في الندم .

والاصل في هذا وأمثاله العطف ، وإذا عطف الثاني على
الاول كان مجزوما مثله ، وكان النهي عن أمرين هما الضرب
والندم ، فلما أريد تحويل المعنى عن ذلك الاصل ، بجعل الندم
سببا في النهي عن الضرب غير وا اعرابه فنصبوه بعد أن كان
مجزوما ، ليكون تغيير الاعراب دليلا على تغيير المعنى .

وكذلك اذا قلت : لم يحضر زيد فأسلم عليه ، يجوز في
«أسلم» وجهان : الجزم والنصب ، ولكل معنى ، فان جزمت كان
معطوفا على «يحضر» ، ومعناه : لم يحضر زيد فلم أسلم عليه ،
وان نصبت كان منصوبا بأن مضمرة بعد الفاء ، ومعناه : لم
يحضر زيد بسبب التسليم . ويفهم منه أمران : اولهما أن
التسليم لم يقع ، الثاني : أن لزيد حضورا كثيرا لأسباب أخرى
غير التسليم

وقد قررت هذا الامر - وهو أن مابعد الفاء سبب فيما قبلها
على خلاف ما عليه علماء النحو - في بحث لي بعنوان : «نصب
الفعل المضارع بعد الفاء» نشر في العدد التاسع من مجلة كلية
اللغة العربية في انتاي البارود الصادر سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م
وقد دعمت هذا الرأي بستة أدلة ، فإن شاء القارئ الكريم
فليرجع إليها .

وإذا ثبت أن لفاء السببية تأثيرا كبيرا في المضارع الواقع

بعدها ، اذ يتحول بدخول النفي أو الطلب على ما قبل الفاء إلى سبب بعد أن كان مسببا ، فلا وجه لقياس الواو على الفاء بعد التحضيض أو العرض أو الدعاء ، اذ لاناثير الواو في المضارع الوقع بعدها اذا كانت للمعنى سوى أنها تقصر زمنه على مصاحبة الفعل الواقع قبلها ، فيكون مضمون ما بعدها مصاحبا لمضمون ما قبلها ، والمصاحبة احدى معانيها حين كانت عاطفة وايست للمعية ، فقد سبق ان ذكرنا أنها حين تكون عاطفة تصلح لعطف اللاحق على السابق ، والسابق على اللاحق ، كما تصلح لعطف المصاحب .

واذا كانت المصاحبة احدى معانيها حين كانت عاطفة فتمحضا للمعية لم يأت بجديد .

إذن يجب الاقتصار على ما سمع من نصب المضارع بعد الواو المسبوقه بالنفي أو الأمر أو الاستفهام أو النهي أو التمني ولا يجوز نصبه بعد الواو المسبوقه بالعرض أو التحضيض أو الدعاء قياسا على نصبه بعد الفاء المسبوقه بأحد هذه الثلاثة ، لأنه لا وجه لهذا القياس .

وأستطيع أن اقرر ان نصب المضارع بعد الواو المسبوقه بواحد من هذه الامور الخمسة - النفي والأمر والنهي والاستفهام والتمنى - لم يجر كثيرا على لسان العرب ، لان ارادة المصاحبة قابل ما تكون من مقاصد المتكلم . ومن ثم فشواهدنا محدودة تكاد تعد على الاصابع .

فقد قرأت القرآن الكريم أكثر من مرة فلم أجد فيه سوى

ثلاث إنبات نصب فيها المضارع بعد الواو المسبوقة بالنفى في الأولى ، وبالنفي في الثانية ، وبجاء الشرط في الثالثة . والاستشهاد بالأولى صحيح ، وبالثانية والثالثة لايجز .

أما الآية الأولى - وهي من شواهد سيبويه (٧٥) - فقوله تعالى (وما يعلم الله الذين جاءوا منكم ودعم الصابرين) (٧٦) مرثب بجزم «يعلم» في «ويعلم» ورفع «ومص» (٧٧) والحزم بعد نواو يسكون بالعطف على «يعلم» الأولى ، والتقدير . وما يعلم الله الذين جاءوا منكم ولما دعم الصابرين . والمعنى : بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة وإلى الآن لم يقع منكم الجهاد ولا الصبر ، ومفهومه . لن تدخلوا الجنة إلا إذا جاءكم وصبرتم - فكانه سبحانه وتعالى يطلب من المسلمين أمرين الجهاد والصبر ، أحدهما لاغنى عن الآخر ، إلا أن هذا الطاب جاء بمفهوم الآية لا بلفظها . وهو معنى جميل . وأجمل منه المعنى على قراءة الرفع ، إذ أنه بدل بالمفهوم على مدى التلازم بين الجهاد والصبر المطلوبين لله سبحانه .

(٧٥) ٣ . ٤٤ .

(٧٦) آل عمران ١١٢ .

(٧٧) ذكر الطبري في التفسير ٤ : ٧١ أن القراء على نصب «يعلم» وأن الحسن كان يقرأ بكسر الميم . «م» علم الحزم بالعطف على «ولما يعلم» . وكذلك قال الرمخشري في الكشف ١ . ٢٢٠ وزاد : «وروى عبد الوارث عن أبي عمرو «ويعلم» بالرفع علم أن الراي للحال» ١٠ وذكر أبو حيان أن جزم «يعلم» قراءة الحسن وابن يعمر وأبي حيوة وعمر بن عبدة . البحر المحيط ٢ : ٦٦ .

قالوا وتلحال أو للاستئناس ، والتقدير : ولما يعلم الله
الذين جاهدوا وهو يعلم الصابرين . والمعنى بل تستبهم ن
تدخاوا الجنة والى الآن لم يعلم الله الذين جاهدوا منكم وهو
يلم الصابرين . وإذا كان الله سبحانه وتعالى يعلم الصابرين
جميعا وأم يعلم جهاذكهم فلأنكم لستم بصابرين ، والجهاد من
غير صبر لا مكانه له عند الله . ومفهومه أن الله سبحانه وتعالى
يطلب من المسلمين الجهاد والصبر متلازمين .

أما على قراءة النصب فالمعنى أجمل من سابقه وأوضح ،
لأنه يدل باللفظ والمفهوم على مدى التلازم بين الجهاد والصبر
المطابرين له سبحانه ، إذ المعية موضوعة أصلا للتلازم بين
شيئين في الضوابط . وإذا دخل عليها النفي امتنع هذا التلازم
بهذا النفي . والمعنى عليه : لم يعلم الله إلى الآن جميعكم بين
الجهاد والصبر . ومفهومه طلب التلازم بين الجهاد والصبر .
أي طلب الجهاد والصبر متلازمين .

ولما كانت لما ، موضوعه لنفي الحديث في الماضي متصلا
بالحال ، نفيت الحال في بيان المعنى على القراءات الثلاث ،
فقلت : إلى الآن لم يعلم .

وعلم الله سبحانه وتعالى منفي في الآيه لأن جهل - حاش
لله - ولكنه - جل شأنه - يعلم الأمور الراضعة على أنها واقعة ،
ويعلم الأمور غير الراضعة على أنها غير واقعة . فعلم الله لا يتعدى
بالواقع على أنه غير واقع ، ولا بغیر الواقع على أنه واقع .

ولما كانت لما ، تفيد توقع الفعل المنفي بعدها . أي توقع

حدوثه في المستقبل ، كان في الآية على القراءات الثلاث بشرى
للمسلمين بوقوع الجهاد والصبر منهم في المستقبل ، ودخولهم
الجنة .

فالقراءات الثلاث متفقة على معنى واحد هو طلب الجهاد
والصبر مع التلازم بينهما . الا أن قراءتي الرفع والجزم تدلان
عليه بالمفهوم ، أما قراءة النصب فتدل عليه باللفظ والمفهوم معا .
وهن ثم كانت أوضح وعليها القراء .

الاية الثانية قوله تعالى : (قالوا باليتنا نرد ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) (٧٨) وقد استشهد بها سيبويه
على رفع الفعلين « نكذب ، ونكون » ، (٧٩) . وفي النشر :
« واختلفوا في (ولا نكذب ، ونكون) فقرا حمزة ويعقوب وحفص
بنصب الباء والذون فيهما ، ووافهم ابن عامر في « ونكون » ،
وقرا الباقيون بالرفع فيهما » (٨٠) ا هـ .

وقد خرج سيبويه قراءة الرفع على وجهين . الاول ان تكون
الواو عاطفة ، والفعالان « نكذب ، ونكون » معطوفان على « نرد »
فيكونان متمنيين مثله . أي أن التمتي واقع على ثلاثة امور .
ردهم الى الدنيا ، وعدم تكذيبهم ، وكونهم من المؤمنين . الثاني :
ان تكون الواو في « ولا نكذب ، ونكون » للاستئناف . ويجوز
ان تكون في « ونكون » للمعطف على « لانكذب » . ومعنى المعطف
هو معنى الاستئناف ، لانه معطوف على المستأنف . والاستئناف

(٧٨) الأنعام ٢٧ وبدايتها . « ولوترى الا نفرأ على النار فقالوا ... »

(٧٩) ٢ : ٤٤ .

(٨٠) ٢ : ٢٥٧ .

يقطع ما بعده عما قبله . فاشعلان « لا نكذب ، ونكون ، ليسا
داخلين في التمني ، والتمنى شيء واحد هو الرد .

قال سيديوه . « وقال تعالى : (يا أيها نرد ولا نكذب بآيات
ربنا ونكون من المؤمنين) . فأنرفع على وجهين : أحدهم : ن
شرك الآخر الأول . والآخر على مولاك : دعنى ولا أعود . أى فإنى
ممن لا أعود . فانما يسأل الذرك ، وقد أوجب على نفسه أن
لا أعودة له . لئنه ، ترك . ولم يدرك ، ولم يرد ، أن يسأل أن يجتمع
له الترك وأن لا أعود . وأما عبد الله بن أسى إسحاق فكان يصب
هذه الآية ، (٨١) أ هـ .

فسيدوه لم يخرج قراءه النصيب كما يرى ، وخرج قراءة
الرفع على وجهين كما ذكر ، وكما بينا .

وتحريج قراءة الرفع على الوجه الأول غير صواب ، لانه
يثبت أن عدم التكذيب والكون من المؤمنين داخلان في التمني ،
لانهما معطوفان على « نرد » ، فيكون التمني ثلاثة أمور كما
ذكرنا : الرد وعدم التكذيب وكونهم من المؤمنين .

والصواب أن التمني شيء واحد هو الرد ، ولا يجوز أن
يكون الآخران متمنيين ، لأن الله سبحانه وتعالى كذبهم على
قولهم . (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) بقوله
جل شأنه بعد هذه الآية مباشرة :

(ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) (٨٢)
والتمنى لا يكذب في تمنيه ، لان التمني انشاء ، والتكذيب
لا يكون الا في الخبر .

ما نحريج سببونه قراءة الرفع على الوجه الثاني فصور
لان التمني فيه شيء واحد هو الرد ، أما اعلان الاخر فخطأ ،
يمكن توجيه المصحب والتكذيب اليه ، ومن ثم فقد كذبهم
الله في قولهم كما بينا . واستقام المعنى .

هذا من وراء الرفع . اما وراء نصب سببونه فبما
ولم يبين الوجه فيها . وأقول ان الراوي في " ولا يكذب
ويكون " لا يجوز ان نكون للمعية ، ولا ان يكون الراوي في
" ولا يكون " عاطفه على لا يكذب ، المنصوب لانها لو كانت عطفه
لكان المعنى على المعية بضا ، ولو كانت للمعية لكان ما بعد كن
منها " منى " ، فيكون التمني وفعلا على ثلاثة اشياء مجتمعة ،
الرد وعدم التكذب وكونهم من المؤمنين . فيكون مثل الوجه
الاول من وجهي الرفع ، وهذا باطل ، لان عدم التكذب وكونهم
من المؤمنين ليسا مدمجين ، اذ كذبهم الله تعالى في قوائيم كما
أسلفنا ، وكذب الله باسم دليل على ان كلامهم الذي كذبوا
فيه خبر ، والتمنى انشاء .

مالاية لا يصح الاستشهاد بها على نصب المضارع بعد واو
المعية ، وقد استشهد بها بعض علماء النحو ، كابن هشام في

«وضح المسالك (٨٢) ، والأشعوني في منهج المسالك (٨٤) .
وهذا باطل كما بينا .

وقد خرج الزمخشري وراءه المصنف على أن الواو وافعة
في جواب التمني وأثبت للمعربة ، فكما يجاب التمني بالفاء
كذلك يجاب بالواو . قال : «يرقد (ولا تكذب ويكون) بـ مصب
بـ» . فإن على جواب التمني ، ومعناه : «إن رددنا لم تكذب
وإن من المؤمنين» (٨٤) أ هـ . ومذهب البصريين أن السطاب
لا يجاب بالواو ولا بثم . وإنما يجاب بالفاء لا غير .

والقول بأن السطاب يحور أن يجاب بالواو أو ثم قول كوفي .
قال الطبري : «وإن بعض نحوي الكوفة يقول : لو نصب
«نكذب ونكون» على الجواب بالواو لكان هـ وانما . قال والعرب
تجيب بالواو وثم هـ بالفاء ، بقران : «لست لي مالا فأعطيك
ولست لي مالا وأعطيك» ، وثم أعطيك» (٨٦) أ هـ .

ومذهب بعض العلماء إلى أن التمني ليس انشاء ، فأجاز
بـ . بـ ثن لأبيه على أن الواو للمعربة . قال ابن يعيش : «هاهما
المصنف وشو غراءة حمزه وابن عامر وحفص فعلى معنى الجمع ،
والاستدبر . بالبعدا بجمع إذا الرد ويرك استكذب والكون من
الؤمنين ويكون المعنى كالأوجه الأول (٨٧) في دخولهما في التمني

(٨٢) ٣ . ١٧٥ تحقيق محمد محيي الدين .

(٨٤) شرح الأشعوني مع الصبان ٣ : ٢٢١ .

(٨٥) الكشف ٢ : ٩ .

(٨٦) تفسير الطبري ٧ : ١١١ .

(٨٧) أي من وجهي الرفع ، وهو جعل الفعلين متممين معطوفين على

«لست لي مالا فأعطيك» على رأي من يجعل التمني خبرا .

ويكون التكذيب على رأى من يرى التمنى خبراً ، (٨٨) ١ هـ .

والمول بأن التمنى خبر غير صواب ، لأن الخبر له واقع قد يطابقه فيكون صادفاً ، وقد لا يطابقه فيكون كاذباً ، إذ الخبر ما يحتمل الصدق والكذب لذاته . أما التمنى فليس له واقع يطابقه أو لا يطابقه ، فلا يحمل الصدق والكذب ، ومن ثم فهو انشاء وليس خبراً .

إن ما لا يهمل لا يصح الاستشهاد بها على نصب المضارع بعد الواو على أنها للمعية . ومن ثم كان سيبويه حكيماً حين بين فيها وجه الرفع ، ولم يبين وجه النصب .

الآية الثالثة : قوله تعالى : (. . .) وبعلم الذين يجادلون في آياتنا . . .) (٨٩) فقد نصب الفعل « يعلم » بعد الواو ، ولم يسبقه فعل منصوب بعطف عليه ، وإنما سبقه فعل مجزومة على الشرط أو الجزاء في قوله سبحانه (إن يشأ يسكن الراح فيظلالن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبنوا ويعف عن كثر) (٩٠) .

وفي « يعفم » مرا ابن عامر والخبين برفع الميم ، وفرا الباقيون بنصبها (٩١) .

(٨٨) شرح الفصل لابن يعيش ٧ : ٢٦ .

(٨٩) الشورى ٢٥ .

(٩٠) الشورى ٢٢ ، ٢٤ .

(٩١) النشر ٢ : ٢٦٧ .

وقد ذهب بعض علماء النحو والتفسير الى أن النصب بان مضمرة وجوبا بعد الواو ، وان الواو للمعية . قال الرضى .
« وقد يضمن أن الناصبه بعد الفاء والواو الراضيتين اما بعد الشرط قبل الجزاء نحو : ان تاتنى فذكرمنى او وتكرمنى آنك ، او بعد الشرط والجزاء نحو : ان تاتنى آنك فذكرمك او واكرهك وذلك لمشابهة الشرط فى الاول والجزاء فى الثانى النفى ، اذ الجزاء مشروط وجوده بوجود الشرط ، ووجود الشرط مفروض فكلاهما غير موصوفين بالوجود حقيقة . وعليه حمل قوله تعالى :
(ان يشاء يسكن الريح فيضالان رواكد) الى قوله (ويعلم) على قراءة النصب ، (٩٢) أ ه .

وقال الطبرى . « وقوله (ويعلم الذبن يجادلون من ياب)
... واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقراؤه عامه قراء الحديثه
(ويعلم الذبن) رفعا على الاستئناف ... وقراؤه مرأ الكومه
والبصرة (ويعلم الذبن) نصبا ، كما قل فى سورة ال عمران
(ويعلم الصابرين) على الصرف ، (٩٣) أ ه .

والصواب أنه لا يحوز فى الآية نصب « يعلم » بأن مضمرة وجوبا بعد الواو على ان الواو للمعية ، لأنه لم يبقدها بنفسه ولا حثب ، وانما تقدمها جزاء الشرط ، وقد ضعف سيبويه النصب بعده لانه كالايجاب . قل : « واعلم أن النصب بالفاء ، والواو فى قوله : ان تاتنى آنك وأعطيك ضعف ، وهو نحو من مونه

والحق بالحجاز فاستريحا

(٩٢) شرح الكافية الرضى ٢ : ٢٤٥ .

(٩٣) تفسير الطبرى ٢٥ : ٢٢ .

فبدا يجرز ، وليس بحد الكاذم ولا وجهه ، الا انه غي
الجزء صار اتوى متبلا ، لانه ليس مواجب انه يفعل ، الا ان
يكون من الاول فعل ، فلم مضارع الذي لا توجه كـ . ثم لم
ونحوه حازوا فيه هذا على ضعفه ، (٩٤) أم .

واذا كان نصب المضارع بعد الواو المسبوقة بالجزء ضعيف
ليس من الصواب حمل المراء عليه ، لان القرآن في هذه
المصاحف ، فان يجرز حمل مراء فيه على وجه ضعيف . ومن
ثم ذكبت الراء شري في ن نصب : يعلم ، من الآية اما تنو
بالحذف ، على نحو المحذوف . بل . ان نصب الراء وجيزه
الراء الحذف (ويعلم) واما النصب للعطف
على نعل محذوف يعلم منهم ويعلم الذين جادلون
وبدوه في العطف على السعيل المحذوف غير عزيز في القرآن ،
منه مرة تعالى (ونحمله انه قد س) ، وراية تعالى ، (وحاشي
لأنه المراء ر لأرض وسبزي كل نفس من
كسبب ، (٩٥) أم .

و - ان يعلم ، من الآية الكريمة لا يجزر
نصبه على اسببه ، لان نصب المضارع على المعية بعد الجزء
ضعيف كما ذكر سبيري . ولا يجوز تخريج الآيات الكريمة
على الوجه الضعيف .

ان فالقرآن الكريم ليس فيه مضارع منصوب على المعية
إلا في آية واحدة كما ذكرنا ، وهي قوله تعالى : (أم حسبكم :

تدخلوا الجنة ولما علم الله لدن جاعلوا ويعلم الله بدين) .
 وفيه من منى الرجوع الى شعر العرب ، لعل على اجده من
 شعراء ما يؤكد هذه الفكرة . فخر بن احمد بن تيمون بن شعراء
 جاهليين ومخضرمين واسلاميين وأمويين (٩٦) ، كما قوت :
 حارثة بن العبد - حياته وشعره . وشرح الفوائد القليلة ،
 والأصمعي ، وشرح الأصمعي ، وشرح الأصمعي ، وشرح الأصمعي ،
 الحماسة للتبريزي ، ثم أظفر بشيء ، وما يدل على أن نصيب
 المضارع في هذا الباب قليل في لسان العرب .

على أن شواهد سيبويه من الشعر - وهي أربعة - ينتاب
 أن من هذه بعضها ، إذ ما غير ثابتين على وجه اليقين .
 أولهما شاهد الذي أنه من الفخر بن وجرى على كل لسان ،
 وهو :

لأنه عن خلق وبأى مثله ★ بار عليك إذ نعتت منهم

ثم نسيه إلى الأختل ، وليس في شعره ، ونسب شعره
 إلى كل من ساء السري والظلماء واليه كل الناس ، والله يور
 أنه لأبي الأسود الدؤلي (ملحقات ديوانه ص ٣٠) (٩٧) ، وقد
 روى عن الأصمعي أنه كان يقول : « لم أسمع إلا (وتأتي مثله)
 مرفوعا على القطع » (٩٨) . أنه وهو ثقة ، قد شافه العرب وسمع
 منهم وتذوق كلامهم . فالواو على هذا للاستئناف ، والله
 للمعينة .

(٩٦) هم : عامر بن مطعيل ، وعمر بن قيس ، وعروة بن الوليد والسوق .
 والأختل ، والخنساء ، ودو الرمة ، وحصان بن ثابت ، وكعب بن زهير ،
 وحرير ، وعمر بن أبي ربيعة ، وجميل بثينة ، وعبيد الله بن قيس الرقيات .
 (٩٧) حاشية كتاب سيبويه ٢ : ٤١ .

الثانى قول الشاعرن :

فقلت ادعى وأدعو إن اندى ★ لصوت أن ينادى نادى

فقد نسبته سيبويه الى الأعشى، ولم يرد فى ديوانه ، ونسب
أيضا لأخطئه ، ولزبيعه بن جشم ، ولد ثار بن شيبان (٩٦) .

وروى أيضا باسط (وادع) على الامر بحذف اللام (١٠٠) .

والآيات الكريمة الثلاث التى استشهد بها سيبويه على
هذا الباب قد ظهر لى بعد التدقيق والمحيص أن اثنين منها
لا يجوز الاستشهاد بهما فى هذا الباب ، وهما قوله تعالى :
(ولا تلعبوا الحق بالباطل ونكتموا الحق وأنتم تعلمون) ،
وقوله سبحانه : (والله مرد ولا تكذب بآيات ربنا) وقد سبق
أن بخت ذلك وأنا لا أنكر نصب المضارع بعد واو المعية فى
لسان العرب ، لكننى أقرر أنه قليل .

(٩٨) حاشية سيبويه ٢ ٤٢ وشرح الفصل لابن يعيش ٧ : ٢٥ .
(٩٩) حاشية سيبويه ٣ ٤٥ وشرح الفصل لابن يعيش ٧ : ٢٥ .
(١٠٠) شرح الفصل لابن يعيش ٧ : ٤٥ .

عامل النصب في المضارع الواقع بعد واو المعية :

في سيبويه : « اعلم أن الواو ينتصب ما بعدها في غير
المراتب من حيث اسصب ما بعدها الفاء » (١٠١) ١٠ هـ وقال :
« لم أن ما ينصب في باب الفاء ينتصب على اضمار (أن) ...
نقول : لا ذادبني منحدثني ... كأنك قلت . ليس يكون منك
إتيان فحدث ، فلما أردت ذلك استحال أن يصم الفعل إلى
الاسم ، فاضمروا (أن) ، لأن (أن) مع الفعل بمنزلة الاسم ...
فإن حدث في اللفظ مرموعه بـيكن ، لأن المعنى : لم يكن إتيان
فيكون حديث » (١٠٢) ١٠ هـ

وما ابن يعيش : « ... فلما استحال حمل الثاني على
الأول كانه بحيل مصدر الأول ، إذ كان الفعل دالا غيبة مع
مواقع المعنى الرد ، فصار كأنه قال : لا بكن منك بهي ، ثم
أضمر (أن) مع الثاني ، فصار مصدرا في الحكم ، ثم عطف
مصدرا متأولا على مصدر متأول » (١١٣) ١٠ هـ

مما سبق يحين أن الفعل المضارع الواقع بعد واو المعية
المسبوقه بالنفي أو الطلب منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد
الواو ، وأن الواو تعطف المصدر المؤول من «أن» والفعل على
مصدر منصيد من الكلام السابق . وهذا مذهب البصريين .

(١٠١) ٢ : ٤١ .

(١٠٢) ٢ : ٢٨ .

(١٠٣) شرح المفصل لابن يعيش ٧ : ٢٤ .

وقد خالف الرضى ، فذهب الى ان الواو ليست عاطفة ، وانما هي واو الحال ، او بمعنى مع . قال : « وإذا بول في الفعل المنصوب بعد واو الحرف : انهم لما فصرو فيها معنى الجمعية فصرو المضارع بعدها ، ليكون الصرف عن سبق الكلام المنضم مرشدا من اول الامر انها ليست للعطف ، فهي اذن اما واو الحال ، واكثر دخولها على الجملة الاسمية ، فالمضارع بعدها في مبتدأ مبتدأ محذوف الخبر وجوبا ، فمعنى : قم واقوم ، أى قم وقيمى ثابت ، أى فى حال ثبوته قىامى . واما بمعنى مع ، وهى لا تدخل الا على الاسم . فصروا ههنا مصاحبة الفعل للفعل ، فنصروا ما بعدها . فمعنى قم واقوم : أى قم مع قىامى ، (١٠٤) أه .

فانرضى ترى ان واو المعية هي واو الحال ، وليست عاطفة . اون المصدر الاول بعدها يعرب مبتدأ محذوف الخبر وجوبا ، والتقدير فى قولهم : لا تكل السمك وتشرب اللبن لا يكن منك اكل السمك وشربك اللبن حاصل ، او هى مجردة عن العطف لانها بمعنى مع ، والتقدير : لا يكن منك اكل السمك مع شربك اللبن .

والذى دعاه الى القول بانها واو الحال بقارب المعنيين ، معنى الحال ومعنى المعية ، والمصاحبة فى كليهما طاعرة ، وغد غفل عن ان بيدهما فرقا ، قال حال تصاحب صاحبها على أنها صمه له ، لانها تدبر هيئته وقت وقوع الفعل منه أو عليه ، أما المعية فهى مصاحبة بين فعلين فى الثبوت ولما كانت المصاحبة فى كليهما طاعرة ظن انها واو الحال ، أو يمكن تسخيرها بواو الحال . والصواب ان ذلك لا يجوز لعدة أمور :

الأول : أن واو الحال لا يصمد بعدها «ن» بالاجتماع . أما واو المعية فالفعل بعدها منصوب بأن مضمرة .

الثاني : ان واو الحال لا يجوز أن تدخل على الفعل المضارع مثبت ، بذول : جاء يريد يصحك ، ولا يجوز أن نقول : جاء ربد وبضحك . قال ابن مالك :

وذا ت بدء بمضارع حوت * ضميرا وهن الواو ذات

الثالث : ان الواو لو كانت لأجل ، وأصدر المؤول من ان والفعل بعدها مبتدأ محذوف الخبر - على ما زعم لزم تأليه حذف الخبر وجوبا دون ان يسد شيء مسده . وهو خلاف ما عاده المحررين .

أما زعمه بأن اسراء بمعنى مع ، وأنها مجردة عن العطف ، فهو تـحـسـيـس في أحد تشبيهه ، وباطل في الآخر ، فهي بمعنى مع بالاجتماع ، لكنها لم تخرج عن العطف الموضوعية له أصلا ، لأن لعطف عمل وليس معنى (١٠٥) ، وإذا خرجت الواو عن معنى مطلق الجمع إلى معنى المصاحبة ، فإن ذلك لا يدل على خروجها من العطف الذي هو عملها ، ومعناها المعية ، وعملها العطف .

ولو كانت الواو مجردة عن العطف لزم تأليه أمران كلامي باطل . الأول : أن يكون المصدر المؤول بعد الواو مضافا إليه . الثاني : أن يكون الواو اسم مضافا ، لا بها فاعل عملها ومعناها

الأصليين وصارت بمعنى مع . واجتماع النحاة على أن الواو حرف ، وإن المصدر المؤول بعدها ليس مضافا اليه . فما ذهب اليه الرضى من أن الواو مجردة عن العطف باطل .

وما ذهب اليه سيبويه والجمهور من أن الواو عاطفة للمصدر المؤول بعدها على مصدر متصيد من الكلام صواب ، لكن التقدير غير صواب ، في سديويه : «وأنقول : اتقنى وأتيت» إذ أردت . ليكن إتيان منك ون اتبك تعنى إتيان منك وإتيان منى ، (١٠٦) ١ هـ . وقد دأب علماء النحو بعد سيبويه على هذا التقدير . وهو غير صواب ، لأن معنى المصاحبة الذى تفيدته الواو لا ينص عليه هذا التقدير . قال الرضى : «ولو جعلنا الواو عاطفة لمصدر على مصدر متصيد من الفعل قبله - كما قال النحاة ، أى - كن منك مبام وقيام منى - لم يكن فيه خصوصية على معنى الجمع والاولى فى قصد الخصوصية فى شئ على معنى أن يجعل على وجه يكون ظاهرا قصدا لا محض» عليه ، (١٠٧) ١ هـ .

مالواجب فى السند أن يصرح بما ينص على المصاحبة حتى لا يضيع معنى الواو ، فمقول فى مولهم : لا تأكل السمك وتشرب اللبن . التقدير : لا تجمع بين أكل السمك وشرب اللبن وفى قوله :

لا تفه عن حاقى وتانى مثله ★ عار عليك اذا فعئت عظيم

(١٠٦) ٣ ٤٤ .

(١٠٧) شرح الكافية ٢ : ٢٤٦ .

التقدير : لا تجمع بين نهيك عن حلق واثنين مثله . وهكذا
في جميع أمثلة الباب وشواهد . بإضافته « بدن » إلى مصدر
العطف عليه ، ليكون في الكلام نص على معنى الواو ، وهو
المعنى .

أما الكوفيون فيقولون : إن ما بعد الواو منصوب على أنصرف .
ومعنى الصرف عندهم أن ما بعد الواو في الأصل كان معطوفا
على ما قبلها ، فاما قصد به المعية لم بعد صليحا للعطف ، لغير
المعنى ، فصرف عن وجهه الذي كان يستحقه من العطف منصوب .

ولا يضاح ذلك نقول ، إذ قلت : محمد لم يصل وبصحك .
يجزم بضحك ، كائب الواو عاطفة ، و « يضحك » معطوفا على
« يصل » ، مجزوما مثله ، ومنفذا مثله أيضا ، فالفعلان منفبان
على وجه الانفراد ، والمعنى . لم يحدث منه الصلاة في الماضي
مطلقا ، ولم يحدث منه الضحك في الماضي مطلقا .

فاذا لم ترد هذا المعنى وأردت نفس الصلاة وقت وقوع
الضحك ، وبني الضحك وف وقوع الصلاة ، كان المعنى المراد
هو نفس المصاحبة بين المعانين في انوفوع ، ويكون حينئذ صد
مرفب الفعل احدثى عن وجهه الذي كان يعنحه بالعطف ،
وهو الجزم والنفي ، فينصب حينئذ وبصير مثبتا الا على وقت
وقوع الصلاة فانه يكون منقبا ، وبصير المعنى : محمد لم يصل
وبضحك في وقت واحد . أى لا مصاحبة بين الفعلين ، فليفسر
كل منهما منفيا على الاطلاق ، ولا مثبتا على الاطلاق ، بل المنفى
اجتماعهما .

فعامل النصب عند الكوفيين هو الصرف ، وهو عامل
معنوي (١٠٨) . والعوامل المعنوية تعمل الرفع باتفاق بين
البصريين والكوفيين ، وكذلك تعمل النصب عند الكوفيين ، أما
عند البصريين فلا . فافعل المصارع الواقع بعد واو المعية
مضروب عند الكوفيين ، كما نصب خبر المبتدأ الذي ليس عين
المبتدأ في المعنى ، مثل : سعد ، من : محمد غنك . قال ابن يعيش
في عامل النصب في المصارع الواقع بعد واو المعية والكوفيين
يقرون في مثل هذا واشباهه انه منصوب على الصرف . وهذا
الكلام ان كان المراد به لما لم يرد فيه عاطف القاسي على بفظ الفعل
الاول صرف عن الخطيئة التي معنى الاسمعة بان ضمروا ان ،
ومضموها بها فهو كلام صحيح ، ون كان اراد ان نفس البصر
الذي هو المعنى عامل مظهر دطل ، لان المعنى لا تعمل في العمل
النصب ، انما المعنى يعمل فيها الرفع ، هو وفوطة موقع الاسم
كما كان الابتداء الذي هو معنى عاملا في الاسم .
لأخبره ، (١٠٩) ٥١ .

(١٠٨) هذا على مذهب الكوفيين - أما على مذهب البصريين فليس عاملا
ولا يصحاح العامل المسمى بقرول . وبعض المعاني وضع لها العرب حروفا تؤدي
بمعناها ، كلفظ الاستفهام والتوكيد والتمني والرماء واليقول والتكثير .
فما احتص منها باسم او فعل عمل فيه ، وما لم يختص لم يعمل . وبعضها لم
يضمروا له شيئا - وهو الغالب - اما لاستفنائهم عنه بفعله كالممدح والبرءاء
والشفقة والعطف والحنين واشوق فليس لها حروف قدال عليها وتؤدي معنائها
واما لاستفنائهم عنه بغيره ، كما استفنوا بإشارة البد عن وضع حرف . ومن
الاول الصرف والابتداء . والمعاني التي لأخروف لها تعمل الرفع باتفاق بين
البصريين والكوفيين ، كما لا بد من العامل في المبتدأ ، وكذلك تعمل النصب عند
الكوفيين ، كالصرف العامل بعد واو المعية وخبر المبتدأ الذي ليس عين
المبتدأ في المعنى .

(١٠٩) شرح المفصل لابن يعيش ٢ : ٢٧ .

الحالة الثالثة التي ينصب فيها المضارع بعد واو المعية :
أن تقع الواو بعد فعل الشرط قبل الجزاء ، مثل مولك : إن
تفجع وتتفوق أكافئك ، ينصب ، وتفوق ، على إضمار «أن» ،
والمعنى : إن يكن منك اجتماع التفجع والتفوق ، أكافئك .

والنصب في هذا ، مثاله ضعيف ، والجيد الحزم ، لأنه
يكون بالمعطف على فعل الشرط ، والمعطف هو الأصل ، والمعنى
واحد ، لأن المعنى على المعطف أن كلا من المعطوف والمعطوف عليه
شرط في الجزاء ، وهو معنى المعية ، والعرب تكره الخروج على
الأصل إلا لإفادة معنى جديد ، في سيبويه : « وسألت الخليل
أن قوله : إن تسأتنى فتحدثنى أحدثك ، وإن تسأتنى أحدثك ،
فقال : هذا يجوز ، والحزم الوجه .

ووجه نصبه على أنه حمل الآخر على الاسم ، كنه أراد
أن يكن إنسان فحدث أحدثك ، فلما قبح أن يرد الفعل على الاسم
نرى «أن» ، لأن الفعل معها اسم .

وانما كان الحزم الوجه لأنه إذا نصب كن المعنى معنى
الحزم فيما أراد من الحديث ، سما كن دك كن أن يحسن
الذي عمل ، مما يليه أولى ، وكرهوا أن ينخطوا به من باب
باب نذر إذا كان يريد شيئاً واحداً (١١٠) هـ .

وكذلك يجوز نصب المضارع إذا وقعت الواو بعد الشرط
والجزاء ، مثل مولك : إن تفجع أحبك وأكفئك ، ينصب «كفى»
على إضمار «أن» بعد واو المعية ، وهو ضعيف أيضاً ، والحد من

الكلام الجزم بالعطف على الجزاء ، لان الجزاء لم يسبقه نفى ولا طلب ، فكانه وقع بعد الايجاب ، ولم ما يكن قبضه ايجابا لانه شرط ، ووقوع الشرط مفروض لا واجب ، والجزاء لا يسمع الا بوقوع الشرط ، فهو غير ثابت على الحقيقة لعدم ثبوت شرطه ، وعدم ثبوت الشرط جعل له شديدا بالنفى أو الاستفهام ، لان كلا منهما لا يوجب ما بعده .

ولما كان الشرط يشبه النفي أو الاستفهام ، وليس نفي ر استفهاما على حقيقته ، كن للجزاء فصل على الايجاب مجاز نصب المضارع بعد الواو المسبوقة به . في سيبويه . «واعلم ان النصب سلفا ، والواو مى موله : ان تبنى انت واعطيك صعيدا ، وهو نحو من دولة . وحق بـ حجار فاسترحا ، فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه ، الا أنه فى الجزاء صار اموى دايلا ، لانه ليس بواجب انه يفعل ، الا أن يكون فى الكلام فعل ، ما صار الذى لا يوجبه كما لاستفهام ونحوه أجازوا مبه هذا لى صعه وان كان معناه كمعنى ما قبله اذا مال واعطيك (١١١) أه

الحالة الرابعة من الحالات التى ينصب فيها المضارع بعد الواو ، أن نكون الواو عاطفة للفعل الواقع بعدها على اسم خالص من التأويل بالفعل . قال سيبويه : «ومن النصب أيضا قرأه :

للبيس عباة وتقر عيني * أحب إلى من لبس الشفوف

لما لم يستفهم أن يحمل (وتقر) وهو فعل ، على (لابس) وهو اسم ، لما صمته لى الاسم وجعلت أحب خبرا لهما ، ولم نر قطعه ، لم يكن بد من اضممار (ان) (١١٢) أ هـ .

وقال الأشموني « ... » وهي أن يعطف الفعل على اسم خالص بأحد هذه الحروف الأربعة لواء أو واو والفاء وبم إحدى قوله : وأنشد بيت سيبويه « (١١٣) أ هـ .

وقال الصبان تعليقا على قول الأشموني : على اسم خالص : « نى من شذبه الفعلية ، بأن يكون فى تأويل الفعل ، وهو الحامد » (١١٤) أ هـ .

وقال ابن هشام : « والأربعة الباقية أو والواو والفاء وثم ، إذا كان العطف على اسم ليس فى تأويل الفعل ... ثم أنشد البيت الذى استشهد به سيبويه » (١١٥) أ هـ .

مما سبق ومن كل ما اطاعت عليه من كذب البحر بين أن النحاة هنا يخادون يجمعون على أمرين يجب البحث فيهما ، الأول : أن المصدر — وهو الاسم السابق على حرف العطف فى البيت الذى أورده سيبويه وتبعه النحاة فى الاستشهاد به — ليس فى تأويل الفعل . الأمر الثانى : نصب المضارع فى هذا البيت بأن مرة جوازا .

(١١٢) ٢ : ٤٥ ، ٤٦ .

(١١٣) الأشموني مع الصبان ٣ : ٢٢٥ .

(١١٤) ذاته .

(١١٥) أوضح المسالك ٢ : ١٨١ .

وانما قلت يكادون يجمعون - وان كنت لم أر غير هذا الرأي -
لأننى لم طلع على كل كتب النحو ، ولم تتسر لى الإتيان عليها
جميعا لجزمت بإجماعهم .

وأرى أن المصدر فى البيت فى دويل الفعل ، وأن الراو
عاطفة ، وأن الفعل بعدها ليس منصوبا بن مشعره بعد الرو
كما زعم ابن حاة ، وانما هو منصوب بالعتف على الفعل المنصوب
لأنه من المصدر ، وان التقدير : لأن النبى عبادة وفنر عتفى
أحب .

ودلىلى على ذلك أربعة أمور .

الأول : أن الأصل فى المصدر ن يقدر بالفعل ، وان البدل
الذى يجمع تقديره فيها بالفعل خارجة عن هذا الأصل ، وقد
فهم العلماء عليها (١١٦) ، وليس المصدر فى البيت واحدة من

(١١٦) وهى «أ» اذا كان المصدر تاءيا عن فعله ، مثل : قريبا زيدا ،
وقوله تعالى : (فاذا لقيتم الذين كفروا فتربوا الرقاب) ب ، اذا كان مؤكدا
لحاله مثل : أكرمت زيدا أكراما «ج» اذا كان محدوبا بالتاء ، مثل : ضربه
واكله «د» اذا كان «ش» أو مجموعا «هـ» اذا كان مبتدأ بعد الحال مصدر خبره
مثل : ضربه «و» اذا كان «ش» أو مجموعا «هـ» اذا كان مبتدأ بعد الحال مصدر خبره
وقع اسما لكاز أو ان ولم يفعل الخبر ، يفهما مثل : كان تعطيك زيدا حسنا ،
وان أكرامك زيدا حسن ، لأن العرب التزموا عدم وقوع الحرف المصدرى والفعل
فم هذين الموضعين إلا معصولا بالحرف «ز» اذا وقع اسما للا الناعية للجنس
مثل : لا اعراض عنك ، لأن العرب لم يوقعوا المصدر المؤول مكان المصدر
الصريح فى هذا الموضع إلا اذا كررت لا «ح» اذا كان منعوتا مثل : أعجبنى
ض ك المرح زيدا ، وأعجبنى ضربه زيدا المرح . فالجاءت بمنع تقديره بأن
والفعل ان المصدر المؤول لايجوز نعتة - وانظر الأشموش وحاشية الصبان
٢ ٢٩١ .

فهو اذن مصدر بالفعل ، واذا كان كذلك كانت الواو عاطمة ، وكان الفعل بعدها معطوفا على الفعل المنصوب الماخوذ من المصدر ، والتقدير : لأن النفس سبأ ، وتقربنى أحب .

انسابى : ان الاصل هي الواو المعطف ، والمعطف في البيت يؤدى المعنى المصود من المعية . واذا كان معنى المعطف و المعية واحد فوجه الكثرة وجده لا يعنى عن المعطف لانه اتصل ، كما ذكر سييوريه في جواز نصب الخبر بعد الواو المسبوبة بالشرط ، حيث قال : « وسبب التحليل عن قوله : ان نفسى تحدثنى أحدثك ، وان نفسى وتحدثنى أحدثك ، فقال : هــ ، يجوز ، والجزم الوجه وانما كان الجزم الوجه لانه اذا نصب كان المعنى معنى الحزم فيما اراد من الحديث ، فلما كان ذلك كان ان يحمل على اذى عمل فيما يليه أولى ، وكرهوا ان يخطروا به من يايه الى سباب اخر اذا كان يريد سباً واحداً ، (١١٧) ١ هـ .

١ - ادك ، اذا كان المعطف على انثوانهم جائزا في لسان العرب مثل لسب قائما ولا قاعد - جـر - قائم ، مطلقا على « قائما » ، لتوهم دخول حرف الجر الزائد عليه - فالمعطف على الفعل الواجب تاويل المصدر به أولى . والمصدر في البيت يجب تاويله به . والمفعول ، لأنه ليس من المصادر التي يمتنع تقديرها بأن والمعر ولأنه عامل ، فأبى مضاف ، وعباءة مضاف اليه ، من اضافة المصدر الى مفعوله .

الرابع عطف الفعل المنصوب بعد الواو على الفعل المنصوب
المحذوف من المصدر الواحد تأويله بأن والفعل ثابت في القرآن
الكريم في قوله تعالى. (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً
..... أو يرسل) (١١٨) مرسلاً معطوفاً على الفعل المنصوب
الأحود من المصدر ، والنقدير : إلا أن دوحى أو يرسل .

وإذا كان الفعل بعد الواو من أسباب منصوباً بالعطف ،
وليس منصوباً بأن مضمرة جوازا بعد الواو - كما ذكره بيوبيه
والأنحاء - فإن الببب لا يصلح متاعداً على ما نحن فيه ، لأن
المصدر ليس خالفاً من التأويل بالفعل . والمثال الذي يصح
التمثيل به في هذا الموضع ، ولا أيراد عليه - إذا كان مسموعاً -
قولهم : لو لا محمد وبجسن إليك لهلك . فيجوز منصوب بأن
مضمرة جوازا بعد الواو ، وهي مع الفعل في تأويل مصدر
معطوف على محمد ، وهو اسم ليس في تأويل الفعل .

ومثل هذا يقال في الفعل المنصوب بعد الاء أو ثم أو واو
المسبوو كل منها بالمصدر مثل قول الشاعر :

لولا توقع معتر فارضيه
ماكنت أوتر اقرايا على ترب

وقول الآخر .

إني وقتلي سليكا ثم أعقله
كالقور يضرب لما عافت البقر

فالفعل «أرضى» منصوب بالعطف على الفعل المنصوب
المأخوذ من المصدر «توقع» ، وليس منصوبا بأن مضمرة جوازا
بعد الفاء كما زعم النحاة . وقل مثل ذلك في الفعل «أعفل» في
البيت الثاني ، وفي «يرسل» في قوله تعالى : (وما كنا نلبشر
أن يكلمه الله إلا وحيا أو يرسل . . .)

وهذا آخر ما ننسر لي من جهد في اعداد هذا البحث . أدعو
الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، والحمد لله
رب العالمين ، وما توثيقى الا بالله ، طيه نوكت ، واليه أنيب .

الدكتور

عوض مبروك عبد العزيز شحاته

فهرس الكتب والمراجع

- ١ - الأصمعيات . للأصمعي . تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . بيروت . لبنان .
- ٢ - إعراب القرآن . لابن المحاس . تحقيق الدكتور / زهير عازي . عالم الكتب . مكتبة النهضة العربية .
- ٣ - أوضح المسالك . لابن هشام . ومع كتاب هدية المسالك . أحمد محيي الدين . دار الفخوة . بيروت . لبنان .
- ٤ - تحقيق اسرئد شمس الدين اسرئد . ستم ميس . فخر السكور محمد . دار الرحمن السدي .
- ٥ - مصدر القرآن العظيم . لابن كثير . دار . عرفه . بيروت . لبنان .
- ٦ - جامع البيان في تفسير القرآن . قتادري . دار امر . بيروت . لبنان .
- ٧ - حاشية الصببان مع شرح الأشموني . دار الفكر . بيروت . بيروت . لبنان .
- ٨ - ديوان الأعشى ميمون بن ميس . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ٩ - ديوان امرئ القيس . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٠ - ديوان جرير . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١١ - ديوان جميل بثينة . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٢ - ديوان حاسم ال لاني . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٣ - ديوان الخنساء . دار بيروت للطباعة والنشر .

- ١٤ - ديوان دى الرمة . تحقيق عبد القدوس أبو صالح .
مؤسسة الإيمان . بيروت . لبنان .
- ١٥ - ديوان عامر بن الطفيل . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٦ - ديوان محمد بن مس الرقيات . دار بيروت
للطباعة والنشر .
- ١٧ - ديوان عمرو بن لورد واسموات . دار بيروت
للطباعة والنشر .
- ١٨ - ديوان عمر بن أبى ربيعة . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٩ - ديوان كعب بن زهير . شرح ودراسة د . مقيد
قميحة . دار الشواف للطباعة والنشر . الرياض .
- ٢٠ - روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم . للأوسى .
مكتبة دار التراث . القاهرة .
- ٢١ - السبعة فى القراءات . لابن مجاهد . تحقيق الدكتور
شوقى ضيف . الطبعة الثانية . دار المعارف .
- ٢٢ - شرح ابن عقيل . لابن عقيل . ومعه كتاب منحة
الجليل . لمحمد محيى الدين عبد الحميد . مكتبة دار التراث .
القاهرة .
- ٢٣ - شرح الأسمونى مع حاشية الصبان . دار التراث
للطباعة والنشر . بيروت . لبنان .
- ٢٤ - شرح ديوان حسان بن ثابت . وصح وضبط
وتصحح عبد الرحمن البرقوفى . دار الكتاب العربى .
- ٢٥ - شرح ديوان الحماسة . لأخضب النيرى .
عالم الكتب . بيروت .

٢٦ - شرح الرضى على الكافية . دار الكتب العممية
بيروت . لبنان .

٢٧ - شرح المعتقد العسر واخبار شعرائها . محمد بن
الامين الشنقيطى . دار الكتاب العربى .

١٨ - شرح الفصل . لابن عيسى . نحمى قجماعه من
العمم . بمعرفة مشيخة الأزهر . المطبعة المنيرية .

٢٩ - شرح المضليات . للخطيب النبريزى . تحمى
على محمد البجاوى . دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة .

٣٠ - طرفه بن العبد - حيدته وسعره . للأكتور محمد
على الهاشمى . عالم الكتب . بيروت . لبنان .

٣١ - كتاب سبويه . تحفى وشرح عبد السلام محمد
هارون . دار الجدل . بيروت . لبنان .

٣٢ - الكشاف . لأزمخشرى . ويلىه الكافى الشافى
نخرج أحاديث الكشاف . للعلمانى . دار المعرفة . بيروت .

٣٣ - النشر فى القراءات العشر . لابن الجزرى . دار
الكتاب العربى .

تفسير مطوية

ودوره في الجهاد ضد البيزنطيين

من سنة ١٤٠ - ٣٢٢ هـ (٧٥٧ - ٩٢٤ م)

بقلم

الدكتور / أحمد محمد الحسوقي المنوفي

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

مبايقتاي البارود

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين الهادي إلى الصراط المستقيم
والحمد لله رب العالمين على سيدنا محمد خاتم المرسلين و
الداعين وإمام المحاهدين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فمتذ بدأت الدعوة الإسلامية وهي نجابه خصومها
الحامدين الراعدين في القضاء عليها . وكان البيزنطيون أحد
هؤلاء الخصوم ، وبرجع المواجهة بين المسلمين والدرمطس
إلى ظهور الإسلام ، ونكومن دولة له بأحدنه ، فمقد كاس
عميديه بحالف عقائدهم ، وبطمه بخالف أنظمتهم ، ولأذلك
ددروا لوأده وإنهاء دولته قعصبا لدينهم ورغبة ألا بزاحمه دين
آخر ، ولكن نبي الله تعالى إلا أن يتم نوره ، وتنتشر دعوه
الإسلام ويسمع رقة دولته ويزيح البيزنطيين عن مصر
والشام والمغرب وغيرها ، ولذلك ازدادت عداوتهم للإسلام .
والمسلمين ، وتربصوا بهم الدوائر ، وتحيدوا الفرص للإيماح
بهم واسترجاع ممتلكاتهم وتصدى المسلمون لكيسدهم ، ورد
عدوانهم ، وتطلعت الدولة الإسلامية الفتية في عهدى الخلفاء
الراشدين وبنى أمية ، إلى إسقاط عاصمتهم القسطنطينية .
والقضاء بذلك نهائيا على إمبراطوريتهم مصدر القلق والتهديد

للدولة لإسلاميه ، ولكن حصانة المدينة كانت من أهم عوامل
إخفافهم في ذلك .

وفي عهد الدولة العباسية ، لم تحدث محاولات لتتبع
المقسطنطينية لابتعاد العباسيين عن الحروب البحرية ثم
رامدعوا بالغزوات الدورية المنظمة للأراضي البيزنطية بما
عرف بنظام الصوائف والشوائق (١) ، وهو نظام سخدم اسعه
المسلمون منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد نزوح
السام من أيدي البيزنطيين ، وبهدف هذا النظام إلى لنوع
في الأراضي البيزنطية ، والاستيلاء على حصونهم التي دواحه
المسلمين .

وكان خط الحدود الفاصل بين الدولتين العباسية
والبيزنطية ، يتكون من سلسلة جبال طوروس ، وطوروس
الداخلية وبمقطع جبال طوروس دروب كئبره ، سلك المسلمون

(١) كانت حملاتهم البرية أو الصوائف والشوائق تتم في موسم
عمية مرتين و ثلاث مرات كل عام ، فالأولى جمعة الربيع وهي تقع لعشرة
أيام تفلو من مايو ، تكون حيول المزاة قد تحسنت لوفرة بكر
والبر ، وتستمر هذه بعزوة ثلاثين يوما ، والحملة الثانية تتم في الصيف
وتبدأ لعشرة أيام تحو من يوليو ، وتستمر ميتين يوما ، والثالثة حملة
الشتاء ، وتحدث في حالات الضرورة وتبدأ في آخر فبراير إلى أيام تمضي
من مارس ولا تزيد مدة هذه الحملة من عشرين يوما ، انظر همام بن جعفر
سدهن كتاب العراج ومبعة بكتابة صمدن كذب اسبائك لابن خرداد ص ٢٥٩ .
سدهن ١٩٦٧ ، عثمان ، د : فتح الحدود الإسلامية ، البيزنطية من الإحتلال
الحربي والاتصال الحضاري ص ٢٠٠ ٢٢٠ الدار القومية لطباعة والنشر .
القاهرة ١٩٦٧ م .

اثنين منها هما درب الحدث وهو فى الشمال الشرقى ، ويحده
 من مرعش إلى ابلهين ويرب الأبواب الميائمية ، ويحده
 شمالا من طرسوس فى اتجاه الطريق العظم إلى
 القسطنطينية (٢) . ويحده خط الحدود بين الدولتين عدد
 من الثغور يمكن أن نقسمها إلى ثلاث مجموعات هى الثغور
 الشاميه ، والثغور الحزريه والثغور البكريه ، وقد احسب
 منطية (٣) المكانه الأولى بين الثغور الجزريه ، وكانت مفتاح
 الطريق إلى منطية الثغور كلها ويتركز الدفاع فيها عن منطية
 الجزريه ، وبسهولة الاتصال منها بثغور الشام ، ونظرا
 لموقعها المتميز وقربها من بلاد الروم كانت طريق الصراعات
 والغزوات إلى بلادهم ، وتعدل مكانة منطية فى الثغور
 الجزريه ، مكانه أنطاكيه فى ثغور الشام هى عودى الخه
 ابراهيمين وبني أمية وطرسوس فى عهد ابيباسين .

ويحده ثغور الجزريه بجانب منطية مرعش والحدود
 من الروم وحصن منصور وسمنط ويعاقلها عند الروم
 عند خرشنة والخالديه (٤) ، وسببت ثغور الجزريه لأن الحد

(٢) سليمان : د . أحمد عبد الكريم . المسلمون والبيزنطيون فى
 شرق البحر المتوسط ص ٢٢ ، ص ٢٤ الطبعة الأولى مطبعة السعاده
 بدمشق ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ .

(٣) منطية بفتح أوله وثنيه وسكون الهمزة ، والعامة تقوله بتشديد
 الهمزة وكسر الهمزة . حموى أبو عبد الله ياقوت عبد الله معجم البلدان ج ١
 ص ١٩٢ د ر احياء التراث العربى . بيروت بدون تاريخ .

(٤) قدامة بن جعفر : معجم سبق من ص ٥٣ - ص ٥٩ ، الحريرى :
 د . السيد البار أحماد الروم ص ١٥ ، ص ١٦ مكتبة نهضة مصر لقاهرة
 ١٩٥٦ م .

من سبب دن العراق والحزيرة (٥) ، بالرغم من أن هذه
الخطبة بعد من بلاد الشام لأن كل ما هو شرقي الفسيفسارت
من الشام .

ونضم نغور الشام بجانب طرسوس أذنة والمصمص
وعين رربي وألهارونية ياد تيسه ودياس ، وسميت بنغور
الشام بالرغم من أنها ليست من الشام ، لأنها ندمى بلاد
الشام ويقابلها عند الروم جند « القصادق والناطندى » من
شاحية البحر . « وسوديه » من شاحية البحر ، ويفصل جبل
« الشام (٦) . نغور الجزيرة والثغور الشامية ، وتقع نغور
الجزيرة في الشمال الشرقي بينما تقع ثغور الشام في الحزير
الغربي .

وبنى نغور ، الجزيرة النغور السكرية ، فمبه لى ديار : ن
بالجزيرة ، ونحمى هذه المنطقة من الجزيرة وأهمها سميسنة
وحائى وملكين وعده حصون ، وينهى فى أقصى الشمال
بنغور « فامبلا » أو « رزن الروم » ، وجبل النغور البكريه فى
رأس الروم « الأرمنى » وبعض أجزاء من الخريطة (٧) .

(٥) ابن العديم . أبو حفص بن عمر بن أحمد بغية اطلب فى تاريخ
حلب ج٢ ورقة ٢٠٦ مخطوط منصور بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٥٦٦
تاريخ .

(٦) اللكام جدل يذرف لى أنطاكية والمصيصة وطرسوس ومنطقة
الثغور . الحموى مصدر م . ج ٥ ص ٢٢ .

(٧) قدامه . مصدر . ق . العريفي مرجع سبق .

موقع ملطية ولمحة من تاريخها

نمى ملطية الى الشمال من حلب ، فى شمال الشام ، عند أحد الممرات المؤدية من إقليم الجزيرة إلى أراضي الدولة البيزنطية (٨) .

ويقال إن الدي بلسا هو الإسكندر الأكبر (٩) ، وكانت من بلاد الروم ، وقد وصلت الجيوش الإسلامية إليها سنة ١٤ هـ ، عندما بعث أبا عبد الله بن الجراح رضى الله عنه عياض بن غنم لفتح أسروم ، فملك الأعرق حتى فتح ملطية فصالح أهلها على الجزية ثم انصرف ، ولما سمع هزمه (٦١٠ - ٦٤١ م / ١٢ ق ٠ هـ / ٢٢ هـ) بعث إلى مقاديسها ومن فيها فسمعهم إليه خوفا على أهلها من المسلمين وأمر بإحراق المدينة (١٠) وذلك تمهيدا مع سياسته الهادفة إلى إيجاد منطقة عازلة بين الروم والمسلمين ، ضمن الحماسة لبلاد الروم من غارات الحولة الإسلامية ، حتى إذا

(٨) ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل صورة الأرض ج١ ص ٢٠٨ نشر كرامر ضمن المجموعة الجغرافية العربية الطبعة الثانية ، لين ١٩٢٨ - ١٩٢٩ م .

(٩) الحموى مصدر سيق ج١ ص ١٩٢ .

(١٠) الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص ٥٧٢ تحقيق محمد أبو الفضل ، راهيم الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٦ .

طرقها المسلمون وجدوها خراباً ، وسعدت عليهم الشقة ، وعلى نفس الرقت تعطلت الفرصمة الكافية للروم لانه تعداد وحسد الهجرم ، وكان يبدو أن الروم نادوا لعماردها وسكناها ، وقد أوردت المصادر أن عباس بن عثم لما فتح مملكة الروم سنة ١٧ هـ ، بعث حبيب بن مسلمة الى ملطية لفتحها ، وكتب في ذلك :
حندا من المسلمين مع عائلها (١١) .

عمارة المسلمين للمدينة ،

العمارة الأولى :

أدرك المسلمون أهمية هذه المدينة لموقعها وحرصها من بلاد الروم ورأوا ضرورة اتخاذها قاعدة لهم ، وكان معاربه بن بى سفيان - ولى الشام والجزيرة - هو أول من أعلن إلى ذلك ، فكتب فيها جندا من المسلمين ، وجعل عليها عاملاً ، وحرص على ترويضها بالجنود ، وعاشما دم إليها - الشام - ولايته على الشام والجزيرة - لينطلق منها إلى غزو بلاد الروم ، سجنها بجند من أهل الشام والجزيرة وعديرهما ، وصارت ملطية بعد ذلك طريق الصواب ومأوى من مواعد جيوش

(١١) ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الكامل في التاريخ ج٢ ص ٣٧٤ ، ص ٢٦٠ ، دار الفكر بيروت ١٢٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

المسلمين المهاجرة لبلاد الروم (١٢) ، وعندما غزا معاوية ابن
أبى سفيان حصن المرأة من أرض الروم سنة ٣٣ هـ كان ذلك
عن طريق ملطية (١٣) .

وقد انتهزت مبراطورية الروم - كعهدها دائما مع الدولة
الإسلامية - فرصة الخلاف والسفوق بين المسلمين والحروب
التي نشبت بينهم أيام فتنة عبد الله بن الزبير (١٤) فهاجموا
ملطية وخربوها بعد أن جلا المسلمون عنها ، وسكنها بعد ذلك
قوم من النصارى من الأرمن والنبط (١٥) .

ويبدو أن ملطية ظلت في يد خبيثة ليس بها إلا بعض أهل
الذمة من الأرمن والنبط مدة من الزمان ، وكنت بعض جيوش
المسلمين تهردها في غزوها لبلاد الروم ، فقد ذكر اليعقوبي عن
الوليد بن عبد الملك عرا أطلار من ناحية ملطية سنة ٧٧ هـ (١٦)

(١٢) البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى فتوح البلدان ص ١٨٩
دار الكتب العلمية بيروت ١٢٩٨ هـ - ١٩٧٨ م بن الاثير المصدر السابق .

(١٣) الطبري : مصدر سبق جاء ص ٢١٧ .

(١٤) وذلك في عهد يزيد بن معاوية ، وقد أفاد ابن الزبير من شخص
عامه اسمين على ذي أمية لسوء سياستهم فحدث في سنته سنة ٦١ هـ
واقام دولة شملت معظم أرجاء الدلم الاسلامي ، واحتصر نمر ذي أمية
في حراء من بلاد الشام ، حتى تمكن مروان بن الحكم وابنه عبد الملك من
نقضه على هذه الدولة وقتل ابن الزبير سنة ٧٢ هـ . الطبري ج ٥ ، ج ٦
في مواضع متفرقة .

(١٥) البلاذري مصدر سبق ص ١٨٩ تاريخ اليعقوبي .

(١٦) اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب - تاريخ اليعقوبي ص ٢٨١

دار صادر بيروت بدون تاريخ .

ونذكر الطبرى وابن الاثير أن مسلمة بن عبد الملك عرا بلاد الروم من ناحية ملطية مافتح ماسه وغزاة ودرجته سنة ٩٣ هـ (١٧) ، كما فتح دود بن سليمان بن عبد الملك حصن المراه من ناحية ملطية ٩٨ هـ (١٨) .

وكان من اسباب محال المسلمين ملطية من هذه الفترة وعدم تمارتها ، أن المسلمين اتخذوا قاعدته أكثر قربا من بلاد الروم هي طرندة التي فتحها المسلمون سنة ٨٢ هـ فساد عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وشيأى إلى ثلاث مرات من ملطية واعلة فى بلاد الروم ، وقد أسكنها عبد الملك المسلمين بعد فتحها (١٦) ، وكانت اسفاده الجندة نزود بخند من الجزيرة ، دوى الجند بسيمون منها فى فصل الصيف حتى إذا اغبل الشتاء ونسقط السروج عادوا إلى بلادهم ، وطس الامر كذلك حتى وصى عمر بن عبد العزيز الحلافة ، ودفعه الخوف على المسلمين من اعتداء الروم وغدرهم إلى طلب إخلاء طرندة سنة ١٠٠ هـ ونرحيل أهلها إلى ملطية ، فترك المسلمون طرندة وهم كارهون ، وحرسوا على تخريب المدينة حتى لا يستقر بها غازيهم ، حتى كسروا حوائى الحبل والزيت ، (٢٠)

-
- (١٧) الطبرى مصدر سبق ج٦ ص ٤٦٩ ، ابن الاثير مصدر سبق ج٤ ص ١٢٩ .
- (١٨) البغوي مصدر سبق ج٢ ص ٣٠٠ . الطبرى مصدر سبق ج٦ ص ٥٤٥ .
- (١٩) البلاذرى مصدر سبق ص ١٨٩ ابن الاثير مصدر سبق ج٤ ص ١٥٩ ، ص ١٦٠
- (٢٠) البلاذرى المصدر السابق ص ١٩٠ ، ابن الاثير المصدر السابق

العمارة الثانية :

بعد أن انتقل المسلمون من طريدة إلى ملطية حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز على تنظيم الأمور في المدينة فبنى سوراً واليا هو « جمعونه بن الحارث » ، أحد بني تمار بن صعصعة (٢١) واستأنفت ماطية نشاطها الحربي كمركز للدفاع عن الحدود الإسلامية ، ومنطلق للهجوم على الأراضي البيزنطية ، فغـدرا مها معاوية بن هشام أصائفه سنة ١١٢ هـ ، مفتح خرسنة وحرق فرندبة (٢٢) ، وفي سنة ١٢١ هـ ألح معاوية بن هشام ملطية لغزو الروم ، كما غزا مسلمة ابن هشام الروم من ناحيه ملطية في العام التالي سنة ١٢٢ هـ (٢٣) .

وهكذا كانت المدينة منذ عهد عمر بن عبد العزيز ترى اهتمامها التثغري على قدر ما يكون الاداء ، وفي حسب المساح من ناحية الجند . ومن ناحية تحصين المدينة ذاتها وكفيتها مبادي . روى ابن الأثير في هذه الفقرة كانت تعاني نقصا من ناحية قواتها المدافعة والمهاجمة ، وكان الواجب أن يبرز لها دور كاف منهم .

(٢١) البلاذري المصدر السابق .
(٢٢) الطبري مصدر سبق ج٧ ص ٢٠ .
(٢٣) البعقوبي مصدر سبق ج٢ ص ٣٢٩ .

جهاد المرأة في ملطية :

ذكرت المصادر أن الروم عندما هاجموا المدينة سنة ١٢٢ هـ ، أحرق أهلها أبوابها ، وظهرت النساء على السور عليهن العمائم فقاتلن (٢٤)

وهذه الحادثة شهادة طيبة بوعي المرأة المسلمة في ملطية وجرأتها ونصديتها لتحمل استوائيه وصحبتها ، وتشمل في نفس الوقت عدم كفاية المدينة من الجنود الحاربين ولعل فوانها الرئيسيه كانت في مهمة عسكرية خارج المدينة عند هجوم الروم عليها .

وقد استنجد أهل المدينة بأخليفة هشام بن عبد الملك ، مدعا الناس إلى الخروج إياها والإصمام في مجديها . ثم «في الخبر برحيل الروم عنها (٢٥) ، وهذا الرحيل بسبب بسالة المقاومة الإسلامية التي تحمل العبء الأكبر منها هؤلاء النسوة من سكن المدينة ، وحصصه لدية ، وقد يكون سببه ما يفهم من نذب الحليمه الناس للخروج في ملطية لحمايتها والدفاع عنها .

(٢٤) البلاذري مصدر سبق ص ١٩٠ .

(٢٥) المصدر السابق .

وعلى كل حال فقد لبس هجوم الروم نظر الخليفة إلى ضرورة الاهتمام بهذه المدينة ، الاستراتيجية ، وتدعيمها عسكريا ، فبعث مع الرسول الذي جاء يستنجد به خيلا لقرايط في المدينة ورأى ان يزد في تحصينها ومبانيها ، وذهب لتحميم ذلك بنفسه ، وتزل بجنده وعسكر فيها حتى تم بناء ما يلزمها (٢٦) .

وأصبح المدينة أكثر كماء للقيام بمهمتها في صيانة الحدود الإسلامية ، والهجوم على البلاد البيزنطية ، وأزعج ذلك البيزنطيين وأذاهم . ولذلك عندما وانتهى الموضع اتجهوا للهجوم عليها وتخريبها ، وكانت هذه الفرصة هي الفتن والاضطرابات والحروب التي صاحبت سقوط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس سنة ١٣٢ هـ ، وانشغل الدولة الجديدة بتثبيت أركانها وتدعيم قوتها ، واقتل الامبراطور البيزنطي « قسطنطين الخامس » (٧٤٠ - ٧٧٥ م / ١٢٢ - ١٥٨ هـ) بنفسه إلى عائلته ، وعرج على « كمخ » بل مجيئه إلى ملطية ، وكانت بيد المسلمين ، ووالها أحد بني سليم ، فبعث أهل كمخ إلى أهل ملطية يستنجدون بهم فبعثوا إليهم بثمانمائة مقاتل (٢٧) وهذا يدل على تعاون مدن الثغور ضد العدو المشترك انطلاق من مبادئ الاسلام الداعية إلى تعاون المؤمنين جميعا في السراء والضراء ، وبصرة الأخوة في الدين ، كما يدل على شعور أهل ملطية بأنهم ينحملون

(٢٦) المصدر السابق .

(٢٧) المصدر السابق ، ابن الاثير مصدر سبق جاء ص ٢٤١ .

مسئولية أدبية تجاه الدغور عامة وشغور الجزيرة خاصة في هذه الفترة المبكرة من تاريخ المدينة ، كما نأمس كذلك روح لإبذار والتضحية ، ففي الوقت الذي أدرك فيه أهل مطية أن لدائرة سوف تدور عليهم ، وأن الروم — لا مدلة — سوف يقصدون بلادهم لم يبذلوا على اخوانهم أهل كمنح بالمساعدة .

وهذا العدد النازل من جنس مطية تم يتمكن من ، لاقتصار على الروم ، تدبى كانت أعدادهم — بلا شك — شوق هذا العدد أصعاف مصابة ، قد كان على رأس هذا ، المجيش الأمبراطور نفسه ، وديبرون . وجاء مصنفين الخامس إلى كمنح فبسل مطية وهي ال منها شأنا كان وفق حطة وضعها لإلقاء الرعب من قارب أهل مطية وإصعاف عرائضهم ، ثم ضرب الحصار حول مطية ، وحاول أهلها الاستنجاد بأهل الحزة ، وكان وأنها موسى بن كعب النعمى . فلم يمكنه إياهم (٢٨) وهي روية النعقودي أنه زحف للقاء مائ الروم ولكن لم يكن بينهم لقاء (٢٩) .

وأراد فمطنطين الخامس أن يكمل مخططه في السشير النفسى السبى على أهل المدينة فأرسل إليهم : « يا أهل مطية إنى أم أنكم إلا على علم بأمركم ، وتشاغل سلطانكم

(٢٨) المصدران السابقان .

(٢٩) ج٢ ص ٢٦٢ .

عنكم ، وطلب منهم الخروج من المدينة ، وضمن لهم الأمان ،
وأوضح لهم أن هدفه هو تخريب هذه المدينة ثم تركها
بعد ذلك (٣٠) .

ومثلت خطة مسخطين الخامس ، وأدى أهل ملطية
الخروج منها بسرعة من الظروف السيئة التي كنت تلم
بالدولة الإسلامية وظهروا بذلك شجاعتهم وعنادهم وقوة
إيمانهم ، وثقتهم بأنفسهم ، وحينئذ لحا قسطنطين إلى
أنه نكسهم مرة ، سلحة ورسائل التدمير ، فصب الحائط
وأحكم حصار المدينة . حتى أنيا من ملطية استعيروا جهدهم
شدة البلاء ، ولم يجدوا مناصا من المسلمين . واشترطوا على
ملك الروم أن يرد لهم الأمان حتى يخرجوا من المدينة ،
وتجهزوا للخروج منها ، وقرروا على أن يحمروا بهم
ما يمكنهم حماه ، وما غدروا من حماه التمره في الأبار
والمحايء (٣١) ، حتى لا يفتح بها أسروم ، ثم فلا في العوده
إلى المدينة بعد ذلك ، سمكهم إخراجهم ولاسح به .

وذهب أهل ملطية إلى الجزيره متفرقا فيها ، وهدم الروم
المدينة حتما كما حسب رواية البلازري - ولم يبق منها إلا
هريا شعث منه الروم شيئا يسيرا ، (٣٢) .

(٣٠) بلازري مصدر سبق ص ١٩٠ ، ابن الأثير مصدر سبق
ج ٤ ص ٢٤١ .

(٣١) المصدران السابقان .

(٣٢) ص ١٩١ .

(٣٣) البلازري ص ١٩٠ ، ابن الأثير مصدر سبق ج ٤ ص ٢٤١ .

كما هدموا أيضا حصن مؤذية ، ثم رحلوا عنها عائدين إلى بلادهم .

ورواية اليعقوبى لا تشير إلى هدم الروم للمدينة ، وإنما تدل أن فسطاطين حاصر المدينة ، ثم هـ صالـح عـيـهـ (٢٤) ولعل مما يؤكد الرواية الأخيرة ، وأن المدينة بقيت بترن نحريب ، ما وردته المصادر من هجوم فسطاطين الخامس بعد خمس سنوات مرة أخرى إلى المدينة وذلك سنة ١١٨ هـ ، فدخلها عنوة وهدم سورها ، وعفا عن نفسها من المقسامة والخزية (٣٥) ، إلا إذا اقتصنا أن المدينة عرفت خلال خمس السنوات هذه - وهو ما لم نشر إليه المصادر - وإذا افترضنا ذلك فيستبعد أن تكون الدولة العباسية هي التي برئت منه ذنبه وسعـرها في هذه الحـدـة ، بطرا لاشغالها بنـثـيـبـهمـرذها ، وبنـثـيـبـدعائـمها ، ومن الجائر أن مجـهـرـدات جمـهـرـر المسلمين الحاصـة هي التي كانت وراء ذلك .

وسواء صحت هذه الافتراضات أم لم نصح ، فقد كانت المدينة عندما نولى أبو جعفر المصور الخلافة (١٢٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م) في وضع يستلزم بنائها أو استكمال بنائها ، وتحسينها أو زيادة هذا التحسين .

(٢٤) ج ٢ ص ٣٦٢ .

(٢٥) الطبرى مصدر سبق ج ٧ ص ٤٩٧ ، ابن الأثير مصدر سبق ج ٤ ص ٢٥٩ ، ابن كثير ابن عديم إسماعيل بن عمر . البداية والنهاية ج ١٠ ص ٧٣ الطبعة الأولى دار الفكر العربى القاهرة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م .

العمارة الثالثة :

سعت أبو جعفر المنصور سنة ١٣٩ هـ إلى مطبة صالح ابن علي والعباس بن محمد ايقوما بمهمة بناء المدينة ، فمكثا بها حتى استقما ببناءها (٣٦) ، وعزا هذا العام من حرب مطبة جعفر بن حنظلة البهراسي (٣٧) .

وببدو أن المدينة بعد بنائها سنة ١٣٩ هـ لم تكن على المستوى الذي نراه لها الحديث المنصور ، فقد أرادها مدينة موحدة تتسبب مع قوة الدولة لحدبة ومقربها ، وأرادها تسعة حصون على وجه من تسول له نفسه مهاجمة الحدود الإسلامية كما أرادها مركزا عسكريا موحدا يسطر منها المجاهدون يرد بلاد الروم . ويحدث بعد في العام التالي عبد الوهاب بن ابيه ابراهيم الإمام إلى المدينة ، وجعله والناس على الجريد وبغورها ، وبعد منه القائد العظيم الحسن بن قحطبه ، في العام ١٤٠ هـ بن جعفر خراسان ، وأمرهما ببناء المدينة (٣٨) .

وقتل الحديث عن بناء المدينة للمرة الثالثة ، موضح بن

(٣٦) الطبري المصدر السابق ج٧ ص ٥٠٠ ، ابن الاثير المصدر السابق ، ابن كثير مصدر سبق ج ١ ص ٧٤ .
(٣٧) ابن الاثير المصدر السابق .
(٣٨) المصدر السابق ج٤ ص ٣٦٥ .

الروم أدركوا الخطر الذي تمثله هذه المدينة على حدود بلادهم وأمنها لو تم بناؤها وتحصينها - كما رغب الخليفة آنصور - ولذا تكبهن قسطنطين الخامس سنة ١٤٠ هـ عندما بلغه عزم المسلمين على بنائها . وعزم على الحملولة دون تحصيل دمالغة ركن قسطنطين أكثر من غيره إدراكا للاستراتيجية، هذه المدينة ، فقد باشر بنفسه الهجوم عليها قبل ذلك ، وعرف ما تتمتع به من أهمية . وقد أعد جيشا كبيرا عدته أكثر من ١٠٠ ألف رجل « جبحان » في طريقه إلى ماطيه ، ولكن بلغه كثرة المسلمين فتراجع عن مهاجمتهم (٣٩) والحقده ان جيش المسلمين كان من بخسر عن جيش البيزنطيين ، كما ذكره بعض المصادر (٤٠) فعمل المسلمين - في هذه الفترة نجحوا في اتخاذ عملاء لهم عند الروم يذيعون عنهم الأخبار التي تشبط عزائمهم وهدت الرب في قلوبهم ، وأيما كان الأمر فهي إرادة الله تعالى أن يتم بناء المدينة لتؤدي مهمتها في جهاد الروم .

وبدأ الحسن بن فحطية مهمة بناء المدينة بجمع المعلقة وعمال البناء ، وسخر العدد الكبير من جده في المساعدة في عملية البناء ، وضرب من حمله الحل أمامهم مكان يحمل الحجر ودفنوه البناء ، وننافس الوالى عبد الوهاب ابن ابراهيم الإمام مع الحسن فحطيه في تشجيع المشاركين في عملية البناء بإطعامهم وإكرامهم ، وعنه في بقاء الهمه

(٣٩) البلاذري مصدر سبق ص ١٩١ ، ص ١٩٢ ابن الاثير المصدر السابق .

(٤٠) المصدران السابقان .

والنشاط في أعلى درجاتها حتى يتم البناء في أسرع وقت ممكن ، وإذا فرغ المسلمون من بناء مطبخة ومسجدها في ستة أشهر (٤١) .

وقد أعطانا البلاذري صورة لمبنى المدينة ، مبين أن منزله كان يتكون من طابقين و سحرى ذل منزل دن ترسيين في الطابق الارضى وفوقهما غرفتان في الطابق الثانى ويلحق بكل منزل مصطل ، ويسكن كل منزل عرافه ، والعريسة سرء تار بى خمسة عشر .

وذكر البلاذري امتتام العباسيين بحصين المدينة ، هدموا لها مسجد على بعد ثلاثين ميلا منها ، ومسحة على دهر مدنى « مباب » ، حد روافد نهر الفرات ، كما بنوا حصن « دودة » وزودوا المدينة بما تحتاج اليه من السلاح والدحائر ، واكثروا من ذلك (٤٢) .

(٤١) البلاذري المصدر السابق ص ١٩١ ، ابن الاثير المصدر السابق .

(٤٢) المصدر السابق .

تعمير المدينة :

حرص العباسيون على تعمير المدينة ، وحذب الخاضعين والجنود إلى سكناها واستعانوا على ذلك بشحن الخسريين المادية من زيادة العطاء والمنح المالية ، وإقطاع الجند المزارع وقد استكن المصور أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة مطية ، ورادى عندهم شهر دناير بالإصافة إلى مائة دينار معونه ، سوى الجعل الذى يحاؤه السائل ببنها (٤٣) وحرصت الدولة العباسية على توفير الأمان لأهلها ، وقطع أهل الروم من الأسقياء عليها ، فانهذب اليهم فى سنة ١٤١ هـ محمد بن ابراهيم فى جند من أهل خراسان ، وتلى شرطه السيب بن زهير لرباط فيها (٤٤) .

اذلك عاد الى المدينة من كان قد تفرق من أهلها فى أنحاء الجزيرة بعد تخريب الروم لها قبل ذلك (٤٥) ، ومما زاد فى عمرها من الدفعة بـنبارها تغرا من تغور السمن الهمه ورباطا لهم ، كتب مصد الراغبين فى الجهاد والربطه فى سبيل الله نعتى ، كما أنفق المحسنون على التغور ، وأوقفوا عبيها ، إعانة لأهلها ، وتشجيعا لهم على مواصلة الجهاد والمرابطة والإقامة فى المدينة ، وكانت ملطية ، وغبرها

(٤٣) المصدر السابق .

(٤٤) لبلاذرى المصدر السابق من ١٩٢ ، الطبرى مصدر سبق ج٧

ص ٥١٠ ، ابن كثير مصدر سبق ج١٠ ص ٧٧ .

من الثغور - بلاضافة الى ما نذكره - فكانا ينسفن اليه
المغضوب عليهم من العسكريين ، كما حدث لوصيف التركي .
عندما بعث به الخليفة المنصور الى الثغور سنة ٢٤٨ هـ (٤٦) ،
كما كانت الثغور متجاهة من لم بحائلهم الحط في محال السياسة
وقرض النفود ، أو خاموا انتقام من هو أعلى من لحظة ، كما كن من
هؤنس الخاتم سنة ٣١٥ هـ ، عندما بلغه عزم أم الخليفة
المتنذر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢ م) على قتله ، حيث
طلب الإذن بالحروح الى الثغور ، وأجيب طلبة (٤٧) .

(٤٥) بلادري المصدر السابق ، ابن الأثير مصدر سبق ج ٤ ص ٣٦٥ .
(٤٦) الحبري مصدر سبق ج ٩ ص ٢٤٢ ، ابن الأثير المصدر السابق
ج ٦ ص ٣٠٧ .

(٤٧) القرمي : غريب بن سعد صلة تاريخ الطبري ج ١ من تاريخ
لطيبي ص ١١٥ دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ م ، بهدائي : محمد بن
عبد الملك تكملة تاريخ الحبري ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٥٤ دار
المعارف القاهرة ١٩٧٧ م .

دور ملطية في جهاد الروم

العوامل التي أعانتها على أداء هذا الدور :

كان دور ملطية في جهاد الروم دورا كبيرا سواء في الدفاع أو الهجوم ، وقد أعانتها على ذلك :

أولا : الموضع المتميز في إقليم الجزيرة ، ودورها من ثروم .
ووقعها عند أحد المرات المؤدية من إقليم الجزيرة الى اراضي
الدولة البيزنطية (٢٨) .

ثانيا . العدد الأكفأ الذين قادوا الجيوش منها نفرو
بلاد الروم ، وفي مقدمة هؤلاء القادة ، عمر بن عبد الله
الأفطح الذي برز اسمه سنة ١٦ هـ / ٦٢٧ - ٨١٨ م عندما
تمكن من هزيمة اسناد البيزنطي ، ليوكسندوس ، (٢٩) ،
ورمى اسم مددته منطية غالبا ، بسبب غزواته التي توغل
فيها الى من الاراضي البيزنطية ، وانقرن اسم المدينة باسمه
وكان من أسباب لفت انظار البيزنطيين الى أهمية هذه

(٤٨) ابن حوقل - مصدر سبق ج١ ص ٢٠٨ .

(٤٩) هـ - سلمان مرجع تقدم ص ٤٠ - نقلا عن

Symeon Mngistor; Annales. p. 654 .

المدينة ، وقد استشهد هذا القائد في إحدى غزواته الفدائية داخل بلاد الروم سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٢ م (٥٠) .

وقد وصف الطبري عمر بن عبد الله الأقطع وعلى بن يحيى الأرمي الذي نولى إمرة طرسوس واستشهد هو الآخر بعده بقتيل فقل . « كانا نابيين من أضياف المسلمين شديد بأسهما ، ظيما عناؤهما عنهم في الثغر القتي هما بهاء (٥١) .

وقال المسعودي عنهما . « إنهما كانا من أهل الباس والنجدة والمكايد في النصرانية ، حتى إن الروم صسوروا في كنائسهم عشرة من كبار فراد المسلمين من بينهم عمر بن عبد الله الأقطع ، وعلى بن يحيى الأرمي » (٥٢) .

ومن الزواد العظام الذين قادوا الجيوش منها إلى بلاد الروم ، هؤنس الخادم الذي لعب بالخطر لشجاعته وانتصاره في المعارك الذي حاضها وقد قام بمناذره بعض بطوائف من هذه المدينة ، رأى سر له أن يتفرغ للمجاهد من هذا الثغر لثقت بفتن طبعه لإدارة الإسلامية ولكنه شغل بالأمورات

(٥٠) اليعقوبي ، مصدر سبق ج٢ ص ٥٠١ ، الطبري مصدر سبق ج٩ ص ٢٦١ .

(٥١) الطبري مصدر سبق ج٩ ص ٢٦٣ .

(٥٢) روح الذهب ومعادن الجواهر ج٢ ص ٤٥١ ، المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٦ هـ .

والمتن في عاصمة الخلافة وانتهى الامر بمقتله سنة
٢٢١ هـ (٥٣) .

ومن القواد الذين أدوا دورا مشكورا بهذه المنية . محمد بن
سعيد بن حمدان حاكم دار ربيعة و الموصل ، الذي كان به
سلطان كبير في حبص المدينة من سبطه الروم سنة ١١١ هـ .
فقد سار إليها بجيشه وعندما علم الروم بقتل حبيبها من أبيه
فدخلها ثم استخلف عليها أميرا وخرج منها ، وغزا بلاد
الروم (٥٤) .

ثم يعرف الثعور الأخرى معها ، ووصفها بجليلها
عند الشدائد ، كما كانت منحه نفعك ذلك أيضا معهم ، ومن
الأهمل في ذلك ما حدث سنة ٢٢٣ هـ عندما هاجم الامبراطور
« ثيوفيل » (٨٢٩ - ٨٤٢ م / ٢١٤ - ٢٢٧ هـ) ملطيه وريداره .
وكان يهين أهل الثعور الأخرى في الجزيرة والشام فحدهم
إخوانهم ، وأم سعد بن نجدتهم « إلا من لم تكن لديه «أداة
أو سلاح» (٥٥) .

وعندما تقدم الامبراطور « بيسيل الأول » (٨٦٧ - ٨٨٦ م

(٥٢) ابن الأثير مصدر سبق ج٦ ص ٢٢٤ - ص ٢٢٩ ، ابن كثير
مصدر سبق ج١١ ص ١٧٣ .
(٥٤) ابن الأثير المصدر السابق ج٦ ص ٢١٧ ، ابن كثير المصدر
السابق ج١١ ص ١٦٧ .
(٥٥) ابن الأثير ج ٥ ص ٢٤٧ .

٢٥٣ - ٢٧٣ هـ) الى ملطية لفتحها سنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م ،
تعاون المجاهدون في ثغرى الحدث ومرعش مع الجامعين في
ملطية ، ونجحوا في صد الامبراطور وهزمته (٥٦) .

رابعا : موقف الخلافة العباسية المساند لها بدمبارها
مدينة ثغرية نابعة لها نحرى محطة الجزيرة مل والعمرى
لدى سمق قبة ، صممة الخلافة ، وإذا كانت الخلافة - وبخده
هى مترب موبها - تصمد المتعور كلها إلا انها كما تتسبب
، صادر كذف نولى منطية مزيدا من العناية والاهتمام ، وقد
يكرن ذلك - بالاحسان الى ما الحف البى من حمايتها ، يصم
الجزيرة والعراق - لأن كثافة الجند بها ومواردها المنيصة
، مل من مدينة كرسوس الثغر الأول بين بغور الشام ، وقد
لم تذل طرسوس ما نالته ملطية من الرعاية .

وقد دبر الخلافة العباسية طول تاريخ المدفنة
، ر ما هى إرسال الحيوش اليها لتخرج نغزو المصانعة منها ،
بحاب قواب المدفنة الدائمة ، وكانت تحرض على ان يبرى
، باده هذه المصوائف حبره فوادعا ، وقد رابط فى هذه المدفنة
بعد بنائها محمد بن ابراهيم الإمام سنة ١٤١ هـ (٥٧) ومن
أمثلة حرص الخلافة على قيام ثغر ملطية بواجبه فى الجهاد
والإفادة من مرعشها الهام ، أنها أرسلت العباس بن الأثرن

(٥٦) الطبرى مصدر سبق ج٩ ص ٦١٢ .

(٥٧) المصدر السابق ج٧ ص ٥١٠ ، وابن كثير مصدر سبق ج١٠

الى ملطية سنة ٢١٥ هـ ليغزو الروم (٥٨) ، ووجه الخليفة
المنتصر وصيها السركى الى ملطية لغزو الروم سنة
٢٤٨ هـ (٥٩) ونعت الخليفة المسعيني (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ ٨٦٢
- ٨٦٦ م) جعفر الخياط - من كبار قادة الدولة العسكرية
- لغزو الصائفة من ملطية سنة ٢٤٨ هـ ، وضم اليه امير
المدينة عمر بن عبد الله الاقطع (٦٠) .

ووجه الخليفة المعز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ - ٨٦٦ - ٨٦٦ م)
مزاحم بن حسان بن ملطية لحرب الروم الذين غاروا على
المدينة عدة مرات (٦١) ، وفي سنة ٢٩٦ هـ وجهت الخلافة
السياسية جنودا كثيفا لغزو الروم ، وعلى رأسه القائد البار
مؤسس الخادم . وكان يرافقه القائد أبو الأثر السلمي ،
ونجحت هذه الغزوة وعادوا بعدد من سرى الروم (٦٢) .

هذا ولم تنقطع عبادة الخلفاء بملطية ، واهتمامها بأمر

(٥٨) الطبري المصدر السابق ج ٨ ص ٦٢٢ ، ابن الأثير مصدر
سبق ج ٥ ص ٢١٩

(٥٩) الطبري المصدر السابق ج ٩ ص ٢٤٢ ، ابن الأثير المصدر
السابق ج ٥ ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٩ .

(٦٠) النيعقوسي مصدر سبق ج ٢ ص ٤٩٦ ، الطبري المصدر السابق
ج ٩ ص ٢٤٢ .

(٦١) النيعقوس المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠١

(٦٢) الطبري مصدر سبق ج ١٠ ص ١٤٢ ، ابن الأثير مصدر سبق
ج ٦ ص ١٢٥

الغزو منها إلا بعد انسداد خطر القرامطة (٦٣) حوالى سنة ٣١٢ هـ وامتداد هذا الخطر إلى سنة ٣١٩ هـ ، وقد سقطت المدينة فى ايدى الروم فى اواخر هذه المدة ، وحرصت الخلافة العباسية بعد أن خف خطر القرامطة على إعادته منطية ، ووكلت لهذه المهمة إلى سعيد بن حمدان وولاه ارضه ودار ربيعة شريطة تنفيذ هذه المهمة بغزو الروم (١٤) ، مما استنزف العاصمة من تاريخ المدينة وحتى سيموطها فى ايدى الروم سنة ١١١ هـ ، وقد اسعفت الخلافة عنها بما كان من مؤامرات القادة العسكريين وما اثاروه من فتن .

كما . مما أن ملطيه على اداء دورها فى الجهاد من الثغور ضد . اعتبر العباسي الاول كانت قد استكملت بناء وإعدادا وتسلحا ، وأصبحت مؤهلة للقيام بهذا الدور . إلى . إلى لطم اللى وضعه الحليفة هارون الرشيد لهذه الثغور ، وهو منتج لولاتها فحرا من الاستقلال وحسرة البصر فى مواجهه المواقف المختلفة (٦٥) .

(٦٣) القرامطة نسبة إلى قريظ بن . شعت ، وهى من الحركات التى تظاهرت بالاصلاح الاجتماعى ، واتحدت من الدين ستمرا لتحقيق اغراضها فى السيطرة واصطبحت بصبغة شيعية ، وقد ارتكبت القرامطة الاغرامية . وروعوا الامنين . وكان اول ظهورها بالكوفة ثم صدرت البحرين مركزا نشطا لدعوتهم وقد ضعفت هذه الدعوة وتلاشى اثرها فى اواخر القرن الرابع الهجرى . انظر القرطبي : مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى من ٩٧ وما بعدها ، الهذلي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى من ٢٤٢ وما بعدها .

(٦٤) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ من ٢١٦

(٦٥) محمود : د . حسن احمد و د . احمد الشريف العالم الاسلامى فى العصر العباسي من ١٦٩ الطبعة الجامعة دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ .

سادسا : معاونة طائفة المسيحيين (٦٦) على سيرة من فترات تاريخ ادييه ، فقد كان لهذه الطائفة دور كبير في مساعدة المسلمين في الثغور عامه ، وهي ملطية على وجه الخصوص ، نظرا للقرب المكاني ، حيث اتخذت هذه الطائفة المسيحية من « تمريك » على حدود ارمينية مركزا لها وقد صبت النولة البيزنطية العداء ، واشتركت مع المسلمين في غزو الأراضي البيزنطية (٦٧) ، ولما هاجمت القوات البيزنطية الثغور اسجربه سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م اشترك زعيم البيالصة « درباس » مع امير ملطية عمر بن عبد الله الاقطع في الرد على هذا الهجوم ، وبادر البيزنطيون بالهرب (٦٨) ، وعندما اراد الامبراطور ميخائيل الثالث (٢٢٧ - ٢٥٣ هـ / ٨٤٢ - ٨٦٧ م) أن يثار لورييمته القدسية في سمسطا عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م (٦٩) خطط للزحف في العام التالي إلى ملطية و«تمريك» عاصمة البيالصة ، وما إن تحرك بجيشه سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م حتى عام باقتراب الخطر الروسي من عاصمة بلاده ، فرجأ الخطة (٧٠) ، وادتهز المسلمون وحشائهم من البيالصة

(٦٦) البيالصة تباع مذهب بواس الشمشاخي الذي يقول بأن المسيح انسان فقط وأن الله تعالى تيفاه - تعالى الله عن ذلك - وهو مذهب يقع راس مع المذهب الارثوذكسي الذي تسير عليه النولة البيزنطية ، ولذلك اضطهدت أصحاب هذا المذهب وعملت على تصفيتهم * د . سليمان مرجع سبق ج ١ ص ٤١ ، ص ٤٢

(٦٧) المرجع السابق *

(٦٨) الطبري مصدر سبق ج ٩ ص ٢٠٧

(٦٩) د . سليمان مرجع سبق ج ١ ص ٤٤ نقلا عن

Theophans Cotinuas, pp. 177. Born 1838 .

(٧٠) د . سليمان مرجع سبق ج ١ ص ٤٤ نقلا عن :

Obolensky' D' The Russian Conqueror of Eastern Europe 500 143 pp 182 193

ذلك ، وسترك « تريباس » زعيم البيزنطية مع عمر بن عبد الله
الاقطع أمير ملطية وعلى بن يحيى الأرمني أمير طرسوس ،
وقائد ثالث هو « بلكا جور » في غزو الأراضي البيزنطية سنة
٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م (٧١) وظل اسعانون ثلثا بين البيزنطية
وملطية وسائر الثغور الإسلامية حتى درك ، بطره الروم
صروره القضاء في هذه المناطق وحرمان المسلمين من
معاونتهم ليقبض لهم هزيمة المسلمين وإسقاط ملطية وغيرها
من الثغور ، وتمكن بإسبيل الأول من تحقيق ذلك سنة
٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م (٧٢) .

دورها في الجهاد :

وقد تأثر هذا الدور بامانة ابنى كانت عليها الدولة
العباسية مره وصعفا ، كما اثر فيه كذلك الوضع في الدولة
البيزنطية ، كما ن شرح الأحداث التالية ذلك ، ويمكن تقسيم
هذا الدور إلى ثلاث فترات .

الأولى من سنة ١٤٠ هـ - ٢٣٢ هـ (٧٥٧ - ٨٤٦ م)

(٧١) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٧٢) عاشور : د . سعيد عبد الفتاح أوربا نعصور ، توسطى ص ٢٨٤
الطبعة الاولى مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٨ م . د . سيدان المرجع
السابق ج ١ ص ٤٩ نقلا عن

Cambridge Medieval History' Vol . Iv' P1. PP113 120 .

الثانية من سنة ٢٣٢ هـ - ٣١٢ هـ (٨٤٦ - ٩٢٤ م)

الثالثة من سنة ٣١٢ هـ - ٣٢٢ هـ (٩٢٤ - ٩٣٤ م)

المقدرة الأولى من سنة ١٤٠ هـ - ٢٣٢ هـ (٨٥٨ - ٨٤٦ م)

وكان ميزان القوى بين الجانبين البيزنطى والإسلامى
يميل ناحية المسلمين ، فقد احرز المسلمون انتصارات رائعة
على البيزنطيين ، واضطر بعض اباطرة البيزنطيه إلى طلب
الصالح و التمهيد لدفع الحربه ، كما فعلت الإمبراطوره يرين
(١٨٠ - ١٨٦ هـ / ٧٩٧ - ٨٠٢ م) والامبراطور نقفور
(١٨٦ - ١٩٥ هـ / ٨٠٢ - ٨١١ م) (٧٢) ، ثم تعرض
الجانبان منذ عهد المأمون وحتى نهيه العصر العباسى الاول
لفتن داخلية ومحطات خارجية اثرت على ميزان القوى
بينهما ، ففي الجانب الإسلامى كتب ثورات العلويين فى
الكوفة واليمن ومكة فى عهد المأمون (٧٤) (١٩٨ - ٢١٨ هـ /
١١٣ - ٨٢٣ م) ، وثوره نك الحرمى سنة ٢٠١ هـ وبم ديم
إحمادهما إلا فى عهد الحليمه المصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٢٣ -
٨٤٢ م) وذلك سنة ٢٢٢ هـ ، وثوره الميائل العربية حول
المدية وفى ذلك ، وثورة الخوارج فى ديار ربيعة ، والأكراد
فى مناطق أصبهان والجبيل وفارس (٧٥) .

(٧٢) الطبرى ج ٨ ص ١٥٢ ، ص ١٥٣ ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨

(٧٤) المصدر السابق ج ٨ ص ٥٢٨ ، وما بعدها .

(٧٥) المصدر السابق ج ٩ ص ١٢٩ ، وما بعدها .

أما الجانب البيزنطى فقد دمث الفن الداخلية فى
الناحية الدينية حول الأيقونية (٧٦) ، وكانت أكبر الثورات
الداخلية تلك الثورة التى قام بها « توماس السلافى » ورفع
فيها شعار الحزب الأيقونى ، وتمكن من حصار القسطنطينية
وكاد أن يستولى عليها لولا نجاح الامبراطور ميخائيل
العمورى فى صدده وهزيمته ، وكان لهذه الثورة آثارها
الخطيرة على الأوضاع فى الامبراطورية البيزنطية (٧٧) .

وكانت مشاكل الدولة البيزنطية الخارجية تشمل
الباغراتيين الذين هاجموا بعض جهات الدولة ، واضطر
الامبراطور ميمور إلى النزول بنفسه إلى ميدان القتال معهم
ولكنه قتل فى حروبه معهم سنة ٨١١ م / ١٩٦ هـ ، مما
الامبراطور ليو الأرمنى (١٩٨ - ٢٠٥ هـ / ٨١٢ - ٨٢٠ م)
فقد أنزل بهم هزيمة ساحقة سنة ٨١٤ م / ١٩٩ هـ واضطروا
إلى طاب الصلح (٧٨) كما تمثلت المشاكل الخارجية فى
الصرب الذين هاجموا إقليم دالماتيا واسبيلاء المسمين على
كرب سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م وبدء فتح صياية منذ سنة ٢١٤ هـ /
٨٢٩ م (٧٩) .

(٧٦) الأيقونية تقديس الصور والتماثيل المتعفة بالدين ورحاله
وعبادتها . هسى . ج . م العالم بيزنطى ص ١٢٢ - ص ١٢٩ ترجمة د .
رأفت عبد الحميد . طبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ م . يوسف .
د . جوزيف نسيم تاريخ لدولة البيزنطية ص ١٢٣ وما بعدها الاسكندرية
١٩٨٨ م .

(٧٧) د . يوسف المرجع السابق .

(٧٨) د . عاشور مرتضى قسم من ص ٢٧٦ - ص ٢٧٨ .

وبما رغم من هذه المشاكل فإن المواجهات العسكرية
 لم تدوم بين الجانبين ، وفي سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م تم
 المعساس بن المأمون بغزو بلاد الروم انطلاقاً من ملطية (٨٠) ،
 وفام الامبراطور « ثيوميل » بهجوم على مدينة ملطية
 وربطاً سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ م بتحريض من نائب الذرى
 الاثر على الخلافة العباسية ، وكان الامبراطور « ثيوميل »
 فى هذه المرة كان المأمون يسبح الصفر البيزنطى
 « زماس الملائى » ، و « ثيوميل » فى هذه
 اكثر من اثبات امره « ثيوميل » ، و « ثيوميل » فى هذه
 الممن (٨١) ، و « ثيوميل » فى هذه
 « ثيوميل » ، و « ثيوميل » فى هذه
 فريجيا بآمرها الصفرى سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ - ٨٢٨ م رأى
 شرف مدينة « ثيوميل » فى هذه (٨٢) .

وبالذات الهزائم على البيزنطيين فى نهاية هذه الفترة
 على الجبهة الإسلامية ومن ذلت هزيمة « ثيوميل »
 « ثيوميل » ، و « ثيوميل » فى هذه
 سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م (٨٣) ، و « ثيوميل » فى هذه

(٧٩) المرجع السابق .

(٨٠) الطبرى مصدر سبق ج ٨ ص ٦٢٢ . بن الاثير مصدر سبق
 ج ٥ ص ٢١٩ .

(٨١) الطبرى ج ٩ ص ٥٥ ابن الاثير ج ٥ ص ٢٤٧ ابن كثير ج ١٠
 ص ٢٨٥ وقد ذكر ابن كثير أن غارة ثيوميل كانت على ملطية وحدها .

(٨٢) الطبرى المصدر السابق ج ٩ ص ٥٥ ، ص ٥٧ ، ص ٧٠

(٨٣) « سليمان ج ١ ص ٤٠ نقلاً عن :

Symeon Mngistor; Op. Cit P. 66.

الهدنة وتبادل الأسرى ، ووافق الخليفة الوثقى (٢٢٧ هـ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧ م) وتم تبادل الأسرى (٨٤) .

الفترة الثانية ٢٣٢ - ٢١٢ هـ (٨٤٦ - ٩٢٤ م)

وهى مآول الفقرات وأدائها تعبيراً عن الدور الذى قامت به العرب فى جهاد البيزنطيين ومع أن الخلافة لم تغفل عن إرسال الجيوش إلى المدينتى بغزو الروم فى أغلب الأوقات ، إلا أن هذه الفترة من العصر العباسى الثانى الذى تميزت بصفاء الخلطاء وتمسك الخلفاء بالأثرى ، وانقضاء شمسهم الخديفة المجاهد الذى غزو بنفسه بلاد الروم ، قد ضاعفت من مسؤولية أمير ملطية وغيره من وراء النهر وحملات أهلها على حد كبير نبة حماية الحدود الإسلامية ، وكانت المدن التى كانت تحت حكم الدولة العباسية والفتى كانت المستعمرات لشاعل لمسؤولين قد صرفتهم تماماً عن الالتفات إلى النفر وما يجرى فيها ، ونحمل امراء النهر حصة مسؤولية كماله فى الحرب ضد البيزنطيين كما حدث عنهم فتتغيات أسلامية بالمية بالفتنة فى أرمينية سنة ٢٢٧ هـ / ٨٥٢ م ووجهت رسالة إلى هذه المطقة (٨٥) فقد تحمل أمير ملطية عمر ابن

(٨٤) الطبرى مصدر سبق ج ٩ ص ١٤١ ، ص ١٤٢

(٨٥) المصدر السابق ج ٩ ص ١٨٧ ، ص ١٨٨

عبد الله الأقطع المسئولية كاملة ، كما تحمل غيره من أمراء
الثغور - من مواجهة البيزنطيين ومأم عمر بغارات ناجحه
على الأراضى البيزنطية واضطرب الإمبراطورة ثيودورا أمام
التفوق البرى للقوات الإسلامية فى منطقة الثغور إلى الأجور
إلى السلاح البحرى ، فهاجمت أساطيلهم ميناء دمياط سنة
٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م ، وكان هذا الميناء يهجم المساعدات لمسلمى
إقريطش (كريت) (٨٦) ، وبالرغم من نجاح هذه الحملة
البحرية إلا أن الإمبراطورة رأت عدم جدوى ذلك وأنه لا يؤبر
على تفوق المسلمين البرى فى منطقة الثغور ، ورأت عقد
الهدنة وتبادل الأسرى وتم ذلك سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م (٨٧) .

وتجددت المعارك على الحدود الإسلامية البيزنطية فى
العم التالى ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م وكان مجاهدى ملطية بقياده
أمير المدينة عمر بن عبد الله الأسطع المدح المعلى فى هذه
المعارك ، ومأم ولاية الثغور سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م بغزو بلاد
الروم منتهزين انشغال البيزنطيين بالخطر الروسى ، وسيدو
أن هذا الغزو كان فوياً لدرجة دمعت الإمبراطور ميخائيل
الثالث إلى الخروج بنفسه لصدده ، وكان مجاهدى ملطية
ومرها عمر بن عبد الله الأقطع دور مميز فى التصدي
لإمبراطور ، فبعد أن ألحقوا به هزيمة نكراء ، قاموا بملاحقة

(٨٦) المصدر السابق ج ٩ من ص ١٩٢ ، ص ١٩٥ - ابن الأثير مصدر
سبق ج ٥ ص ٢٩٢ ابن تغرى بردى - أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر وإثاهرة ج ٢ من ص ٢٩٤ - ص ٢٩٥ طبع
دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٢ - ١٣٥٨ (١٩٢٢ - ١٩٢٩)
(٨٧) الطبرى المصدر السابق ج ٩ ص ٢٠١ - ص ٢٠٢

الامبراطور الذي كاد أن يقع في أسر المسلمين ، لولا انه لجأ
إلى تبديل ثيابه ، فاستطاع الهرب إلى اعاصمه (٨٨) .

وحانت الفرصة المناسبة للامبراطور ميخائيل الثالث
بالانقاص من أمير ماطية عمر بن عبد الله وذلك بعد أن زان
الخطر من اعاصمه بانسحاب الأسطول الروسى سنة ٢٤٦ هـ /
٨٦٠ م وتوغل عمر بن عبد الله فى ثمانية آلاف من جنوده
داخل الاراضى البيزنطية حتى وصل (أميسوس) فحصرها ،
ورسل إليه جيشا على رأسه القائد « بتروناس » الذى حاصر
هذه كل الجهات وضيق عليه الحنائق ، وحاول عمر أن يفتح
نفذه للخروج فقتل فى إحدى محاولاته وقتل معه ألفان من
سلاطين (٨٩) وخسر المسلمون بذلك قائدا بارعا ، وانتهز
البيزنطيون فرصة مملة وخلو الساحة من قائد عظيم يحل
محله ، فقاموا بالإغارة على الثغور الجزرية حتى وصلوا قرب
نيامارقين ، وعندما علم على بن بحدى الأرمى ، أثناء عودته

(٨٨) د . سليمان مرجع تقدم ج ١ ص ٤٥ نقلا عن :

Theophanes Conuatus, PP . 178 - 179 .

(٨٩) اليعقوبى مصدر سبق ج ٢ ص ٥٠١ ، انطيرى مصدر سبق ج ٩

ص ٢٦١ ، ويذهب المسعودى الى أن من معه قتل الا عددا قليلا ، مروج الذهب
ومعائن الحوهر مصدر تقدم ج ٢ ص ٤٥١ . أما المصادر لاجنبية فيدع
بعضها ويذكر ان جيش عمر البالغ أربعين ألف جندي قد قتلوا جميعا .

د . سليمان المرجع المتقدم ج ١ ص ٤٥ ، ص ٤٦ نقلا عن :

Theophanes Conuatus, PP, 179 - 180 .

(٩٠) وكان يقول قبل ذلك امره بطرطوس وعرف بالشجاعة والمهارة

العسكرية والحمية للاسلام . انظر الطبرى ج ٩ والمسعودى مصدر تقدم ج ٢
فى مواضع متفرقة .

من أرمينية بعد عزله عنها (٩٠) خرج إلى الروم في جماعة
من رجال ميافارفين قُتِل هو الآخر (٩١) .

موقف جمهور المسلمين من هذه الأحداث وأثره :

كان من شأن هذه الأحداث ————— الأندلس المعظمين
أثر كبير في جموع المسلمين في بغداد
الثائدين المعظمين أثر سيئ على جموع المسلمين في بغداد
وسامراء وغيرها من المدن الإسلامية ومما زاد الأمر سوءاً
ما روه من نقاعس الخليفة وجيش الدولة عن القيام بواجب
الجهاد وقتال أعداء الإسلام ، وتسلمت القادة الأشرار وتغلبهم
أي أهول الخيانة ، وقتلهم الموكل ، وأصبحت لهم المنتصر
والمتعبد من بعده ، واجتمعت العامة في بغداد بالصراخ
والأمر بالثورة سنة ٢٤٩ هـ مع ما لا يحصى من الأسباب
التي ذكرها ابن الأثير أيضاً ، وقام العامة في بغداد بإخراج
المنجنيق ونفذوا جسر في بغداد ، ورأى القادة الأشرار خطر
هذه الثورة فتصدوا لها وأرسلوا إحدى فرق أسبغش وتدعى
الزمامة ، ولكن العامة تغلبوا عليها ، فركب وصدف وسفنا
أسبغش ، رماها من كبار القادة ومعهما جموع الأشرار فقتلوا

من العامة خلفا كثيرا ، ونسقطب الثورة - مع ذلك - مدة طويلة حتى مكنت (٩٢) .

وإذا كان هذه الثورة لم تفلح في تنجيب المسؤولين في بغداد إلى فداحه الأخطار التي تتعرض لها الحشود الإسلامية وظل هؤلاء المسؤولين سبائدين في أنفسهم ومواقفهم ضد بعضهم البعض من أجل الجاه أو المال ، فإنها أفلحت في إثارة الحمية للجهاد ، وقتل أعداء الإسلام ، وجمع أهل البسار في بغداد أموالا كثيرة لتصرف على من ينهض إلى ثور المسلمين لقتال العدو ، عوضا عن قتل من المسلمين هناك ، وأقبل الناس من نواحي الجبال والأشواذ وفارس وغيرها لغزو الروم (٩٣) .

وقد أصبح الوضع في ملطنة بعد استشهاد أميرها عمر الأقطع حرجا حيث لم يوجد من يمسك بلسانه ، وزاد الأمر شرجيا اشتغال الخلافة ببعض العنق المرحلية ، فقد واجه المايدي المندعين ثورات العلوبين في الكوفة وطبرستان والري منذ سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م ، والفتنة بلأنبار سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م ، واضطرب الخلافة إلى سحب بعض جنودها من الفرس لرد نواحيه هذه الثكن والثورات (٩٤) ، وهو مما أدى إلى ازدياد

(٩٢) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٦٢ ، ابن الأثير مصدر سبق ج ٥ ص ٣١٣ ، ابن كثير مصدر سبق ج ١١ ص ٣
(٩٣) الطبري ، ابن الأثير ، ابن كثير المصادر السابقة .
(٩٤) الطبري المصدر السابق ج ٩ ص ٢٦٦ ، وما بعدها . ابن الأثير المصدر السابق ج ٥ ص ٢٢٥ وما بعدها .

وضع هذه الثغور سوءاً ، وقد قدم من ملطية وحدها نحو ثلاثمائة مقاتل للاشـتراك في القضاء على فتنة الأنبار (٩٥) .

وهكذا اضطربت الأمور في ملطية وغيرها من الثغور ، وأكثر الروم الغارء عليها فقد فكر البعقوبى أن الخليفة معدر (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ - ٨٦٩ م) وجه مزاحم بن خاند إلى ملطية بعد أن ظهر بها الروم مرات عديدة (٩٦) ، وعندما استأنفت نشاطها العسكرى سنة ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م ثم يكن مستواها العسكرى على نفس القدر من الكفاءة والمهارة . عندما قاد والدها الجديد محمد بن معاذ الهجوم على الروم في هذا العام لم يحالفه التوفى وهزم ووقع أسيراً في أيديهم (٩٧) .

وهى الوقت الذى وصلت فيه الأوضاع فى الدولة الإسلامية ، ومنطقة الثغور إلى ما وصلت إليه تسببت الامبراطورية البيزنطية قيام أسرة جديدة فى الحكم هى الأسرة المقتونية (٢٥٣ - ٤٤٨ هـ / ٨٦٧ - ١٠٥٦ م) بعد أن استولى باميل لأول على العرش سنة ٢٥٣ هـ ٨٦٧ م ، وقد عطلت هذه الأسرة على إحياء مجد الإمبراطورية الحربية واسترداد ممالكها التى سبوا عليها المسلمون ، وهى

(٩٥) المصدران السابقان .

(٩٦) مصدر سبق ج ٢ ص ٥٠١ .

(٩٧) الطبرى المصدر السابق ج ٩ ص ٢٧٧ .

طول حكم هذه الأسرة وتوارث أبنائها الحكم إلى ضمان استقرار الأوضاع الداخلية (٩٨) ، وكان من الممكن تحقيق هذه الأهداف سريعاً ، ولا بعض المشاكل الخارجية مع جيران الإمبراطورية من البلغار والروس .

وفي سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م انجبه الإمبراطور باسيل الأول - بعد نجاحه في القضاء على البيالصة خلفاء المسلمين - إلى ملطيه منهزماً استغل الخلافه لعباسية بالقتضاء على ثورة الزنج (٩٩) واستولى وهو في طريقه إلى المدينة على سمبساط ، ولما وصل ملطية فرض الحصار عليها ، وتصدى المجاهدون في المدينة بالإمبراطور وجيشه وتمكنوا من هزيمته ، وقتل نصر الإمبريطشى بطريق البطارقة (١٠٠) ، وهكذا تمكنت المدينة من الصمود في وجه الإمبراطور ودحره بالرغم من الأوضاع التي كانت عليها المدينة والدولة

(٩٨) د . عشر مرجع سبق ج ١ ص ٢٨٢ ، ص ٢٨٣ .
(٩٩) استقرت هذه الثورة من سنة ٢٥٥ هـ - ٢٧٠ هـ (٨٦٩ - ٨٨٢ م) وقادها علي بن محمد أحد المعمرين من أهل الصفاق بفرس مستعلا الأوضاع السيئة التي كان يعيشها الزوج في منطقة بين بصرة وواسط ، وكانت أول الأمر سعة لم يمنع استغلال ملك الأراضي لهؤلاء الزوج وتحرير العبيد ثم انتقلت إلى حركة عسكرية ورعية في الأندلس وشدت الرعب وقتلت عاصمة الخلافة حتى تمكن العرب من القضاء عليها - الطبري مصدر سبق ج ٩ ص ٤٢١ وما بعده ابن الأثير ج ٥ ص ٢٤٦ وما بعدها .
حسن : د . حسن إبراهيم تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ٢ من ص ٢٢٦ - ص ٢٤٠ الطبعة العاشرة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٢ م
(١٠٠) الطبري المصدر السابق ج ٩ ص ٥٠٦ .

الإسلامية بوجه عام ، والفضل في ذلك يرجع إلى ما كانت تتمتع به من تحصينات قوية ، ومجاهدين أشداء وهبوا أنفسهم للدفاع عن الأمة الإسلامية .

وكان ذلك من أسباب اهتمام البيزنطيين بتحريره القضاء على هذه المدينة .

وقد حاولت باسبيل ذكره الهجوم على مدينة حراني
تدح سنوات من زينة به م جـ . . مرجع
سنة ١٦٨ هـ - ٨٨١ م ز . ل
في المدينة بمساعدة من بعض القضاة من بيت الأبرار
وهزيمته (١٠١) .

ومع استمرار سنوات الحروب الحدود البيزنطية انشغل
البيزنطيون بالفرار مع السفار ، وكان محور هذا المزارع
السحب والتجارب ، ونشبت الحرب بينهما سنة ٢٨٠ هـ / ٨٦٤ م
وانتهت بهزيمة البيزنطيين سنة ٢٨٢ هـ / ٨٦٦ م (١٠١) .
واضطر البيزنطيون إلى عقد معاهدة لتبادل الأسرى مع
المسلمين سنة ١٨١ هـ / ٨٩٧ م (١٠٢) .

(١٠١) المصدر السابق ج ٩ ص ٦١٢ .

(١٠٢) د . سليمان مرجع تقدم ص ٥٤ نقلا عن :

Obolensky' op. Cit. PP. 105 - 106 .

(١٠٢) الطبري مصدر سبق ج ١٠ ص ٤٦ .

وانشغلت الخلافة العباسية هي الأخرى ببعض الفتن الداخلية ، ومن هذه الفتن ثورة القرامطة (١٠٤) منذ سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م في البصرة وامتدادها إلى مناطق أخرى وخروج محمد بن أبي الساج والي أرمينية على الخلافة سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م (١٠٥) وكان لهذه الثورات تأثيرها الساسي على الثغور إذ أنها كانت تدفع الخلافة في كثير من الأحيان إلى الاستعانة بجند من الثغور للقضاء على هذه الفتن ، كما أن بعض هذه الثغور لم تكن بمعزل عن هذه الفتن مما كان يؤثر على موقفها من البيزنطيين ، وقد حدث ذلك للطبقة نفسها فقد لجأ إليها وصدف حاكم محمد بن أبي الساج سنة ٨٨١ م ، وبعدها أن يولييه الثغور ، ولكن المعتضد عرف مكره وخداعه وسار إلى حربه ، وتمكن من أسره (١٠٦) .

ومن نشطة تعر مطية في هذه الفترة عزو مؤنس الخادم المماليك منها في جيش كثيف ، ومعه أبو الأغر السلمي - أحد القادة العسكريين - بلاد الروم في أواخر سنة ٢٨٦ هـ / ٨٨١ م ، وفجأ هذه الغزوة ، وعودته ببعض الأسرى (١٠٧) ،

(١٠٤) القرامطة نسبة إلى قرمط بن الأشعث ، وهي من الحركات التي تظاهرت بالإصلاح الاجتماعي ، واتخذت من الدين مستارا لتحقيق أغراضها ، واضطربت مصبغة شيعية ، وكان أول ظهورها في الكوفة ، وقد ضعفت هذه الدعوة وتلاشى أثرها في أواخر القرن الرابع الهجري . انظر الهمداني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٢٧ ابن كثير مصدر تقدم ج ١١ ص ٦١ .

(١٠٥) المصدر السابق ج ١٠ ص ٧٧ وما بعدها في أماكن متفرقة .
(١٠٦) المصدر السابق ج ١٠ ص ٧٧ ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٩٤
(١٠٧) الطبري المصدر السابق ج ١٠ ص ١٤٣ ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٢٥ .

وقد تحسن موقف البيزنطيين ، وزادت هجماتهم على الثغور الإسلامية بعد إبرام معاهدة الصلح مع البلغار سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٦ م وبمكنتهم من نقل قواتهم البرية إلى منطقة الحدود مع المسلمين (١٠٨) مما دفع الخليفة المكتفى (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م) إلى السعى لعدم الهدنة ، وتم عقدها وتبادل الأسرى بين الجانبين سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م (١٠٩) وإن كان البيزنطيون الذين شعروا بضعف الجانب الإسلامي ، وأحسوا بقوتهم ، ففضوا الهدنة في العام التالي ٢٩١ / ٩٠٣ - ٩٠٤ م وهاجموا الحزيرة (١١٠) .

وقد عوض المجاعون في ثغور الشام هذا القصور في الحروب البرية حيث قاموا بهجوم سحري ناجح على مدينة « ساوثيك » ثابته المدن البيزنطية بعد التسلط عليه سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، وألحقوا هزيمة ماسية بالبحرية البيزنطية وكان لها نتائجها السيئة على الامبراطورية (١١١) ، كما قام المسلمون بمعارك بحرية أخرى ضد البيزنطيين حلتهم التوفيق فيها (١١٢) .

(١٠٨) الطبري المصدر السابق ج ١٠ ص ٧٥ وما بعدها ، د . سليمان مرجع تقدم ص ٥٩ نقلا عن . Obolensky' CP Cit. P. 106 .

(١٠٩) الطبري المصدر السابق ج ١٠ ص ٩٨ ، ص ١٠٧

(١١٠) المصدر السابق ج ١٠ ص ١١٦ .

(١١١) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين التميمي والاشراف ص ١٦٩ دار التراث بيروت ١٩٦٨ م ، غنيم . د . اسمت الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ص ١٢١ ، ص ١٢٢ المجمع العلمي بجدة ١٩٧٧ م (١١٢) المسعودي مروج الذهب مصدر تقدم ج ٢ ص ٥١٢ ، د . غنيم المرجع السابق ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ .

وشهدت الإمبراطورية البيزنطية بعد وفاة نيو السادس (٢٧٣ - ٢٩٩ هـ / ٨٨٦ - ٩١٢ م) اضطرابات داخلية ، وأعلن أحد القادة العسكريين الطامعين في العرش الثورة ، وتعرضت الإمبراطورية كذاك لتهديد مباشر من البلغار وقام ملكهم « سيمون » بحصار القسطنطينية سنة ٩١٣ م / ٣٠١ هـ (١١٣) وانتهز الحسن بن حمدان - حاكم ديار ربيعة - ذلك وقام بمهاجمة الحدود البيزنطية من طرسرس إلى ملطية سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م (١١٤) .

وشهدت الخلافة العباسية بدورها أوضاعا داخلية سيئة في عهد الخليفة المنذر ، فقد تعرضت مصر - التابعة للعباسيين - لحملات فاطمية منذ سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م (١١٥) ومرد الحسن بن حمدان حاكم ديار ربيعة على الخلافة ، وكان المنذر يمكن من إخضاعه أما يوسف بن أبي الساج حاكم أرمينية وذربيجان ، فلم تفلح أسلافه في إخضاعه وأصبح شبه مستقل بالمناطق التي يحكمها (١١٦) ، ولم تحساون الإمبراطورية « روم » التي انت إليها الوصاية على الإمبراطور الصغير قسطنطين السابع أن تستغل هذه الظروف لمهاجمة الأراضي الإسلامية لإحساسها باستمرار التهديد البلغاري تبادلا (١١٧) ، بل إنها سعت للهزيمة سنة ٣٠٥ هـ /

(١١٣) د - سليمان مرجع تقدم ص ٧٠ نقلا عن :

Obolenky, Op. Cit. PP. 107 - 108 .

(١١٤) الطبري مصدر سبق ج ١٠ ص ١٤٧ .

(١١٥) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٤٩ ، ص ١٥٠ .

(١١٦) الفرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٥ ،

ص ٥٥ ، ص ٦٤ .

(١١٧) د - سليمان مرجع تقدم ص ٧٢ .

٩١٧ م (١١٨) هـ رجب الخليفة المقتدر لينفرد شياكله الداخلية
ثم ظهر « رومانوس ليكابينوس » كإمبراطور شرعي
لنسطنطين السابع (٣٠٨ - ٣٣٣ هـ / ٩٢٠ - ٩٤٤ م) (١١٩)،
وكان قبل ذاك قائدا للأسطول البيزنطي ، وبظهوره بدأت
مرحلة جديدة انتهت بالنشاط العسكري الكبير ، وقد
ضطر رومانوس الى طلب الهدنة من الخليفة المقتدر نظرا
لانه ندد الخطر البيغاري ، ووجد هذا الطلب استجابة من
المقتدر الذي كان يعاني من هجمات القرامطة في البصرة
والكوفة (١٢٠) ، وتم عقد الهدنة وبمسائل الأسرى بين
الطرفين سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م (١٢١) .

(١١٨) قرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٦٢ ، مسكويه
مصدر سبق ج ٥ ص ٥٣ ، ص ٥٥ .

(١١٩) كان النظام البيزنطي يسمح أن يكون في منصب الإمبراطور
عدة أشخاص ولكن الذي يمارس الحكم بالفعل واحد منهم ، والباقيون
يحملون اللقب فقط ، وكان الذي يمارس الحكم في هذه الفترة هو « رومانوس
ليكابينوس » ، ونسيما : ستيفن : الحضرة البيزنطية من ص ٦٥ - ص ٦٧
ترجمة عبد العزيز حاريد مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦١ م .

(١٢٠) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ١٧٥ ، ابن كثير ج ١١ ص ١٤٧

(١٢١) مسكويه مصدر سبق ج ٥ ص ١٢٩ ، ابن الأثير ج ٦ ص ١٨١

الفترة الثالثة : ٣١٢ - ٣٢٢ هـ (٩٢٤ - ٩٣٤ م)

وفي بداية هذه الفترة شعر البيزنطيون بتحسين الموقف العسكري على الجبهة البلغارية ، وابتعدت نذر الحسب بين الطرفين ، في الوقت الذي كتب فيه الحلافة بعاني من قس داخليه في متدعتها هجمات الترامطة على بعض مدن انعراق ، وبادر رومانوس إلى نقص الهدنة مع العباسيين ، وأرسل قائده كوركواس للهجوم على ملطية سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م (١٢٢) ، وسي السام الثاني ٣١٤ هـ / ٩١٦ م كرر الهجوم على ملطية وما يليها ، ومعه مايح الأرمني - القائد البيزنطي صاحب نجر نيكندروس - وحاصروا المدينة ، ولكن أهلها صبروا على هذا المتصار ، وذهب الروم من فتح أبواب من الحصن فدخلوه ، فقاتلهم أهلها وأخرجوهم منه ، وأم يظفروا من المدينة بشيء (١٢٣) .

وأمام هذا الغشل صب البيزنطيون جام غضبهم على الدري البندره حول المدينة مخدوما ، بل إن سورة الغضب ولحق دفعهم إلى نبش قبور الموتى والتمثيل بهم ، وهذه درحة سفلى من التصرفات السعدنة عن أبسط قواعد العييم

(١٢٢) الهذاني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٤٨ ، ابن الاثير مصدر تقدم ج ٦ ص ١٨٢
(١٢٣) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٥

الإنسانية والأخلاق ، وفى النهاية رحلوا عن الثغور ، وذهب بعض أهل ملطية إلى بغداد مسنغيثين فلم يستجب لهم أحد وعادوا إلى ملطية مخذولين (١٢٤) ، فقد كان الخليفة اسقدر ومعظم المادة العسكريين مشغولين بحرب المرامطة السى امتدت إلى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وهددوا بغداد والبصرة و مكوفة وديار ربيعة وكثيرا من المدن الهامة (١٢٥) .

وتذكر المصادر البيزنطية أن أمير ملطية « أبا حفص » - حفيد القائد الشهيد عمر بن عبد الله الأقطع - اضطرام استمط الرضى على التفاوض مع « كوركواس » ، وذهب بنفسه ومعه ثائده العسكري « أبو الصلت » إلى القسطنطينية وعقد مع الإمبراطور « رومانس » معاهدة سنة ٣١٦ هـ / ١٢٧ م بشرت بموجبها - موات ملطية فى صفوف الجيش البيزنطى (١٢٦) ، وذلك بعدى استسلام المدينة ، وتبعيتها لبزنطة ، وذكرت أيضا أن سكان المدينة سرعان ما نقصوا أبنائهم مع البيزنطيين بعد وفاة أبى حفص ، فاضطر كوركواس إلى مهاجمتها من جديد سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ومرص عليها عرامة مالية كبيرة (١٢٧) ، أما المصادر الإسلامية فلا تشير إلى شىء من ذلك .

(١٢٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٥ .
 (١٢٥) القرطبى مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٠٢ وما بعدها ، ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٧٥ وما بعدها .
 (١٢٦) د « سليمان مرجع تقدم ج ١ ص ٧٧ نقلا عن :
 Theophanes Continuatus PP. 415 - 416

(١٢٧) المرجع السابق ج ١ ص ٨٧ .

رأى وتعليق :

لعله من المستبعد أن تستسلم المدينة - على يد أبي حفص -
هذه السهولة، وهي التي أثبتت صلابتها وقوة صمودها، وعجزت
قوات البيزنطيين على كثره عددها ، ومهارة فوادها عن افحام
المدينة قبل ذلك - ورحعوا عنها خائبين ، وإذا كانت الخلافة
العباسية والمستولون في عاصمتها لم يستجيبوا لاستغاثة
أهلها ، فلا يؤكد ذلك ما روى عن استسلامهم السريع
للبيزنطيين ، والحوادث القادمة التي أوردتها المصادر
الإسلامية تشير إلى أن المدينة ظلت فترة من الزمان محتفظة
بمكانتها كقلعة إسلامية .

وعلى فرض صحة ما ذكرته المصادر البيزنطية ، فمن
الاحتمل أن يكون استسلام المدينة عملاً قام به أبو حفص
ومساعدوه دون موازنة أهل المدينة والمجاهدين بها ، ومما
يشوي هذا الاحتمال ما ذكرته المصادر البيزنطية من سرعة
دفع أهل المدينة لانشقاق مع البيزنطيين بعد وفاة
أبي حفص (١٢٨) .

وكانت سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٨ م - على ما يبدو - سنة
فاسية دلى ملطية وميفارقين وآمد وأرزن وغيرها من الثغور

الجزرية ، فقد ضعفت هذه الثغور عن دفع الروم عنها ، وفكر أهلها في التسليم بعد أن عجز الخليفة المقتدر عن مساعدتهم ، وبكثرتهم قبل أن يقدموا على هذه الخطوة الخطيرة ، وغشوا في سبئذان الحثيمة وكتبوا إليه يوضحون ما هم عليه من عجز ، ويطلبون أن يمدهم بجند من عنده ، ولكن لم يجيبهم أحد (١٢٩) .

ولكن هل استسلمت ملطية بعد هذا الاستئذان المباشر : أم أنها تأخرت ؟ التوامع أن المصادر العربية لا تعطينا إجابة شافية حول هذا الموضوع ، ورواية ابن الأثير تفيد أن ملطية كانت في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م خاضعة للروم ، وعلى ذلك ضعف ما رواه ابن حمويه أنها أمام قوة الروم وكثرة جمعهم (فصالحوهم وسلموا مفاتيح البلد إليهم ، فحكموا على المسلمين) (١٣٠) .

وكادت الخلافة لا تستطيع أن تمنع سقوط ملطية وغرعا من الثغور في أيدي الروم نظرا لظروفها الحربية السيئة ، حتى دبر الخلفاء ظهور شخصيه عسكرية بطموحه هو القائد العربي مسيد بن حمدان الذي ولاه الخليفة الموصل ودار وديعة واستقرت لديه دلائل ذلك ان يستنقذ منطقة ملطية من الروم ، وغزو بلادهم (١٣١) .

(١٢٩) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٠٦

(١٣٠) المصدر السابق ج ٦ ص ٢١٧ .

(١٣١) المصدر السابق

وخرج القائد سعيد بن حمدان بقسواته سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م فأبقد سببساط من الوموخ فى أيدى الروم ، ثم سار إلى منطبه ، وكان بها جمع من الروم ومن عسكر مليح الأرمنى ومعهم « بنى بن نفيس » ، (١٢٢) ، فلما علموا بمقدم سعيد خرجوا من المدينة وخافوا أن يأتبهم سعيد فى عسكره من خارج المدينة ، وبثور أهلها بهم من داخلها مكون بهابهم الأليمة ، فغادروها ، ودخلها سعيد وعادب المدينة مرة أخرى للمسلمين ، وبعد أن عين عليها أميرا غادرها لغزو بلاد الروم (١٢٣) .

تعليـل للتراجع البيزنطى :

إن هذا التمهـر الطارىء فى موقف البيزنطيين، يمكن أن نرجعه إلى اهتمام الخلفاء العباسية بالموقف فى الثغور وبحاصه ملطبة بعد أن تخلصت من ثورة المرامطة فى العراق إلى انهـب تعريبا سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (١٢٤) وظهر القائد الخارج سعيد بن حمدان الذى كانت نه جهوده المومنه

(١٢٢) كان صاحب المقدر ثم دفعته تقلبات السياسة فى بغداد إلى الهرب إلى بلاد الروم وتنصر وكان يصاحب جيوشهم إلى بلاد المسلمين .
ابن الاثير المصدر السابق ص ١١٧ .

(١٢٣) المصدر السابق

(١٢٤) القوطى مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٠٢ وما بعدها ابن الاثير ج ٦ ص ١٧٥

هي تثقيب الوجود الإسلامي في بعض الثغور ، ويمكن ان
نضدق إلى ذلك انشغال المائد البيزنطى كوركواس باحرب
هي أرمينية ، وخلق الساحة من مائد بيزنطى بضارعه شجابه
ومهره و عمام كوركواس بالمناى في أرمينية ونرك مدانه
استغر الجزريه يمكن ان يصره بأن البيزنطيين وحدوا في
هذه الفترة أن القضاء على النفوذ الاسلامى في أرمينية
هم لوقعهما ، وللمسارب بين الارمن والبيزنطيين ،
وقد وصل بعض الارمن إلى ماصب درعونه في العونه
البيزنطيه ، وربما قدروا أن ذلك خطوة في سبيل تحقيق
هم في مدانه الثغور الجزرية .

وبالنسبه للفائد كوركواس مد نكون خيبة الأمل الذي
صانفته أول الامر في منطقة الثغور بعجره عن الاستيلاء على
باطه سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م (١٣٥) قد صرفه إلى مطبه
حرى هي أرمينية ، وقد يكون أصله الأرمنى (١٢٦) هو الدر
منه إلى تطهير هذه المنطقة من النفوذ الإسلامى قدس
غيرها .

ومد ساعد على تهمز مؤلف البيزنطيين هي التفسير
الجزري ن شمال الخادم والى طرسوس قام بهجسوس

(١٢٥) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٥

(١٢٦) حسين : د . صادر دياب مرجع سبق ص ١٨٥

باجدين على الاراضى البيزنطية سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١م (١٣٧) ،
مما كان له اثر فى أن يحف الضغط على المسلمين فى الثغور
الحررية ويشغل البيزنطيون إلى حد ما بهذين الهجومين .

ونطلع الروم للاستيلاء على ملطية سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م ،
وانتدو الجيوش اللازمة لذلك ، ووصل الخبر إلى المسلمين
محمدا بن هرون الحادم - أحد كبار قادة العسكريين فى
الدولة العباسية - لمنع الهجوم على ملطية حيث كذب
« بنى بن نفيس » الذى أصبح موضع ثقة الروم ، مستدعيه
إليه ، ودمديه ، وبسأله أن يصرف الروم عن ملطية ونجح
بنى بن نفيس فى صرف الروم عن ملطية ، وأقبل إلى الموصل
دراج به مؤنس (١٣٨) .

وبعد عامين من هذا التاريخ وفى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤م ،
تمكن القائد كوركواس من الزحف إلى المدينة بموات كبيره ،
وحاصرها ، ونجح فى الاستيلاء عليها (١٣٩) .

(١٣٧) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٤١ ،
ابن الاثير ج ٦ ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ .
(١٣٨) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٤٦ .
(١٣٩) ابن الاثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٤٢ .

انهيار ثغر ملطية

سقوط ملطية :

ساعدت أحوال الخلافة العباسية المضطربة المماليك البيزنطى كوركواس الذى عاد إلى ثغور الجزيرة على مهاجمة ملطية سنة ٢٢٢ هـ / ٩٣٤ م . بجيش بلغ عدده خمسين ألف مقاتل وحاصر المدينة . وقد تم أهلها احصار مدة طويلة حتى مات أكثر أهلها من شدة الجوع (١٤٠) مما يدل على صعوبة أهلها وعنادهم ونضالهم وشهد بموت إيمانهم ، وحينئذ وقعت المدينة مريسة سهلة فى أيدي البيزنطيين ، وسلاح الحصار والجوع سلاح طالما استخدمه البيزنطيون ضد مدن الثغور الإسلامية .

وذكر ابن الأثير أن كوركواس ، ضرب خيمتين على أحدهما صليب ، وقال من أراد النصرانية انحاز إلى حيمه الصليب ليرد عليه أهله وماله ، ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأخرى ، وله الأمان على نفسه ، وتبعه صامته (١٢١) .

(١٤٠) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١١٦ .
(١٤١) مصدر سبق ج ٦ ص ٢٤٣ ، وهذه الطريقة لتى سلكها الروم لفتنة المسلمين عن دينهم ونشر النصرانية بينهم طريقة غير إنسانية لأنها

وعد اضطر كثر من المسلمين تحت صنط العدنسة إلى
الانحبار إلى الحصة النى عليها الصيب طمما فى اهلهم
واموالهم ، أما انباون فابوا أن يستسلموا لذلك فارسل
الروم معهم بطريقا يبلغهم مامهم ، وفتحت المدينة بالأمان
مسند جمادى الآخرة يوم الأحد (١٤٢) سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤م .

وهكذا لم تكن مصيبة اهل ملطية فى سد بلدهم النى
أحبوها وأخلصوا نى التماع عنها فحسب بل كانت مصيبتهم
كذلك فى اهلهم واموالهم ، وإذا كان ابن الأثير قد ذكر أن
الروم بعثوا مع لراعين فى ترك المدينة بطريقا يبلغهم
منهم ، فقد ذكر ابن كثير أن الروم أعطوا أهل ملطية الأمان
حتى تمكنوا منهم ثم نقلوا من أهل ملطية خلفا كثيرا وأسروا ما لا
يحصى كثرة (١٤٣) ، وما ذكره ابن كثير يدل على سوء أخلاق
البرزنطين ونكثهم العهد وقسوتهم ، وليس ببعيد أن
يكون ذلك هو الذى صدر منهم تجاه أهل ملطية ، وبخاصة
أن هذه المدينة كان لها دور كبير فى جهادهم ، و مقاومتهم بعدد
وإصرار عظيم ، حتى ما هجم عليها ، وما لنا نستبعد ذلك وقد

تستعمل الظروف السيئة التى تحيط بالبشر ، والدين انما ينشر بالانقسام
والحجة ، وما فعله الروم قد يشبه الى حد كبير ما حدث فى طرسوس بعد
ذلك فقد نصبوا فيها علمين بدل الحيتين ، ولكن الخير كان بين الإقامة
فى بلاد المسيحية أو بلاد الاسلام . انظر العموى مصدر سبق ج ٤
ص ٢٨ ، ٢٩ .

(١٤٢) المصدر السابق .

(١٤٣) مصدر سبق ج ١١ ص ١١٧ .

ارتكبوا من قبل ما هو أشد فطاعة عندما انتهكوا حرمة الموتى من المسلمين ونعشوا قبورهم ومثلوا بهم سنة ٣١٢ هـ بعد قتالهم في الاستيلاء على ملطية (١٤٤) .

موقف المسلمين من سقوط ملطية :

كان سقوط ملطية في أيدي البيزنطيين سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م خسارة كبرى للمسلمين جميعا باعتبارها الثغر الأول بين ثغور الجزيرة والقلعة الحصينة للدفاع عن الأمة الإسلامية ، ويوضح البحث موقف المسلمين من سقوطها على مستوى الحكومات وعلى مستوى الشعوب .

أولا : موقف الحكومات الإسلامية :

أما موقف الحكومات فيأتي في مقدمتها الخلافة العباسية صاحبة الشرعية في حكم العالم الإسلامي كله والتي يستمد حكام الدولة السفلة شرعية حكمهم منها ، وكانت ملطية تابعة للخلافة العباسية تبعية مباشرة حين سقوطها ولم يصدر عن الخلافة العباسية رد فعل إزاء ذلك ، ولم تذكر

(١٤٤) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ١٨٥ .

المصادر شيئاً يتعلق بهذا الأمر ، ويعمل الخليفة اسجندريد
« الراصي » (٣٢٢ هـ - ٣٢٩ هـ / ٩٢٤ - ٩٤٠ م) الذي نوى
الخلافة قبل ما يقرب من شهر من سقوط ملطيه ، كان منهمكاً
في اختيار رجال دولته ، ونشيت حكمه ، وكان القسود
وكبار رجال الدولة يسطعون إلى تحسين أوضاعهم في العهد
الجديد ، بالإضافة إلى أمر في غاية الأهمية وهو أن يقرر
مقر مطلة كن لم ينته بعد وإن كان كان قد سكن ببعض
الوقت ، لذلك رأت الخلافة - على ما يبدو - عدم إرسال
الجيش إلى منطقة الشغور وأدخرب فواندها لحاربة القرامطة
الذين كان خطرهم أشد من خطر البيزنطيين في نظرهم ،
وفي نفس الوقت أرسلت إلى زعيم القرامطة أبي طاهر صفه
٣٢٢ هـ تدعوه إلى طاعة الخليفة « ليقره على ما تحت يده من
البلاد ، ودقلته بعد ذلك ما شاء من الددان » ويخلص منه أن
يخف عن الحجاج جميعهم ، وأن يرد الحجر الأسود إلى
موضع ، بوعد أبو طاهر بالكف عن الحجاج ، ورفض رد
الحجر الأسود ، وفي نفس هذا العام خرج جماعة من أصحاب
أبي طاهر أسرمطي فهاجموا نواحي بوج (١٤٥) ، ولم يوف
أبو طاهر بوعد الكف عن الحجاج فقد عقرص في أعوام
النهالي ٣٢٣ هـ حجاج العراق ولم يتمكنوا من أداء الحج في
هذه السنة (١٤٦) .

(١٤٥) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٢ وتوج مدينة دفارس
قريبة من كازرون وبينها وبين شيراز اثنان وثلاثون فرسجا . الحموي
مصدر سبق ج ٢ ص ٥٦

(١٤٦) ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٩

وفى الموصل أقرب المدن الكبرى فى العراق إلى ملطية
والشغور الجزرية كان النزاع بين أفراد البيت الحمداني على
إمارة الموصل وديار ربابعة وانتهى الأمر بمقتل أبى العلاء
سعيد بن حمدان الذى ولاء الخليفة الراضى الموصل وديار
ربابعة ، على يد ابن أخيه ناصر الدولة الحسن بن عبد الله
سنة ٣٢٣ هـ ، وبعث الراضى بجيش على رأسه ابن مقله الوزير
إلى الموصل ، فلما فاربها رحل الحسن بن عبد الله ، وبقي
الوزير بالموصل بجبى منها الأموال ، فاحتال أصحاب
الحسن حتى تمكنوا من حمل الوزير على العودة إلى بغداد
بعد أن أتاب عنه من يحكمها ، وتمكن الحسن من العودة إلى
الموصل ، وحارب نواب الوزير ابن مقله بها ، ونمكن فى
النهاية من الانتصار عليهم ، واستولى على الموصل ، وكتب
إلى الخليفة يسأله الصفح ، وأنه سيضمن له البلاد فأجيب
إلى ذلك (١٤٧) .

ويكشف لنا ما حدث فى الموصل عن حقيقة هامة ، وهى
أن الخلافة لم تكن عاجزة تماما عن إعداد الجيوش وإرسالها
إلى أى مكان فى هذا الوقت ، ولكنها كانت تفضل إرسال
الجيوش إلى المناطق التى يتعرض نفوذها فيها إلى الاختلال ،
وما يتبع ذلك من نقص ما يرد إليها من مال عن إرسالها
إلى مناطق الشغور التى ليس فيها إلا القتال والأهوال ، وفى
هذا إشارة إلى أن الدولة العباسية فى هذه الفترة كانت تقدم

(١٤٧) الهمداني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبرى . ص ٢٩٥ ،
ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٤٨ ، ص ٢٤٩ .

المصالح المادية على القيم والمبادئ التي نمتك بها الأوسر
فى وجوب الجهاد وحمايه العقيدة والدفاع عن ديار المسلمين
وأعرضهم •

أما فى شرق العراق فكان هناك نزاع بين القسرى
العسكرية على أملاك أقاليم هذه المنطقة ، وتقدم « مرداوىج »
ابن رير ، حاكم الدولة الزيارية فى إقليم السجل ، واستولى
على الأهواز من على بن بويه - مؤسس الدولة البويهية التى
سيكزن لها الأمر والنهى فى بغداد بعد ذلك - ورضى على أن
يكون نائباً لمرداوىج فيما تحت يده ، ولما مل مرداوىج ، تقدم
ياقوت - من فراد السبائين - إلى الأهواز ، واستولى على
هذه الولاية •

ثم انتفى بجند بنى بويه عند أرجان ، وانهزم ياقوت
مزيمه لم يفلح بعدها ثم جرت مراسلات للصلح انتهت بأن
جعل الحبيبة الراصى بلاد فارس لابن بويه واستقر ياقوت
بالأهواز وذلك سنة ٢٢٢ هـ (١٤٨) وبذلك انشغلت هذه
القرى الإسلامية عما بجرى فى ملطية ومدن الثغور الأخرى
وأنصرف القادة العسكريون عن العدو الخارجى الذى يتربص
بهم وببلادهم بالنزاع فيما بينهم على السيادة والنفوذ •

وفى المغرب كانت مصر هدفا للحملات الفاطمية المتكررة ،
وقد أرسلت الدولة الفاطمية سبعة ٣٢١ هـ / ٩٢٢ م حملة
أخرى ستمرت حوالى ثلاث سنوات تخطلها صلح سـنـه
٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م بين المصريين وقائد القوات الفاطمية لم
يحترمه الطرفان (١٤٩) .

ويمكن أن المتوقع أن يقدم الفاطميون مساعدة للدولة العباسية
متوقع أن يقدم الفاطميون مساعدة للدولة العباسية
لاسترداد ماطية والوقوف فى وجه البيزنطيين ، فقد كان هناك
العداء السياسى ، فالفاطيون يعتقدون أنهم أحق بخلافة
المسلمين من العباسيين بحكم انتمائهم إلى فاطمة الزهراء
رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٥٠) .

هذا من جانب لاخلاف المذهب بين المسلمين الشيعة
والفاطمين الشيعة ، ونطع الدولة الفاطمية المنتجة إلى
الاستيلاء على مايم الدولة العباسية الهرمة ، وقد راينا
محاولاتهم الاستيلاء على مصر .

أما المرة السياسية الكبرى الأخرى فى المغرب فكانت

(١٤٩) الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف ولاء مصر من ص ٢٠٠ -
ص ٣٠٦ تحقيق د - حسين نصار دار صادر بيروت بدون تاريخ ، مسكويه :
أبو عبد الله أحمد بن محمد تجارب الأمم وتعاقب الأمم ص ٢٨٤ ، ص ٢٨٥
القاهرة ١٩١٤ م
(١٥٠) حسن : د - حسن إبراهيم تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٦٤
الطبعة الرابعة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨١ م -

الدولة الأموية بالأندلس، وكانت هناك عداوة قديمة بين الأمويين والعباسيين لا تشجع على تقديم هؤلاء الأمويين مساعده للعباسيين في محنتهم ، كما ان نحوف الأمويين بالأندلس من الدولة الفاطمية الناشئة تجعلهم دائما على أهبة الاستعداد محتفظين بكامل قوتهم تحسباً للمفاجآت ولا يغامرون بإرسالها إلى بلاد الشرق البعيدة (١٥١) .

هذا فضلا عما في إرسال الجيوش من المغرب والأندلس من تكاليف باهظة وتضحيات جسيمة في المال والرجال نظرا بطول الطريق ، بالإضافة إلى ما درج عليه أهل المغرب من ترك أمور الشرق ومشاكله لأبنائه لأنهم أكثر دراية بها ، وفقر على تصرفها وحلها .

ثانيا : موقف عامة المسلمين :

أما ومع سقوط ماطية على عامة المسلمين ، وهي المدينة التي بها مكنتها واهميتها في الجهاد ضد البيزنطيين فتد صفت بيانا المصادر بكشف أثر سقوط المدينة في أوساط المسلمين إلا ما كان من قصائد قليلة لتعبر عن هذه الأساء ، وقد سأل الحموي (١٥٢) أبيبا من إحدى هذه القصائد وفيها

(١٥١) : د . أحمد مختار في تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٩ وما بعدها مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية بدون تاريخ .
(١٥٢) مصدر سبق ج ٥ ص ١٩٣ .

يقول الشاعر .

فلأبكين على ما طيبة كلما
أبصرت سيفاً أو سمعت صهيلاً

هجم المستنق سورها وقصورها
فسمعت فيها لنفساء عويلاً

والعلاج (١٥٣) يسحبها وتلطم كفه
مقوردا يقق (١٥٤) البياض جميلاً

قالوا الصليب بها بأمر ثابت
قد أظهروا الصليبان والإنجيلاً

وأمثل هذا اشعار حسن حال جمهور المسلمين في ذلك
الزمان والمعدن عن مشاعرهم بلغة جميلة يحفظها الدهر .

اما ردود الاسعال الاخرى العملية كما حدثت من عامة
المسلمين بعد مقتل القسائدين عمر ابن
عبد الله لامطع وعلى من يحيى الأرمى سنة ٢٤٩ هـ -
وحدثنا عنه من قبيل - من تجمع الناس
ودنوهم الغامضة إلى الجهاد وردع الأعداء ، وجمع المال

(١٥٢) العلاج الواحد من كفار العجم . الرازي : محمد بن أبي بكر
مختار الصحاح ص ٧٤ الطبعة الأولى القاهرة ١٣٠١ هـ .

وإرسال المجاهدين للثغور (١٥) ، فبالنسبة لمعقود مطية لم تحدث المصادر من شيء من هذا القبيل ، ولا يمكن أن يكون ذلك من جهل بما جرى في الثغور أو تصرف من الاهتمام بهذه الأمور ، ولكن يبدو أن المسلمين قد شغلوا في هذه الفترة - بأمور أخرى أكثر قربا والصاقا بهم فإذا نظرنا إلى خراسان وفارس وجدنا انصراف العسكري بدن بني بويه وغيرهم من القادة العسكريين ، وقد شغلت المعارك بينهم أمكار الناس ولهم بما جرى في مطية وعبرهم من الثغور ، هذا فضلا عما أم بخراسان سنة ٣٢٣ هـ من لغلاء الشدود والجوع الذي نودي بحياة كثير من أهل خراسان ، حتى عجز الناس عن دفن مرثاهم (١٥٦) .

وفي العراق انغمس أهل بغداد - عصمه الخلافة في خلافات مذهبية وفقهية ، وسيطر على عامة الناس فيها بعض الغلاة من الدين من الحنابلة وزعمهم « الجريهاري » (١٥٧) ، وقد رد الله في يدق بن بقبض عليه لإزاره الفتنة في بغداد ولكنه هرب فأخذ جماعة من أعيان أصحابه (١٥٨) .

(١٤) يقق المبيض شديد لبياض ناصفه المصدر السابق ص ٣٦٤ .
(١٥٥) الطبري مصدر سبق ج ٩ ص ٢٦٢ ابن الاثير ج ٥ ص ٢١٢
ابن كثير ج ١١ ص ٣ .

(١٥٦) بن الاثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٤٩ .

(١٥٧) هو الحسن بن علي بن خنق أبو محمد الجريهاري الفقيه العابد شيخ الحنابلة في بغداد ، توفي سنة ٢٢٩ هـ ابن الاثير . ج ٦ ص ٢٢٣ .
(١٥٨) المصدر السابق .

ولم تنته امر هذه الطائفة عند هذا الحد بل على البعيس من ذلك تعاطف امرهم وموت شوكتهم ، واضطلموا بأنفسهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستخدموا القوم والإرهاب في تغيير الفكر ، ونفذوا ذلك مع العامة والعادة على السواء ، وأصبح الناس منهم في هلع ، وفنام صاحب الشرطة في بغداد بالصدى لهذه الطائفة ، ومنعها من الاجتماع ، وحظر مآثرتهم في مذهبهم ، فلم يقد ذلك وراة خطرهم وإجرامهم ، وكان لابد من تدخل الخليفة الراضي سنة ٣٢٢هـ بما يقرأ على الحداد ، ذكر أيهم فعالهم الذمومة ، ويدعوهم إلى الانسداد بها وبهددهم بالضرب والبشريد وحرق مآثرهم ومخالفهم (١٥٩) .

وهكذا شغل الحداد في هذه الفترة الحاسمة - بينهم بهذه الأمور ، واشتغل الدس بهم ، وسفلوا عن امر عظيم وهو سقوط ملطبة ملة المسلمين الجاهدين والشعور الأخرى في أي البريطيين ، وسفوت حرمت المسلمين في هذه الشعور ، ومن لكثيرين منهم ، ومحاولات هؤلاء النصاري نشر دينهم في حسب السوء في هذه الماطة ، ولو وجهوا جهودهم لبث الحماس للجهاد ، ودمع المسلمين إلى التحا بالتمسور لحرب بيطيين ، ومع سوط من الشعور الأخرى واستناده ما ضاع منها لكان خيرا للمسلمين وأنفع لهم .

(١٥٩) الهمداني مصد سابق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ ، ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٨ .

وفى مصر ستمن العامة بانصراف ببن العيسى سندن
وامفاطم بن على ارضها من اجل السيطرة عليها ، ثم ما كان
من محاولة الإخشيد تدعيم سلطانه بها .

اسباب سقوط ملطية سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م :

أولا : بالفساد المجانب الإسلامى :

١ - الحالة المديئة التى كانت عليها الحلامه العباسية ، بعد
ضعف شأن الخلفاء ، وازداد تدخل الادرك فى شئون الحكم .
وتطعموا إلى مصالحهم الخاصة ، ولم يراءوا الصالح العام
مستامين ، ومد حرصوا على أن يجعلوا الخلافه فى من لا يحسن
القيام بعنائها ليظل لهم النفوذ والسيطة ، من ذلك ما حدث
بعد وفاه المكتفى فقد عدلوا عن اختيار عبد الله بن المعز
بدمرجه وكعبه ، إلى جعفر بن المعتمد الذى شغب بالمتنذر
سنة ٢٩٥ هـ ، وكان صبيا فى الثالثة عشر من عمره (١٦٠) .

وكان الخلفاء الذين عاصروا فترة استئداد الهجـوم
البيزنطى على ملطية من سنة ٣١٢ هـ وحتى سقطت فى أيدى
البيزنطيين سنة ٣٢٢ هـ ، هم المتنذر والقاهر والراضى .
المتنذر فاند تولى الحكم سنة ٣١٥ هـ / ١٠٨٨ م وامدح مره

(١٦٠) معكويه : تجارب الأمم مصدر سبق ج ١ ص ٣ .

حكمه إلى سنة ٢٢٠ هـ / ٩٢٢ م وكانت فترة سيئته من مقدرات الحكم العباسي ، أصبحت تتدخل السماء والخدم في شئون الحكم ، وكان المعتز منذراً خلف بيوت المال ، وقد زاد هذه الفترة سوءاً بخلاف من حوله من القادة في الأهواء والرأي ، وقد حلق المعتز ثم أُعيد إلى الخلافة ثم قتل (١٦١) .

وتوفي بعده ساعز ، ومكث في الخلافة حتى سنة ٢٢٢ هـ . حذر الأبرار به بدءاً على نصيحة أحدهم بالانعقاد عن لهو أمه وحانه وخدم يدبرونه - كما كان الحال في عهد المعتز - وأنه لابد من رحل كامل ، يدبر نفسه ويدبرها (١٦٢) . وقد عرف الماهر بفساده ، وسوء الأخلاق والعذر محسامة بعض الماده الأبرار ، ودبروا للتخلص منه ، ونجحوا في حلقه في الخامس من جمادى الأولى سنة ٢٢٢ هـ / ٩٢٤ م وسملوا عينه ، وولى الماده والخدم بعده الراضى (١٦٣) ، ولم يمض على حلاوته شهر واحد حتى سقط ملطبه في جمادى الثانية ٢٢٢ هـ .

وقد تلاشت في هذه الفترة هيئة الخلفاء ، وأصبحوا همما بالرداء في الداخل وأغرت أعداء الدولة الإسلامية بمهاجمة حدودها وانفصص أضرافها (١٦٤) .

(١٦١) ابن طيات / محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي . الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ٢٢٣ ، ص ٢٢٥ القاهرة ١٩٢٢ م
(١٦٢) ابن الأثير ، مصدر سبق ج ١ ص ٢٢١ ، ص ٢٢٢ ، ابن كثير ، مصدر سبق ج ١ ص ١٧٠ ، ح ١ مرجع سبق ص ٢٥٨ .
(١٦٣) ابن الأثير ، مصدر سبق ج ١ ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧ .
(١٦٤) ابن الأثير ، مصدر سبق ج ٢ ص ٢٥ .

٢ - الفن الداخلي ، ومعد احتلت قسمة القرامطة (١٦٥) مكان الصدارة ، ومعد مركز نشيط هؤلاء القرامطة في البحرين وامقد نفوذهم إلى حجر والاحساء ، وافطيف ، وفد تولي امرهم أبو طاهر الجنابي بعد مقتل والده الحسن بن بهرام الجنابي سنة ٢٠١ هـ ، وفد اشدد هجمات أبي طاهر على البصرة ، وكان أشد هذه الغزوات سنة ٣١١ هـ (١٦٦) ، كما هاجموا الكوفة سنة ٣١٢ هـ (١٦٧) ت

وهي سنة ٢١٥ هـ توجه القرامطة إلى العراق ، ووجهت اسلحة ثمينة إليهم ، يوسف بن أبي الساج ، من كبار قادة العسكريين ، وإليه هزم أمامهم وأسر ، فوجهت أسلحة خيرة من لديها من العواد ، وفي مقدمتهم مؤنس الخادم (المطار) ونصر الحاجب وهارون بن غريب الخال وأبا الهيجاء أحمداني ، ومعهم جيش الخليفة الذي بلغت عدته ألفاً وأربعين بينما كان عدد جيش القرامطة ألفاً وخمس مائة ، وشار أبو الهيجاء بمقطع منطوق على نهر (زبارا) على بعد فرسخين من بغداد ، وكان أسير بفصل بين الجانبين وتم تمكن القرامطة من العبور إلى جيش العباسيين من النهر ، ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب خلق كثير إلى بغداد من غير أن يلقوهم ، فلما رأى أبو

(١٦٦) ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٧٥ ، ابن كثير المصدر السابق ج ١١ ص ١٤٧ .
(١٦٧) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١١٥ ، ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٠ ، ص ١٨٦ .

الهربا ذلك مال مؤسس . (كيف رأيتكم ما أشرب به عليكم
فونه لو عبر المرامطة النهر لانهرم كل من معك ولأحدو
بغداد) وبعد أن بنى المرامطة من مقامهم انصرفوا إلى
الأنبار ولم يجسر أحد على اتعابهم (١٦٨) وسار أبو طاهر
من الأنبار إلى الجزيرة بنهب ويعتل وجيوش العباسيين
عاجزه عن التصدي بهم ، ثم عاد المرامطة أترابهم إلى
موطنهم (١٦٨) .

ودب هؤلاء المرامطة على أمر من طريق الحجاج
ودروهم ، ومن أقطع ما ذهبوا به من هذا الصدد ما حدث
سنة ٢١٧ هـ من دروع حجاج بيت الله الحرام وبهيمهم وصل
بعضهم حتى في المسجد الحرام ، وسع الحجر الأسود ، وبمنه
إلى هجر (١٧٠) .

ولم يحدث في التاريخ أن انتهك حرمة المسجد الحرام
إلى هذا الحد (١٧١) . وبعد الحادثة استطاع الهادي بن أبي
طاهر الذي كان يدعى السميع - يلزمه ويبرأ منه من التذنب

(١٦٨) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١١٥
الهمداني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ العسرى ص ٢٥٤ ، ابن الأثير ج ٦
ص ١٨٧ .

(١٦٩) القرطبي المصدر السابق ص ١١٥ ، ابن الأثير المصدر السابق
ج ٦ ص ١٩١ ، ص ١٩٢ .

(١٧٠) ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ من ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٥ ابن
كثير مصدر سبق ج ١١ من ص ١٦٠ ، ص ١٦٢ .
(١٧١) الفخري مرجع سبق ص ٢٥٢ .

والاحرء ان لم يمت الحذر الأسير إلى مذبته . فمأذاه (١٧٢) .

وكن لظهور هؤلاء الفرامطة اثره لخير في ربيع ٣١٤ هـ العراق والحجاز ، وعندما بلغ أهل مكة صدر الفرامطة منهم سنة ٣١٤ هـ نفقوا حرمهم واموالهم إلى الطائف (١٧٢) . ويذكر أهل بغداد في الهرب من المذبحة إلى حلوان وهم من سنة ٣١٥ هـ عندما أمبل الفرامطة إلى العراق (١٧٤) وكان ما فعله الفرامطة بالحجاج وترويعهم بها في منع أهل العراق من أداء فريضة الحج سنة ٣١٤ هـ حيث ذكر بعض مؤرخين أنه لم يحج أحد من العراقي خوف من الفرامطة (١٧٥) ، وعندما كانوا يصممون على أداء هذه الفريضة في بعض الأعوام كانوا يسلكون طرقا غبر معهودة ليلتمسوا من أداهم (١٧٦) ، وعندما خرج القائد مؤسس الحاتم للحج سنة ٣١٩ هـ خرج في حاشية كثف حولها من الفرامطة ، وسأدى الإلتقاء بهم (١٧٧) .

وهذا فظهرت اختلافه العديدة عاجزة عن التصديقات الفرامطة ، ومنع جرائمهم ، بالرغم من كثرة عدد

-
- (١٧٢) ابن الأثير المصدر السابق ابن كثير المصدر السابق .
 (١٧٣) الهمداني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٤٩ .
 ابن الأثير ج ٦ ص ١٨٥ .
 (١٧٤) الهمداني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٥٢ .
 ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٧ .
 (١٧٥) الهمداني المصدر السابق ص ٢٤٩ ابن كثير مصدر سبق ج ١١ ص ١٥٤ .
 (١٧٦) ابن كثير المصدر السابق ج ١١ ص ١٦٥ .
 (١٧٧) المصدر السابق ص ١١٦ .

جبرش الخدمه ، غنى سر سر لا اسرامطه باله بانه والإدام
والحرص على الموت ، وهذا ما لم يتصور نجتود الخيانة الذى
ملا الطمع نفوسهم وسطر حب الدنيا عليهم .

وكتب من اسرامطه الى منتمه . غمومات لخلافة
العباسية ، وكان خطرهما لا حل فى - نظرها - عن خطر الروم
فى الثغور ، إن لم يزد عليه ، بعدما استحلوا
دماء المسلمين وأموالهم وحرمااتهم ، واستهانوا
بدينهم . ما هم لهم العدو القرب الدار ، الحال بين
أظهر المسلمون . وقد كتب من اسرامطه الدولة العباسية
الكثير من الأمور . وحذرت لها خيرة قوادها وجنودها ،
وشاغلهم المترك مع هؤلاء الاسرامطة من الالتفات إلى الخطر
ابيضنطى على ملطية وغيرها من الثغور .

٣ - النزاع بين الممادة العسكرية كربين ، فما إن
خف ضغط الممادة على العسكارى حتى برز على
المسح دقته . جرى سحود على همام الممادة العسكرية
وصرمتهم عن الاهتمام بـ ثغور ، وهى اسراع فيما بينهم ،
ونناقسهم على الحدود والمناطق ، وقد ظهر ذلك وضحا فى
آخر عهد المعمر ، بين العائدين مؤسس الحسام (الظفر)
ومحمد بن ياقوت ، وكان مؤسس قد وصل إلى مرتبة عليا فى
الدولة العباسية ، وأخيرا أقام مع هذا الثالث من جهود فى

نصيب سلطان لحوالة ، ولحروبته انومة ضد البيزنطيين حتى أصبح بمثابة القائد العام للجيش . وكان اسخيفه بمنزل لما بشسبر به ، وعندما رأى مؤنس أن الخليفة قد تمسك إلى محمد بن باقسوب بعض المناصب الهامة سنة ٣١٩ هـ طلب من الخليفة عزله عن هذه المناصب لأنه ليس أهلا لها ، فعزله الخليفة وأبعده إلى الدائن (١٧٨) راجع دفته الأمر عند هذا الحد ، فقد تولى الوزارة الحسين بن القاسم ، وأخذ الحسين يدبر لئلقضاء على نفوذ مؤنس اسخادم ، وبعث إلى محمد بن باقوت يستقدمه إلى بغداد ، وجمع الجند ، ومال المتقدر إلى جانب الورير ومحمد بن باقوت ، وقد حدث بين الخليفة ومؤنس ما كدر صفو المودة بينهما (١٧٩) .

وإزاء ما حدث ذهب مؤنس بحنده إلى الموصل وادعى أن الخليفة ولاه عليها وكتب الوزير إلى الحمدانيين سنة ٣٢٠ هـ يطلب منهم قتال مؤنس مقاتلوه ولكنهم هزموا أمام مؤنس الذي استولى على الموصل وأخذ يمول بني حمدان ، ثم أخذ مؤنس طردته إلى العاصمة سنة ٣٢٠ هـ وفراجمت أمامه طلائع الخليفة المتقدر ، ومكر الخليفة في ترك بغداد لمؤنس والذهاب إلى واسط ، ولكن محمد بن باقوت معه في ذلك ودأب معه

(١٧٨) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١٢٧ .
ابن الاثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢١٢ .

(١٧٩) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ٢١٦ .

الخروج بنفسه للقتال ، وبين له أن جنود مؤنس إذا راوه تركوا مؤنسا وانضموا إليه .

وانهزم حيد الخليفة مدل أن يصل الخائفة إلى مددان النذل ، وانتفى الأمر بقبال الخائفة المندر ، واصبح المائد دؤذر على خصومه (١٨٠) .

وبعد توليه الظاهر الخلافة استوحش مؤنس الحـدم وولد بن الحـساجب وولده على والورير ابو على بن منه من الدهر وصيروا عبه ، في الوقت الذي حب فيه منزله محمد بن سموب مدد الظاهر الذي عزم على الإتيان بمؤنس . وبعد سلسله من المؤامرات والحـسائس ، انتهى الأمر بقتل مؤنس ولبق وولده على وديك سنة (٢٢١ م ١٨١) .

ما ابو على بن منه فقد اخفى ، ولم يتمكن الظاهر من انقبض عليه ، وأخذ ابن صفه يدبر امكاند للخص من اظهري ، ووصل برؤساء الساجية والحجرية (١٨٢) وأخذ يؤلفهم على

(١٨٠) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري من ص ١٤٢ - ص ١٥٢ ، ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٢١
(١٨١) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ من ص ٢٢٤ - ص ٢٢٩ ، ابن كثير مصدر سبق ج ١١ ص ١٧٢ .
(١٨٢) الساجية انواع ابن أبي الساج احد قواد المعتد ، والحجرية جماعة من الشباب يقيمون في حمرة منفردة ، وهم فرقة من الحـسرس الخاص في قصور الحـلاء حسن ابراهيم تاريخ الامـلام مرجع تقدم ج ٢ ص ٧ حاشية (٢٠)

التأهر ، ودخوفهم من بطشه وفد حدث من القساهر معس
الذ حراف اكذب لهم هذه المخاوف (١٨٣) وما زال بهم حتى
قاموا بالقبض عليه وحلوه من الخلافة ثم سموا عبييه على
الخامس من جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ (١٨٤) .

وهكذا فى الوقت الذى كان فيه البيزنطيون يحترسون
من الثغور ، ويهاجمونها ، واهلها يستنجدون ويستغيثون ،
بهذه الفادة العسكريون فى معارك داخلية ومؤامرات لا تهدف
سوى زياده التموز الشخصى ، والرغبة فى الانقام ، وبحسبى
السعادة والمكانة العالية .

٤ - ن جند الدولة ومادتها - وجلهم من الأفر ك - كى
يفص - هم اش - عور بالولاء للدولة - كم -
بشهر من تندم الأحداث - ولم يكن يحركهم
شئ - ال حمية لدين ولا غيره على حرقات ولا دفاع -
وطن نعموا بالإقامة فيه وامتعوا بخبراته ، بل كان اسل
هم الأول ، ومحركهم القوى ، وقد عبر عن هذا معنى
من مواد هذا العصر هو محمد بن يعقوب عندما ذهب - من
عند من المادة - إلى الخليفة المعتز لطلب المال لانتقاد نفسه .

(١٨٣) من ذلك أنه بعد أن استتب له الأمر كان يعامل السحيفة
والحجرية بحفاة وعطفة ، وأنه حفر فى دار الخليفة حمسين مطمورة تحب
الأرض وأحكم أبوابها ، وأشيع بأنه أعدها ليسجن فيها رؤساء الساجية
والبحرية . الهمدانى مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٨٣ ،
ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ .
(١٨٤) المصدران السابقان .

من المفقوط في يد مؤسس الخادم ، وقال له ، إن الرجال لا تقاتل إلا بالمال ، (١٨٥) .

ومن الحوادث التي تؤكد هذا المسلك ما حدث عندما استندع الخليفة يوسف بن أبي الساج لحرب القرامطة سنة ٣٢٢ هـ حيث طلب مقابل ذلك ثلاثة آلاف ألف دينار وهو مبلغ ضخم بقرعة بدت مال الخلافة ، لئلا يرغى بن تيسى الموريو الاسعدي بمحمسه الاف فارس من بني اسد لحماية طريق مكة ، وخدمته الاف رجل من بني سببان يبعثهم لحرب القرامطة ، وان يكتب ذلك الخليفة ، كثر من التمسديار (١٨٦) وبعده ، حزن يوسف بن أبي الساج في انجاء بغداد - ويبدو ان الخلافة لم توصف إلى أي مدى معه - ضب منه مؤسس الخادم الإقامه هي واسط وان الأموال ستورد عليه (١٨٧) .

٥ - سـ ، الفاحشة الاقتصادية في فترة استبداد الهجـوم البيروني على ملطية وعبرها من الثغور ، فقد كانت الدولة تعاني من أزمة مالية حادة وهذه الأزمة يرجع في جذورها إلى سنوات سابقة فقد كثرت الثورات التي تشهت في دخل الدولة ، كالثورات العلوية وثورة سراج وشيرة إلـ ـ مرحلة الخلافة العباسية مبالغ

(١٨٥) الهذائي المصدر السابق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٧٢ .
 (١٨٦) الطبري مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١١١ ،
 ١١٣ ، ص ١١٤ .
 (١٨٧) المصدر السابق ص ١١٤ .

باهظة ، وفي نفس الوقت قف موارد الدولة نتيجة استعمال بعض أجزائها (١٨٨) ، وبآخر الولاة الذين طلبوا على نفعتهم للدولة العباسية عن دفع ما يترتب من مال ، وقد لجأت الدولة العباسية إلى أسلوب المصادرات ، فغلبه عجزها المالي (١٨٩) كما استحدثت طريقة التسمينات (١٩٠) ، ولكن ذلك لم يؤد إلى إخراج الأزمة إلى الأمام ، ولا حتى إلى إكمال من أهمه في إعداد الجيوش وبسببه ، وبأن العجز المالي سبب في تأخر الدولة - أحداثا - في دفع رواتب الجنود ، وقررة هؤلاء مطالبين بأرزاقهم ، كما حدث عندما بار المنذر عن الخليفة أصدر سنة ١١٨ هـ مطالبين برزاقهم ، ونعمه المنذر دفعها إليهم (١٩١) .

وقد اشتدت الأزمة المالية في آخر عهد المنذر - فبطلت موطأة بطنه بسنوات معدودات نظرا للتكاليف التي بحملها الدولة في حرب القرامطة ، وما يدل على اشتداد الأزمة المالية ، من الخليفة المنذر عجز عن تدبير المال اللازم لمركته المصيرية مع رؤس الخادم الذي قدم إلى عاصمته الخلافة للاستئصال في مقاييد الأمور بها ، وفكر الخليفة في الذهاب إلى واسط أولا ، قال له محمد بن ياقوت أحد القادة العسكريين :

-
- (١٨٨) الهمداني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٧٢ .
 - (١٨٩) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١١١ .
 - (١٩٠) تعني هذه الطريقة تعيين شخص في ولاية أو منصب كبير نظير دفع مبلغ ثابت يلتزم به ويقدمه بالطريقة التي يتفق معه عليها .
 - الهمداني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٧١ .
 - (١٩١) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢١١ .

(اتق الله يا أمير المؤمنين ولا تسلم بغداد بغير حرب ،
وان رجال مؤسس إذا رأوك أحجموا عن القتال) (١١٢) .

واعتُرب الخلافة أمام عجزها المالي ورعبتها في نفس
المؤمنين تحفيق بعض الأعرص التي تهدف الصالح العام
المؤلة إلى منح بعض الولايات لفادتها العسكريين نظير
م.م بذلك كما فعلت مع سعيد بن حمدان عندما ولاء المقتدر
المرسل وديار ربيعة سنة ٣١٩ هـ واشترط عليه غزو الروم
واستفقاذ مطية منهم (١٩٢) .

٦ - خلو ساحة الجهاد ضد البيزنطيين من القواد الكفر
من مذل مرس الخادم الذي قاد المصوائف ضد البيزنطيين
من مطية وعسرها ، لقد شغل هذا القائد تماماً بأوامر
والدسائس في عصمه الخلافة وانتهى الأمر بقتله سنة
٣٢١ هـ (١٩٥) .

ومن مذل القائد أبي العلاء سعيد بن حمدان الذي عقد له
الحديث للمعتز على دير ربيع ومؤسس من دي حجة

-
- (١٩٢) الهذاني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبري - ص ٢٧٢ .
(١٩٢) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢١٧ ، ابن كثير مصدر
تقدم ج ١١ ص ١٦٧ .
(١٩٥) الهذاني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٨١ ،
ابن الأثير مصدر تقدم ج ٦ ص ٢٢٤ وما بعدها .
(١٩٦) القرطبي - مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١٢٦ .

سنة ٣١٨ هـ (١٩٦) ، وقد دخل هذا القبائل -
البيزنطيون ، فلما علموا بمقدمه خافوا أن يحاربهم سعيد من
خارج المدينة ويثور أهل مطية عليهم من داخلها فيهلكوا وحدث
بتركيز المدينة سنة ٣١٩ هـ ودخلها سعيد ، وأصيب عبيها أمير ،
وخرج منها لغزو بلاد الروم (١٩٧) ، وقد حل هذا -
بالأسف - في حربه الصراع حول الناصب وفيل صاحبة هذا
الصراع سنة ٣٢٢ حتى يد ابن أخيه الحسين بن عبد الله
الحمداني الذي استولى على الموصل ، ونجح في إحضار
على موافقة الخلافة (١٩٨) .

٧ - شغل أهاليهم الدولة - فإذا تجسسوا
العراق - مفسر الخليفة العباسية - ومنطقة
استعور ، إلى شرق العالم الإسلامي وغربه ، حيث كان من
أمدن ، أن تشارك جيوش من فارس ومصر ، وهما تأخذ
للدولة العباسية ، في صد الخطر عن مطية وعبره من
التغور .

نجد أن الظروف السببية التي أحكمت حلقاتها على الدولة
العباسية ومنطقة لشغور قد منحت إلى شرق العالم الإسلامي
والى غربه على حد سواء ، ولم يكن من الممكن أن تقاتل جيوش
من هذه المناطق لنجدة ماطية وغيرها من التغور .

هذا قد سرق العالم الإسلامي يشهد هجرة بنى بويه

الفرس هن بلاد النجلم في الجنوب العسري لبحر نزوين
والصراع بين بوبه والقوى السياسية والعسكرية الأخرى على
امتلاك الأقاليم شرق العراق (١٩٩) .

وفي غرب العالم الإسلامي كانت الدولة الفاطمية تتطلع
للاستيلاء على مصر وكانت حملتهم الثالثة على مصر التي
انتهت حواشي ثلاث سنوات (٣٢١ - ٣٢٤ هـ) (٢٠٠) .

٨ - وضع جمهور المسلمين - فإذا بركننا
الحكام والدول والإمارات في جمهور
المسلمين وعامتهم ، وهي قوة عظيمة لا يستهان بها ،
فهم يمكن أن يخرج - طوعاً أو نكراً - إلى
في سبيل الله . وبما أن المسلمين يمكن أن يذهبوا
إعداد هذه الحرب وتجنب الزحف ، كما أن شدة الجمهور أو
العمامة باستطاعتهم أن يكونوا أداة ضغط على الحكام وأن
بحركوهم السدي سيزيدون ، ونحن نجد الناس - في هذه
الفترة العديدة - قد سددت أحاسيسهم ، وبخاصة في العراق
وفي مصر - خلافاً ، ثم تعد بغداد - كما ذهب الباحثين
- المدينة التي يصمم رجالاً قديماً - حذوهم الحمة ، منصرفه بلاد
الإسلام وشعوره (٢٠١) .

(١٩٩) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٢٤ ، ص ٢٢٥ .

(٢٠٠) الكندي مصدر تقدم من ص ٢٠٠ ، ص ٢٠٦ .

(٢٠١) د . حسن إبراهيم تاريخ الإسلام ، مرجع تقدم ج ٢ ص ٢٥

وما يصدق على بغداد بصدق - إلى حد كبير - على سائر المدن والبلاد الإسلامية وبخاصة القريبة من الحُفُور ، وإذا أردنا أن نعرف أسباب مسد الأخلاق وذهاب الحمية ، وجننا من مقتمة هذه الأسباب انقسام المجتمع الإسلامي على نفسه وتفرقه واختلافه ومن مصاعر هذا الانقسام ، الجدال العنيف بين أصحاب الآراء والمذاهب الفتنية .

ومن الأمثلة على ذلك الفتنة التي نشبت في بغداد سنة ٣١٧ هـ بين أصحاب أدبي بكر الرزوي الحنفي وبين غيرهم من جمهور المسلمين وكان سببها الخلاف حول تفسير آية من القرآن الكريم (٢٠٢) .

ومن مظاهر هذا الانقسام تحرش أصحاب الأهون والحرف ببعضهم البعض ومن أمثلة ذلك ما حدث في الموصل سنة ٣١٧ هـ حيث ثارت الفتنة بين العامة وكانت أسبابها تنعاق - لعش ، وتعصب أصحاب الحرف ضد بعضهم البعض ، وامتنالهم وما تبع ذلك من إحراق وتخريب ، وفشل أمير المدينة الحسن بن عبد الله الحمداني في إطفاء هذه الفتنة حتى تدخل بعض العلماء وأهل الدين وأصلحوا بينهم (٢٠٣) .

ومن مظاهر هذا لانقسام أيضا أن بوادر الخلاف المذهبي بين السنة والشيعه أخذ طريقه إلى الطهور ، من ذلك الفتنة

(٢٠٢) ابن الأثير مصدر سبيل ج ٦ ص ٢٠٦ .

(٢٠٣) المصدر السابق ص ١١٤ .

التي حدثت في بغداد سنة ٣٢١ هـ فقد أمر علي بن بديق أحد
الأمراء العسكريين ، وكاتبه الحسن بن هارون - ومعه من
الشيعة أو ممن يميل إلى التشيع - بلعن معاوية بن أبي
سفيان رضى الله عنهم ، وأبى يزيد على المنابر مما أدى إلى
ثورة أهل بغداد وهم من السنة ، وأراد ابن يلبق القبض على
الدائن إلى هذه الثورة وعلى رأسهم البربري رضى الله
عنهم ولكنه أفلت منه (٢٤٤) .

وامتدت ظاهرة الانقسام والاختلاف بين المسلمين إلى
القبائل العربية ، فبالقرب من الموصل تحالف بنو ثعلبة
وبنو أسد وطىء ضد بنى مالك ومن معهم من تغلب ، وكانت
الحرب تشتت بينهم سنة ٣٢١ هـ ، وتدخل حاكم الموصل
الحسن بن عبد الله الحمداني بينهم ، فقتل بنو ثعلبة أحد
بنى عمه ، فقاتلهم الحسن فانهزموا وملك بيوتهم ، وتبعهم
الحسن إلى الحديثة فلقاهم رأس عمام مؤسس ومث وبنى الموصل
فأمنهم إليه بنو ثعلبة وبنو أسد وعادوا إلى ديار ربعة (٢٠٥)
وحيث دل ذلك من عوامل إضعاف وحدة جمهور المسلمين .
وشجع أفكارهم ، وإبعادهم عن النظر في أحوال الثغور
الإسلامية التي تتعرض لانتهاك البيزنطيين .

(٢٠٤) المصدر السابق ٦٠ من ٢٢٢ .

(٢٠٥) المصدر السابق .

ثانيا : بالنسبة للجانب البيزنطي :

١ - من أسباب سقوط مملكة أن الدولة البيزنطية رُتبت جهودها على الحروب بين المسلمين منذ سنة ٣١٢ هـ / ١٢٤ م وجاء هذا التركيز نتيجة لتحسن الأوضاع الداخلية والخارجية للدولة البيزنطية ، فمن ناحية الأوضاع الداخلية استقرت هذه الأوضاع بعد القضاء على مشكلة الحروب الدني حول مسألة الأيمونات ، واتجهت الامبراطورية إلى تأييد الأيقونية سنة ٨٤٣ م / ٢٢٨ هـ (٢٠٦) .

أما الأوضاع الخارجية ، فكانت أهم المشاكل التي صادفت لامبراطورية قبيل هذه الفترة هي أطماع البلغار في الأراضي البيزنطية ، ورغبتهم الحصول على امتيازات في مجال التجارى وادب تطورات الأحداث إلى نشوب معركة بين الجانبين انتهت بهزيمة البيزنطيين سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ وأصبح « سيمون » ملك البلغار مسيطرا من الناحية العملية على البلقان ، وظل يبعث تهديد مستمر للاستقلالية حتى سنة ٣١٢ هـ / ١٢٤ م (٢٠٧) ، وفى هذه السنة دخل سيمون دى مفاوضات مع البيزنطيين بعد أن أدرك صعوبة إحكام احصار حول القسطنطينية بسبب حاجته إلى سائر

(٢٠٦) د . غنيم مرجع سبق ص ٨٤ ، مى مرجع تقدم ص ١٢٦ وحاشية ٨ ، ٩

(٢٠٧) د . سليمان مرجع تقدم ص ٧٢ نقلا عن :

Obolensky' Op. Cit. PP. 110 - 111 .

قوى ، ذى أثره الذى تمكن فيه المبريطيون من حشد
كامل قوائهم بعد توقيع معاهدة مع الدولة العباسية فى هذه
السنة (٢٠٨) .

٢ - أنه كان يتولى الحكم فى القفره التى ألح بها
البريطون بالهجوم على مطقة (٣١٢ - ٣٢٢ هـ) الامدراطور
رومانوس الكابريس ، الذى عرف بشهارة العسكره
وحسن الهندسه ، والتعصب ضد المسلمين ، وبعد ان
علم من هذا لامدراطور من ناحية البلغار وحسن الموقف ،
أخذ إلى مطقة الثغور الاسيمنية ، وأولى اهتماما بثغور
الحزبه وبمطبه على وجه الخصوص ، باعتبارها مركز
للدفاع عن مطقة الجزيرة وسهل الزحف منها إلى ثغور
الشام .

٣ - التخطيط لإسقاط المدينة وانتدبه
نحبيب ذلك ، وبعد بدأ هذا التخطيط منذ خبر
نبرنط عن أهميته وخطورتها ، وكان لاميرها عمر بن عبد الله
الأفطع دور فى إبراز هذه الأهمية عندما كان يصل فى
غزواته لمبلاد البرنطبة إلى أعماق بعيدة ، ويهزم
البيزنطيين ، كما مر .

وفى مقدمه الأساطرة المدن خططوا لإسقاط هذه المدينة

(٢٠٨) مسكويه مصدر سبق ح ٥ ص ١٢٩ ، د . سليمان المرجع
السابق ص ٧٦ ، ص ٧٧ .

الامبراطور ميخائيل الثالث فبعد أن حلص من وصاياه ،
، ثيودورا ، وأصبح الحاكم الفعلي للأمبراطورية سنة
٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م درس توقف على الحدود الإسلامية
البيزنطية ، ووجد أن الخطر يأتي من قبل ملطية وميرها
عمر بن عبد الله الأقطع ، فوضع خطه للقضاء على هذه الدولة
ورأى أن ذلك من يتأني إلا بتوجيه ضربه إلى حلفائها من
البيزنطية ، ولذلك أعد جيشا للهجوم على ملطية وتقسيم
العاصمة البيزنطية ، واستعان على تنفيذ هذه الخطة بالحزب
والدموية حيث طلب من الحاشية العباسي المتوكل في العام
السابق على تحرك جيشه عند الهدية ، وذلك سنة ٢٤٥ هـ /
٨٥٩ م (٢٠٩) ، وما أن تحرك جيشه سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م حتى
عزم بمحاربات الروس من العاصمة فعاد أدراجهم ، وفشل
خطه (٢١٠) .

وكان الامبراطور باسبل لأول أكثر من غيره إلحاحا على
تدمير ملطية ، والمصاء على هذه الفتن الإسلامية التي تهدد
حدود بلاده وأمن أراضيها ، وقد خطط بإحكام لتحقيق هذا
الهدف ، وبعد أن اطمأن إلى العلامات السلمية مع جيرانه من
الروس وبلغار في الشمال ، ومع البندقيسة والألمان في
الغرب (٢١١) ، اتجه صوب البيزنطية حلفاء المسلمين وأعوان
امراء ملطية ، ورأى أن يقضي على هؤلاء أولا ، وتمكن من الزحف
إلى عاصمتهم ، بفردت « واستولى عليها ، كما تمكن

(٢٠٩) الطبري مصدر سبق ج ٩ ص ٢١٢ .

(٢١٠) د . سليمان مرجع تقدم ج ١ ص ٤٤ نقلا عن :

Obolensk' Op. Cit, 182 183 .

(٢١١) المرجع السابق ص ٤٩ .

- يزعمون أن القبط على رعيهم ذكرهم بمرور، الذي من
 به حم دبث أنقرة، ونجح باسيل في تشييت شمل البيالصة
 فدخل معهم من مذهبه إلى الأرثوذكسية مذهب الامبراطورية
 البيزنطية، وذهب فريق منهم إلى ماطيه للعمل مع المسلمين.
 وادخل باسيل بهذا النصر سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م (٢١٢).
 وبأنرغم من نجاحه في القضاء على البيالصة إلا أن ذلك لم
 يهمل له النجاح في فتح المدينة ولم يالهزيمة أمام اسوارها
 سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م، وسنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م (٢١٣) وانزل
 داسيل ن الامبراطورية في حاجة إلى حلفاء يعمون معها في
 هذه المعركة حتى يمدني لها الانصار على المسلمين، راجع
 باسيل إلى أرمينية واعرف باشوب البغراتي ملك تلي
 أرمينية سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م، وتوفي باسيل في نفس
 العام (٢١٣). ولم يتوقف التخطيط لإسقاط المدينة في عهد
 السادس الذي جدد الاعتراف بأشوب البغراتي ملكا
 أرمينية سنة ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م. وعقد معه معاهدين إحدا
 سياسية والأخرى تجارية، ومأم البيزنطيون بإنشاء عرين
 جديدين هما ثغر لبكاندوس، وثرع أعالي العراق، وكان
 لبكاندوس في شمال ماطية شرقي فليقا، والغرض من هذا
 الاتصال المباشر بين ثغري ماطية وطرسوس
 وبالتالي مع المساعدات العسكرية بينهما (٢١٥)، ولكن

(٢١٢) المرجع السابق .

(٢١٣) الطبري مصدر تقدم ح ٩ ص ٦-٥، ص ٦١٢ .

(٢١٤) حسين : د . صابر محمد دياب أرمينية ص ١٤٢ دار النهضة

العربية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، د . سليمان . مرجع تقدم ص ٥٢

(٢١٥) د . سليمان المرجع السابق ص ٦٩ نقلا عن :

Food The Byzantine Empire P. 247. london' 1911

تأثير هذا الثغر لم تظهر - كما يبدو - إلا بعد مدة من الزمان فقد ظل الاتصال مستمرا بين ملطية وطرسوس بالرغم من وجوده ، بل إن قواب طرسوس ذهبت إلى ملطية لتقـــوم بانغزو من هناك سنة ٣١١ هـ (٢١٦) ، أما ثغر أعالي العري فيقع إلى الشمال من ملطية ، والغرض الواضح منه تسيير وصول القواب البيزنطية و لامدادات ، إلى المدينة مما يساهم إلى إسقاطها .

ثم كان : حصة الإمبراطور - رومانوس أبكيينفوس ، الذي يقوم على الهجوم أكثر من الدفاع ويهتف إلى الاستيلاء على الثغور الإسلامية ومهاجمة المدن التي تقع خلف هذه الثغور ، وإتلاء دوة بيزنطية حازمه في أرمينية ، وقد هبأ الركود العسكري والضعف الذي هيمن على الخلافة العباسية في هذه الفترة نجاح هذه المخططة .

بدأ رومانوس تنفيذ خطته بعد أن خف الضغط العسكري البغاري - في بلاده سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٢ م ، وأخذ يسيح من وضع لامبرطورية العسكري ، وأرسل إلى مدن الثغور ينوعدهم ويهددهم إن لم يدخلوا في طاعته ، ويبذلوا الخراج ، وأرسل قائده الكبير د كوركوس ، للهجوم على ملطية سنة ٣١٣ هـ (٢١٧) ، وكرر الهجوم في الســـم

(٢١٦) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ١٧٢ .

(٢١٧) الهذاني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٤٨

ابن الأثير ج ٦ ص ١٨٢ ، ابن كثير ج ١١ ص ١٥٢ .

الثاني ٣١٤ هـ / ٢٦٦ م ، ولكن البيزنطيين لم يصروا من المدينة شيء ، (٢١٨) ، وأمام هذا الفشل رأى البيزنطيون أن يدعموا التحالف بينهم وبين شوط الثاني (أيركاب الحديدى) ملك أرمينية ، فأرسل الإمبراطور جيشا لحرب مدينة « دبل » وهي من المناطق الإسلامية في أرمينية سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، بقيادة كوركواس ، ولكن هذا الجيش هزم ، وقتل منه عشرة آلاف جندي (٢١٩) .

وفي السبع التالي وصل جيش ضخم إلى جنوب أرمينية بقيادة كوركوس ، وحاصر « أحلاط » ونمكن من دخول المدينة ، وأخرج المبر من الحامع وجعل مكانه صليبا ومعلنة بدنس كذلك ، وخافه أهل أرض وغبرهم ففاردوا بلادهم واندحروا عيانتهم إلى بغداد يسعة ثون فلم يغتفم أحد (٢٢٠) .

وكان العرض من هذه الحملات التي انقسمت بروح التعصب البغض ، استماله الأرمن ، والأمل في مساعدتهم ضد ماطنة وغبرها من الثغور الإسلامية ، بالإضافة إلى الحد من المسلمين والعشاة على نفوذهم في هذه المناطق ، والرغبة في ضم هذه المناطق - فيما بعد - إلى إمبراطوريتهم .

وفد أنت سياسة البيزنطيين تجاه أرمينية ثمارها ،

(٢١٨) ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٧٥

(٢١٩) المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٨ .

(٢٢٠) المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٩

وساعد على نجاح هذه العملية الحملات الإسلامية التي
 منها يوسف الساجي وغيره من الولاة المسلمين على بعض
 أجزاء دن أرمينية ، وكتب لبطريرك الأرمنى « هوفهانيس
 الخامس » إلى الامبراطور البيزنطى « قسطنطين السابع »
 وشريكه الامبراطور « رومانوس نيكافيتوس » رسالة يوضح
 فيها أن أهل أرمينية معهود على بيزنطية فى محاربة المسلمين
 والأخذ بثأرها منهم ، واعتبر البطريرك تدخل امبراطور
 بيزنطة - الذى توجه بسوء المسح - حربا صليبية ، وصرح
 - أنه يتحدث باسم النصارى - جزء من الشعب الأرمنى -
 وسائر أمراء البلاد .

وتلقى الامبراطور البيزنطى هذه الرسالة بسرور بالغ ،
 لأنه - تحت - روم - بدأ طرد النصارى منه ، وأرسل فى
 الحال معونة بيزنطيا إلى الملك الأرمنى « آشوت الثانى »
 مدعيا بالهسديا ، ومعه صيغة تحالف بيزنطى
 أرمنى (٢٢١) .

ومن وسائل البيزنطيين لتزيف بمعية فى هذه الفترة
 استخدام الحيلة والدعاية ، فقد بعث البند البيزنطى « ميج
 الأرمنى » سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٧ م بسبعمائه رجل من الزوم
 والأرمن إلى ماطلة ، ومعهم الفؤوس والمعاول ، وأظهروا أنهم
 يتكسبون بالعمل حتى يستفروا فى المدينة ، فإذا جاء الزوم

(٢٢١) حسين : د . صابر دياب مرجع تقدم ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ .

لحصارها عاونوهم من الداخل ، وعملوا على تسليم المدينة إليهم ، واكتشف أهل ملطية الخدعة فقتلوهم ، وأخسبوا ما معهم (٢٢٢) .

وبعد أن وثق البيزنطيون من تحالف الأرمن معهم ، تقدم كوركواس سنة ٣٢٢ هـ بجيشه إلى المدينة ، واثقا من تحقيق النصر هذه المرة ، وكانت الأحوال المضطربة للجانب الإسلامي من أسباب هذه الثقة ، ومع ذلك لم يكن سموط المدينة يز السهولة يمكن أولا اعتماد البيزنطيين على الحصار المطويل الذي دى إلى موت أكثر أهلها من شدة الجوع (٢٢٣) .

نظرة وتعقيب في الختام :

هذه صورة لجهاد شعب ملطية ، وصفحة من تاريخ امتنا الإسلامية كسماها الاشراف والفجار في معظم سطورها وجلالها سوء النهاية موشاح من الندم والأسى من بعينها سطورها ، ولكن يجب ألا تجعلنا سوء نهاية ثغر ملطية محكم على العالم الإسلامي أنئذ بالضعف والاضلال ، بل لابد من النظر إلى العالم الإسلامي نظرة عامة شاملة ، وسوف نرى أنه في الوقت الذي كانت فيه بلاد المشرق الإسلامي تشهد مرحلة من الضعف العياسي والعسكري أطمع فيها أعداؤها من

(٢٢٢) المصدر السابق .

(٢٢٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

البيزنطيين ، وجراهم على انقطاع شعورهم ، فإن الوضع في
العرب الاسلامي كان مخلفاً تماماً ، فاستطاع الدولة الفاطمية
الفقيه في البحر المتوسط يحرز الانتصارات ثلث الانتصارات
في اهم الفرنجة ، وكانت جزيرة صقلية - في معظمها -
تابعة للفاطميين ، وفي سنة ٢١٢ هـ سار جيش صقلية مع
اميرهم سالم بن راشد إلى رص الكبرياء - رص رشا - رص
الخليفة المهدي الفاطمي (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤) هذا
الجيش بجيش آخر من أفريقيا ، وتمكنت هذه السيرة الاسلامية
من فتح جهات كثيرة ثم عادت إلى صقلية ، وسارت منها إلى
ارض ماورية - جنوب إيطاليا - وصدوا مدينة طارن
فحاصروها ، وفقدوها بالسيف في شهر رمضان ، ووصلوا
مدينته أدرن فحاصروها وحربوا منازلها ، وواصل أهل
مدية المسلمون الإغارة على ما بأبدى الروم من جزيرة صقلية
وفزيرة (٢٢٤) ، كما أرسل الخليفة المهدي حملة بحرية سنة
٣١٥ هـ بقيادة « صابن النقي » أغارت على ماورية وسواحل
الروم ، وأرسل حملة أخرى بقيادة « صابن » ، أرسله سنة
٢١٦ هـ فتحت بعض الجهات ثم سارت إلى مدينة (نابل) فتح
دلتها الجزية (٢٢٦) .

وبعث الخليفة القائم الفاطمي بجيش إلى جزيرة مدية

(٢٢٤) ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٢ .

(٢٢٥) ابن عذري المراكشي : أبو عبد الله محمد البيان المغرب في
أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ١٩٨ نشر دوري لين ١٨٤٨ - ١٨٥١ م .
• حسن إبراهيم تاريخ الدولة الفاطمية ، مرجع سبق ص ١١١ .

٢٢٢ هـ فسبى وغنم (٢٢٦) ، ويبعدو أنها كانت حمله
استطلاعية . ففي العام القالى ٢٢٣ هـ سبر الخليفة المائى
أسطولا من أفريقية تمكن من فتح مدينة جنوه ، ومر بسردانية
فأوقع باهلها . وأحرق مراكب كثيرة ، ومر هذا الأسطول
الدايم بمزمزم - قرصه - فأحرق مراكبها وعد
سالم (٢٢٧) .

ركبت باره برنس برور مدونه لأهوين ، وبحاصه
من عهد بد الرحمن لناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١م)
الذى استطاع أن يحرز احترام الملك الأوردي وقديرهم ،
وسادن السمر والبغداد معهم (٢٢٨) ، وتمكن من صيانة
حدود درانه من غارت المعيزين ، واستطاع أن يكبح جماح
الفرى الأسنة المسددة فى الشمال - وخرج على رأس
جيشه وخاص منهم جزوبا كثيرة ، وهم حصونهم .
واستعاد بلاد كرهه ، وقد استهزب الأندلس فى عهد سادى
والازدهار الداخلى والنشآت المعمارية الكثيرة (٢٢٩) .

(٢٢٦) ابن الاثير ج ٦ ص ٢٢٨ .

(٢٢٧) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٩ ، د . حسن ابراهيم تاريخ الدولة
الفاطمية مرجع تقدم ص ١١١ .

(٢٢٨) أدن عدارى مصدر سبق ج ٢ ص ٢١٣ - ٢١٥ ، ابن خلدون :
عبد الرحمن بن محمد . الب . ودوان المبتدا والخبر ج ٤ ص ١٤٣ يولات
القاهرة ١٢٨١ هـ ١٨٦٧ .

(٢٢٩) المبادئ مرجع تقدم ص ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٨ .

وإذا تجاوزنا الفواحي السياسية والعسكرية للعام الإسلامي في هذه الفترة من القرن الرابع الهجري ، في الناحية الحضارية ، نجد أن القرن الرابع الهجري - بـ يعرف أغلب الباحثين - كان قرن ازدهار الحضارة الإسلامية في شتى الفواحي (٢٢٠) .

وأخيراً فإن ملطمة أم سبق طويلاً في أسر الروم ، وتم يس المشرق الإسلامي عرفاً في ضعفه السياسي وتعجزه العمداري ، قد برزت فيه جادة من داخل الجسم الإسلامي ، تعدت للدولة الإسلامية شبابها ، وامتدادها العسكرية ، هذه المسألة هي لأدرك السلاجقة (٢٢١) ، وبعد أن استتب لهم الأمر ، دحر عاصمة الخلافة سنة ٤٤٧ هـ وبسماهم مقاميد الأمور حـ دوا في الإغارة على أطراف الدولة البيزنطية وتعرضت مطالبته لغارات هؤلاء السلاجقة حتى سقطت في أيديهم ، ولعل أول هذه الغارات تلك التي قام بها القائد المسحوي « دينار » سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٧ م (٢٢٢) ، وكان السلاجقة القسوف

(٢٢٠) أنظر في ذلك : لوبون : جوساف ، حصار العرب ترجمة عادل وعيتر مطبعة عيسى الحلبي بدون تاريخ ، متر : آدم الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، د/حسن إبراهيم تاريخ الإسلام مرجع تقدم .
(٢٢١) نرح هؤلاء الأتراك إلى بلاد العالم الإسلامي من تركستان في أواخر القرن العاشر الميلادي (الرابع هجري) وأصبحوا قوة سياسية وعسكرية يحشونها ، وتمكنوا من دخول بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وتمكنوا من السيطرة على مقاميد الأمور في الدولة العباسية ولم يكن للخليفة سوى الزعامة الروحية . أنظر ابن الأثير ج ٨ في مواضع متفرقة .
د . عاشور أوربا العصور الوسطى مرجع تقدم ج ١ ص ٢٩٦ ، ص ٢٩٧ .
(٢٢٢) د . سليمان مرجع تقدم ج ١ ص ٢٢٥ .

لترصع على البيزنطيين في هذه الفترة ، وتمكن الجيس
السلجوقي بمساعدة لسلطان « الباب رسلان » من إدرن « مدينة
مذكورة في صفوات البيزنطية في موقعة (مانزك) سنة ٤٦٢ هـ /
١٠٦٢ م التي أسرف فيها الامبراطور رومانوس الرابع (٢٢٣)
(٤٦١ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٨ - ١٠٧١ م) وترتب على هذه
المعركة الحاسمة نجاح السلاجقة في التوسع على حساب
الدولة البيزنطية ، وتمكن القائد السلجوقي « ساليمان » من
قتله « من القروعل في آسيا الصغرى ، ووضع في هذه
المنطقة أساس دولة الروم السلجقية التي امتدت شمالا حتى
بيعت شواطئ البحر الأسود وجنوبا حتى البحر المتوسط ،
وتوسعت غربا كذلك دون أن يتمكن البيزنطيون ارفهم
في وجههم (٢٣٤) .

(٢٢٣) ابن الاثير ج ٨ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، د . عاشور أوربا العصور
الوسطى مرجع تقدم ج ١ ص ٣٩٨ . يوسف ، د . جوزيف مرجع سبق
ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .
(٢٣٤) ابن الاثير المصدر السابق ج ٨ ص ١٢٦ د . عاشور
الرجع السابق .

المصادر والمراجع والمعاجم

أولا : المصادر :

ابن الأثير . أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد -
الشيبياني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

١ - لكامل في التاريخ - دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ /
١٩٧٨ م

البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادى
(ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)

٢ - فوح البلدان - دار الكتب العلمية بيروت
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

ابن بكرة بردى . جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن
تغرى بدوى (٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)

٣ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - القاهرة
١٣٥٢ - ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٢ - ١٩٣٩ م

الحصري . أبو عبد الله باقوت بن عبد الله الحموى
الديلمي (٦٢١ هـ / ١٢٢٨ م)

٤ - معجم البلدان - دار إحياء التراث العربى بيروت
بدون تاريخ

ابن حزم . أبو العباس محمد بن حزم النخعي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)

٥ - صورة الأرض - نشر كرامر ضمن المجموعه الجغرافية العربية - الطبعة الثانية لندن ١٩٣٨ - ١٩٣٩ م

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م)

٦ - العبر وديوان المبتدا والخبر - بولاق القاهرة ١٢٨٤ هـ ١٨٦٧ م

ابن طباطبا : محمد بن علي المعروف بالطقطقي (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)

٧ - الفخرى في لاداب السلطنة والذول الاسلمية المطبعة لرحمانه - القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد (ت ٣١٠ هـ / ١٢٢ م)

٨ - تاريخ الزل والموت - تحقيق محمد أبو الفهم ابراهيم - طبعة الثانية - دار المعارف - ١٦٧٠ - ١٩٧١ م

ابن العديم : كمال الدين أبو حفص عمر بن أحمد هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م)

٩ - بغية الطلب في تاريخ حلب - مخطوط مصور بدر الكتب - القاهرة تحت رقم ١٥٦٦ تاريخ

ابن عذري ' راکشي . أبو عبد الله محمد (ب واحد -
القرن السابع الهجري)

١٠ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - تحقيق
كولان ويثفي نرويسال - دار الثقافة بيروت ١٩٦٧

مدامه بن جعفر (ب القرن الرابع الهجري)

١١ - نبذة عن كتاب الخراج وصحة الكتاب ، صمن
المسالك والممالك لابن خرداذبة لندن ١٩٦٧ م

القرطبي : عريب بن سعد (ت حوالي سنة ٣٣١ هـ /
٩٤٢ م)

١٢ - صلة تاريخ الطبري في الجزء الحادي عشر من
تاريخ الطبري ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م

ابن كثير : إمام الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٨٢ م)

١٣ - البدابة والنهاية - الطبعة الأولى - دار لمكر
العربي - القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م

الكندي . أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)

١٤ - ولاء مصر - تحقيق د . حسين نصار - دار صادر
بيروت - بحث تاريخ

السعودى أبو الحسن على بن احسن (ب ٣٤٦ هـ /
(٩٥٦ م)

١٥ - الخبيبه والاشراف - دار التراث ببيروت ١٩٦٨ م
١٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - المطبعة لجهينة
القاهرة ١٣٤٦ هـ

مسكويه : أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب (ت
٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م)

١٧ - تجارب الأمم وتعايب الهمم - القاهرة ١٩١٤ م

الهمذانى محمد بن عبد الملك (ب ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م)

١٨ - تكملة تاريخ الطبرى ضمن البحر الحادى عشر من
تاريخ الطبرى - دار اشراف - القاهرة ١٩٧٧ م

اليعقوبى أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن
واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)

١٩ - تاريخ اليعقوبى - دار صادر ببيروت - بدون تاريخ

ثانيا : المراجع :

حسن : د . حسن إبراهيم

٢٠ - تاريخ الاءاء الناطمية - الطبعة الرابعة - مكتبة
النهضة المصرية - القاهرة ١٩٨١ م

٢١ - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - الطبعة العاشرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٢ م

حسين : د . محمد صابر دياب

٢٢ - ارمينية من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة - دار الفجر - دار النهضة العربية - القاهرة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

الخضري : الشيخ محمد

٢٣ - محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدورة العربية) - الطبعة اربعة - مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م

رمضان : سنيفن

٢٤ - الحصار البيزنطي - ترجمة عبد العزيز جود - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦١ م

سليمان : د . احمد عبد الكريم

٢٥ - المسلمون والبيزنطيون في شرق اسنخر البيزنط - الطبعة الاولى - مطبعة السعادة - القاهرة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

٢٧ - في تاريخ المغرب والاندلس - مؤسسة لشدة الجامعية - الاسكندرية - بدون تاريخ

عثمان : د . فتحى

٢٨ - الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحصارى - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ م

العرينى : د . السيد الباز

٢٩ - أجناد الروم - مكتبة نهضة مصر - القاهرة ١٩٥٦ هـ

غزيم : د . د . إسمت

٣٠ - الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية - نشر
المجمع العلمي بجدة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

سويون : جوستاف

٣١ - حصار العرب - ترجمه عادل زعيتز - مطبعه
نيسى الحلبي - القاهرة - بدون تاريخ

متر : آدم

٣٢ - التصوره الإسلامية في القرن الرابع الهجري -
ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده - الطبعة الرابعة - دار
لكتاب العربي - بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م

محمود . د . د . حسن أحمد و د . أحمد إبراهيم الشريف
٣٣ - العلم الإسلامي في العصر العباسي - الطبعة
الخامسة - دار الفكر العربي - القاهرة - بدون تاريخ

هسي : ج . م

٣٤ - العالم البيزنطي - ترجمه د . رأفت عبد الحميد -
الطبعة الثانية - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٢ م

يوسف : د . جوزيف نسيم

٣٥ - تاريخ الدولة البيزنطية - دار لمعرفة الجامعية
الاسكندرية ١٩٨٨ م

ثالثا : المعاجم :

الرازي : محمد بن أبي بكر

٣٦ - مختار المعجم - الطبعة الأولى - المطبعة
الشريفة بمصر المحمدية - القاهرة ١٣٠١ هـ

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتساي البارود

تاء التانيث
خصائصها وأغراضها

بقلم
د . وجيه عبد العزيز زيادة
المدرس بقسم اللغويات بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث
رحمة للعالمين ، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -
وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن موضوع « المذكر والمؤنث » من الموضوعات التي
 حظيت باهتمام كبير من علماء اللغة والنحو على السواء .
دلت بسأوله بالدراسة كثير منهم في طيات كتبهم ، بل أفرد
له بعضهم المؤلفات المستقلة ، كالفرء ، وأبي عبيد القاسم
بن سلام ، وأبي حاتم السجستاني ، والبرد ، والزجاج ،
وابن خلدويه ، وابن الأنباري ، وابن جنى وغيرهم .

ومرجع تلك العناية الى ما يمثلها هذا الموضوع من
أهمية كبيرة في صيغته اللغة ، وما يلعبه من دور فعال
في حفظ الأسان من المحدث والانحراف ، فالنحو - عند حدائق
النحاة - ليس مقصورا على معرفة أواخر الكلم إعرابا وبناء
- كما يتوهم بعض المتوهمين - وإنما هو أرحب أفقسا ،
وأوسع دائرة من ذلك بكثير ، فالنحو في مفهومه الحقيقي
وحده الجامع هو : « علم يعرف به أحوال الكلم العربي
من حيث الإعراب والبناء ، والتعريف والتذكير ، والتقديم
والأخير ، والمذكر والمؤنث ، والاتصال والانفصال ،

والذكر والتأنيث ، والتعدي واللزوم ، وما إلى ذلك مما يدخل في تنظيم الجملة وإصلاح الكلام ، .

وليس أدل على صحة هذا التعريف ، وانطباقه على ما تناوله العلماء لأجلاء من موضوعات في علم النحو - من قول أبي بكر بن الأنباري في صدر كتابه «المذكر والمؤنث» : (اعلم أن من تمام معرفة النحو والإعراب ، معرفة المذكر والمؤنث ، من ذكر مؤنثا ، أو أنث مذكرا كان العيب لازما له كازومه من نصب مرفوعا ، أو خفض منصوبا ، أو نصب مخفوضا) (١)

هذا . . . ومما هو جدير بالذكر أن ظاهرة التأنيث والتذكير في لغتنا العربية ، تعد فضيلة من فضائلها المتعددة ، وواحدة من أهم سماتها التي ميزتها على غيرها من سائر اللغات ، فمنها نرى عددا من اللغات كالتركية والمارسية لا يفرق فيها بين المذكر والمؤنث بفارق لفظي ، بل بالقرائن غير اللفظية (٢) - نجد أن في لغتنا من العلامات التي يميز بها المؤنث من المذكر ما أوصله البعض إلى خمس عشرة علامة (٣) .

-
- (١) المذكر والمؤنث لأبي بكر بن محمد الأنباري : ٥١ .
 - (٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٩٤/٤ .
 - (٣) ثمان في الأسماء : الهاء ، والألف المعنوية ، والمقصورة ، تاء الجمع في الهندات ، والكسرة في أنت ، والنون في أنتن وهن ، والتاء في أخت وبنت ، والياء في هذى - وأربع في الأفعال التاء الساكنة وياء المخاطبة ، والكسرة في قمت ، ونون النسوة - وثلاث في الأدوات : التاء في ربت وثمت ، والهاء في هيات ، والألف والهاء في انها هند قائمة الأشياء والنظائر في النحو للسيوطي : ١١٩/٢ .

هذا الى جانب أنماط عديده من الأسماء والصفات تنفرد بأحوال خاصة ، فمدها ما يشترك فيه الذكر والمؤنث ، ومنها ما جرد من علامة التأنيث وهو خاص بالمؤنث ، ومنها ما لحقه علامة تأنيث وهو خاص بالذكر ، الى غير ذلك من أمور ترواج شأن تلك اللغة وتعلو قدرها .

وفي الصفحات التالية سنباول واحدة من تلك العلامات النى وضعت للفرق بين المؤنث و الذكر ، وهى « تاء التأنيث » يقصد التعرف على أهم خصائصها وأحكامها ، وسرد معانيها وأغراضها .

وسر اختيار تلك العلامة - دون غيرها من العلامات - هو كونها أكثر وأظهر دلاله من غيرها ، كما أنها - الى جانب ذلك - تحمل العديد من المعانى والأغراض كالفرق بين الواحد والجنس ، والمبالغة ، وتأكيد المبالغة ، وغير ذلك مما سيتضح فيما يأتى :

أولا - التأنيث وأنواعه :

يمكن حصر أنواع التأنيث وأقسامه في ستة أنواع هي :

١ - المؤنث الحقيقي . وهو الذى يلد ويتناسل ، ولا بد له من علامة تأنيث ظاهرة أو مقدرة مثل : « فاطمة ، لبنى ، هند ، عصفورة ، عقاب ، (٤) » .

٢ - المؤنث المجازى وهو الذى لا يلد ولا يتناسل ، سواء أكان مختوما بعلامة تأنيث ظاهرة مثل : « ورقة ، وسفينة ، أم مقدرة مثل : « دار وشمس » .

٣ - المؤنث اللفظى : وهو ما اشتمل على علامة تأنيث ظاهرة ، ومدلوله مذكر مثل : « حمزة وأسماء ،

٤ - المؤنث المعنوى : وهو ما كان مدلوله مؤنثا حقيقيا أو مجازيا ، وكان خالبا من علامة التأنيث نحو : « زينب وعناق ، وعين وبئر » .

(٤) العقاب - بضم العين - من الطيور الجارحة مؤنثة ، وقيل يقع على الذكر والأنثى ، والحسم : أعقب وأعقبه وعقبان . وجمع الجمع عقباين .

٥ - المؤنث الحكمي وهو ما كانت صيغته مذكورة ، ولكنها أصبحت الى مؤنث فاكتمست منه التأنيث ، وذلك نحو لفظ « كل وبعض » في قوله تعالى . « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » (٥) وقسوله عز وجل : « يلتقطه بعض السيارة » (٦) فيمن قرأ (٧) « تلتقطه » بأقراء ، فإن اللفظين المذكورين - كل وبعض - مذكوران في الأصل واكتسبا التأنيث مما أصبغا إليه ، فقد ذكر الفحاه من الأمور التي يكتسبها الاسم بالإضافة فثبت المذكر وتذكير المؤنث (٨) .

٦ - المؤنث لأويلي : وهو نوع آخر من التأنيث تكون الكلمة فيه مذكورة الدلول ، ولكن يراد - لسبب ما - تأنيثها . حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : سمعت أعرابيا يمانيا يقول : فلان لغوب جامته كتابي فاحتقرها ، فقلت له : انعول . « جامته كتابي » ؟ فقل : أليس بصحيفة ؟ (٩) .

والنرائث العربي حافل بأمثلة عديدة من هذا النوع - نثرا وشعرا - فمن شواهد الشعرية قول رويشد بن كثير الطائي .

(٥) ق : ٤١

(٦) يوسف : ١

(٧) الكشاف . ٢/٢٤٤ ، قال الزمخشري « وقرئ » (تلتقطه) بالياء على المعنى ، لأن بعض السيارة سيارة ، كقوله : كما شرقت صدر القناة من الدم . ومنه : ذهبت بعض أصابعه ، ١ هـ .

(٨) المعنى ٢/٥١٢ .

(٩) الانصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري : ٢/٧٦٢

المسألة ١١١ ،

يا ايها الراكب المزجي مطيته
سائل بنى اسد ما هذه الصوت (١٠)

فقال « هذه » لأن الصوت في معنى الصيحة ، ويطلق
عليه لفظ الجلبة أو الضوضاء ، وقد جاء عكسه أيضا - إطلاق
المذكر على المؤنث - ومنه قول القائل .

قامت تبكيه على قبره
من لى من بعـدك يا عامر

تركتنى فى الدار ذا غربة
قد نل من ليس له ناصر (١١)

قال « ذا غربة » ولم يفل « ذات غربة » على تأويل المرأة
بإنسان .

هذا . . وقد اختلفت وجهات نظر العلماء فى هذا النوع .

(١٠) البيت من البسيط ، المزجي : اسائق . وجملة « ما هذه
الصوت » فى موضع المفعول للفعل « سائل » وموضع الاستشهاد قوله
« هذه الصوت » حيث أشار باسم الإشارة للمؤنثة الى المذكر ، وقد خرج
على الحمل على المعنى ، وتأويل الصوت بالاستغاث ونحوها . الحصائص
٤١٦/٢ ، وابن يعيش : ٩٥/٥ ، ٩٦ ، والانصاف ٧٧٢/٢١ .

(١١) البيتان من السريع ، ومحل الاستشهاد « ذا غربة » فانه ذكر
ينفى أن يقول « ذات غربة » لأن الحديث على لسان امرأة ، فاجرى الكلام
على المعنى المذكر والمؤنث لابن الأثيرى . ١٤٧/١ ، واللسان « ح م ر »
والانصاف : ٥٠٧/٢ ، ٧٦٣ وابن يعيش : ١٠٧/٥ .

فالأنباري يرى أنه نوع من الحمل على المعنى (١٢) ، وعده ابن عصفور من الضرائر ولم يفرق بين تذكير المؤنث وتأنيث المذكر (١٣) ، أما ابن جنى فقد فرق بين النوعين من حيث تسويغ الاستعمال ، فجعل من قبيح الضرورة تأنيث المذكر ، لأنه خروج عن أصل إلى فرع ، وإنما المستجاز - عنده - رد التأنيث إلى التذكير ، لأن التذكير هو الأصل ، وتبعه في ذلك بن يعيش (١٤) .

ومن هذا المنطلق صرح ما شاع في زماننا هذا من إطلاق الأسماء المذكّرة على بعض الصحف والمجلات ، نحو : « المنبر والمساء والعربي » وغيرها .

وهذا النوع يجوز فيه مراعاة كل من لفظه ومعناه ، فيذكر بحسب اللفظ ، ودؤنث بحسب المعنى ، إلا أنه من الحذر أن نقصر على صيغة اللفظ قدر الاستطاعة ، منعاً للالتباس ، فإن هذا المنع غرض لغوي من أهم أغراض اللغة .

(١٢) الانصاف : ٧٦٢/٢ .

(١٣) الضرائر لابن عصفور : ٢٧٠ .

(١٤) سر صناعة الأعراب لابن جنى : ١٣/١ وابن يعيش : ٩٦/٥ .

ثانيا - تاء التانيث وأحكامها :

بعد هذا العرض الموجز لأنواع التانيث وأقسامه المختلفة ، يحسن بنا أن نلم إلماما سريعا بأحكام علامته الأساسية وهي التاء ، ويمكن حصر تلك الأحكام في الأمور التالية :

١ - اختصاصها بالأسماء :

وذلك أننا نعني بها تلك التاء المتحركة التي تتحقق آخر الاسم ، وتذلل في ابوقف هاء * وسر اختصاصها بالأسماء إنما يكمن في أن الذي يؤنث ويذكر من أنواع الكلم الثلاثة - الاسم والفعل والحرف - هو الاسم ، حيث يدل على مسميات تكون مذكورة ومؤنثة ، بخلاف الفعل والحرف ، فالفعل موضوع للمبالغة على نسبة الحدث إلى الفاعل أو المفعول ، فلما لم يكن في الحقيقة بإزاء مسميات لم يدخله التانيث ، كما أن محاوله الحدث ، والحدث جنس والجنس مذكر (١) .

أما التاء التي تتحقق آخر الفعل الماضي وأول المضارع ، فلما هي أمانة على تانيث الفاعل ، لذا يقول الرضي : « وناء التانيث في الاسم أصل ، وما في الفعل فرعه ، لأنه يلحق

الفعل لتأنيث الاسم : أى فاعله ، وأصل العلامة أن تلحق كلمة
هى علامة لها ، (١٦) .

وأما الحروف ، فلأنها لا تدل على معنى تحتها - على حد
تعبير ابن يعيش - وإنما تجيء لمعنى فى الاسم والفعل ،
فهى لذلك فى تقدير الجزء منهما ، وجزء الشيء لا يؤنث (١٧) .

يستثنى من ذلك ما ورد من لحاق التاء بعض الحروف
نحو : « لات وثمت وربت ولعلت »

هذا . . والمراد بالأسماء التى تلحقها تلك التاء ، إما
هى الأسماء المعربة ، أما الأسماء المبنية أصالة كالضمائر
وأسماء الإشارة وبحوهم ، فلها علامات أخرى مثل كسر التاء
فى « أنت » والنون المشددة فى « هن » وغير ذلك (١٨) .

(١٦) شرح الكافية : ١٦١/٢ .

(١٧) ابن يعيش : ٨٩/٥ .

(١٨) حاشية الخضرى على ابن عقيل : ١٤٥/٢ .

الفرق بين تاء التانيث في الاسم والفعل والحرف :

تاء التانيث اللاحقة للأسماء مربوطة خطأ بحركة لفظها بحركة الإعراب ، وتدل على تانيث نفس الكلمة ، ويوقف عليها بالهاء ، أما اللاحقة للأفعال فتدل على تانيث الفاعل ، ويوقف عليها بالتاء ، وهي مفتوحة خطأ ساكنة لفظاً ، وأما اللاحقة للحروف فمفتوحة خطأ بحركة بالفتح لفظاً ، تدل على تانيث نفس الحرف ويجوز تسكين التاء مع الحرف قادراً (١٩) .

٢ - انقلابها في الوقف هاء :

قلنا : إن من علامات التاء اللاحقة للأسماء أنها تنقلب في الوقف هاء ، وقد اختلف البصريون والكوفيون في ذلك . سذهب البصريون إلى أن الذاء هي الأصل ، والهاء بدل منها . وقال الكوفيون : الهاء هي الأصل والتاء بدل منها .

وقد رجح مذهب البصريين بأن الوصل هو الأصل ، والوقف فرع ، وبأن الوصل مما تجرى فيه الأشياء على أصداها ، والوقف من مواضع التخيير ، ألا ترى أن من قال في

(١٩) الكامل في النحو واللغة للدكتور/محمد محمود هلال : ٢٤ .

الوقف : « هذا بكر ومررت ببكر » - بنقل ضمة الراء وكسرتها
الى الكاف - إذا وصل عاد الى الأصل ، وكذلك من قال :
« هذا خاد » بتشديد الدال - إذا وصل لا بفعل ذلك (٢٠) .

على أن الطائيين بحرون الوقف مجرى الوصل
ذيتولون : « هذا طلحت ، وعذيك السلام والرحمت » (٢١)

كما أجروها في الوصل على حد مجراها في الوقف ،
مطعوا بها في الوصل هاء ، من ذلك ما حكاه سيديويه من
قولهم -ى العدد « ثلاثة أربعة » وعلى هذا قالوا في الوصل :
« سببها وكلكلا » بإبدال التنوين ألف ، وهو قليل (٢٢) .

ومما يرجح مذهب البصريين أن التاء قد ورد إبدالها
هاء في بعض الكلمات ، من ذلك « هيهات » في قوله عز وجل :
« هيهات هيهات لما يوعدون » (٢٣) حيث قرأ الكسائي
والجزى بإبدال التاء هاء في الوقف ، ومنها « لات » في قوله
دعائي . « ولات حين مناص » (٢٤) مد ترأها بالهاء في
الوقف الكسائي أيضا .

(٢٠) ابن يعيش : ٨٩/٥ .

(٢١) السابق والسكر والمؤنت لابن الأنباري : ٢٠٠/١ .

(٢٢) ابن يعيش : ٨٩/٥ .

(٢٣) المزمعون : ٣٦ والنشر : ١٣/٢ .

٣ - بناؤها على العروض والانفصال :

مما تميزت به البناء عن غيرها من العلامات ، أنها تدخل
- في غالت الأمر - كالمنفصلة مما دخلت عليه ، لأنها تدخل
على اسم تام الفائدة لإحداث معنى آخر وهو التانيث ، فكانت
كاسم ضم الى اسم آخر ، فهي تشبه عجز المركب في نحو
« بعلمك وحضرموت » بدليل فتح ما قبلها كما يفتح صدر
المركب المزجي ، وعند تصغير ما فيه التاء فإننا نصـغر
الاسم مستقلا عن التاء ، كما نصغر صدر هذا المركب . كما
أنها تحذف عند كسیر الكلمة فنقول في جمع « جففسنة
وقصعة » جمع تكسير : « جفان وعصاع » أما الألف - مثلا -
فهی بخلاف ذلك ، فإنها تثبت في التكسير ، فنقول في جمع
« حبلى وسكرى » جمع تكسير « حبالى وسكارى » ، لأن
الكلمة بنيت عليها بناء سائر حروفها (٢٥) .

قال ابن الأنبارى : (والفرق بين الألف والهاء ، أن
الذى فيه الهاء خرج بها عن التذكير الى التانيث ، والأصل
التذكير ، وذلك أنك تقول : « قائم وقائمة وجالس وجالسة »
فتكون الهاء مزیدة على بناء المذكر .

والذى فيه ألف تأنيث هو مصوغ للتأنيث على غير تذكير

(٢٤) ص : ٣ والاتصاف : ٢٧١ .

(٢٥) ابن يعيش : ٩٠/٥ .

خرج منه ، فامتنع من الإجراء - الصرف - في المعرفة والنكرة
لبعده من المذكر الذي هو الأصل .

ألا ترى أن « قائمة » على بناء « قائم » ، و « حمراء » ،
ليست على بناء « أحمر » ، و « عطشى وسكري » ليستا على
بناء « عطشان وسكران » (٢٦) .

هذا ... وقد تأتي التاء كاللازمة ، كأن الكلمة بنيت
عليها ، فتكون كحرف من حروف الاسم صيغ عليه ، وذلك
نحو : « غياوة ونهاية وشقاوة » ولذا لم تعل كل من الواو
والياء بالقلب همزة ، للزوم البناء مما ترتب عليه بعدها عن
الطرف .

ومثل ذلك - أيضا - قولهم : « قمحدوة » (٢٧) و « ترقوة » (٢٨) ،
فلولا بناء الكلمة على التانيث لوجب قلب الواو ياء ، لو سوغها
طربا حكما وانضمام ما قبلها ، إذ ليس في الأسماء ما آخره
ولو قبلها ضمة (٢٩) .

ولذاك - أيضا - جاز القلب والتصحيح في نحو :

-
- (٢٦) المذكر والمؤنث : ٢٠٢/١ ، ٢٠٣ .
(٢٧) القمحدوة : الهنة الناشئة فوق القفا .
(٢٨) الترقوة : المعظم المشرف بين ثغرة النحر والماتق .
(٢٩) الرضى على الكافة ١٦٢/٢ ، وابن يعيش : ٩٩/٥ .
(٣٠) العظاءة : دويبة أكبر من الوزغة .

« عباءة وعطاءة (٣٠) وصلابة » (٣١) ، فالتصحيح بناء على أن الكلمات بنيت على التانيث ، وأن التاء جزء منها ، وأما القلب فبناء على عروض التاء ، حيث قالوا في الجمع : « عباء وعطاء وصلاء » بالقلب وجوبا ، فإذا أرادوا إفراد الواحد من الجنس ، أدخلوا عليه تاء التانيث ، وقدروها منفصلة فتثبت الهمزة لذلك (٣٢) .

٤ - دخولها على المذكر :

مما تميزت به هذه العلامة - أيضا - أنها لا تحتص بدخولها على المؤنث ، بل تدخل على المذكر في نحو : « علامة راوية وهمزة » وعبر ذلك لأغراض سيأتى الحديث عنها فربما ، ولذلك يقول ابن الأنباري : « والمدة والألف المقصورة لا تكونان في معن المذكر أبدا ، والهاء قد تكون هي نعت الذكر » (٣٣) .

وما ورد من قولهم : « حمار جمزى » - سريع وثاب - فقد خرج الأزهري على تقدير حمار ذى جمزى ، أى ذى منية جمزى ، أى على أنه مصدر وصف به على تقدير حذف المضاف والموصوف ، نقل ذلك ابن منظور (٣٤) .

(٣١) الصلاة : مدق الطيب ونحوه وهي أيضا القهر .

(٣٢) ابن يعيش : ٩٩/٥١ .

(٣٣) المذكر والمؤنث : ٢٠٠/١ ، ٢٠١ .

(٣٤) اللسان : « ح م ز » .

٥ - مراعاتها ظاهرة ومقدرة :

مما مررت به التاء - كذلك - أنها كما تكون ظاهرة في الكلمة ، تكون مقدرة عبر ظاهرة فيحكم بتأنيث الكلمة المقدرة فيها ، والذي جوز ذلك وضعها على العروض والانفكاك ، مما سهل حذفها وتمديرها ، ولا يقدر من العلامات غيرها .

هذا . . وقد حصر النحاة الأمور التي يستدل بها على تقدير التاء في المؤنث الخالي منها فيما يلي :

١ - عود الضمير على الكثرة مؤنثا . كقوله سبحانه : « عَلَّامُ الْغُيُوبِ بَشَرٌ مِّنْ ذِكْرِ النَّارِ وَعْدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَّبِعُ الْمَصْدَرُ » (٣٥) وقوله عز وجل : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا » (٣٦) وقوله عز اسمه : « حَتَّى نَضَعَ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا » (٣٧) فالنار والسلم والحرب مؤنثات ، لأن الضمير عاد عليها مؤنثا .

ب - إثباتها في النصفين : وذلك كنسولهم في نصفين

(٣٥) الحج . ٧٢ .
(٣٦) الأنفال : ٦١ .
(٣٧) محمد : ٤ .

« عين واذن » ونحوهما : « عيينة وأذينة » ، وذلك لأن التصغير
 مما يرد الأشياء الى أصلها ..

وهذه العلامة خاصة بالكلمات الثلاثية كما مثلنا -
 ونأتي بها ما زاد - أي الثلاثة مما صغر تصغير ترخيم نحو
 قواهم هي « - ان وذراع » ونحوهما : « عنيفة ودريعة » (٣٨)

بل ورد كذلك - ردها في غير الثلاثي من غير إرادة
 الترخيم ، وذلك مؤنث هي مصدير « وراء وندام » : « وريثة
 وقديبة » (٣٩) .

ج - « إداره إنيك بهرست » و « داره سبجسته » هذه جهنم
 أي يكذب بها جرمون » (٤٠) روي عن رجل : « تك الدار
 الآخرة نحلها للذين لا يريدون علوا في الأرض
 ولا مسدا » (٤١) - كل من « جهنم والدار » مؤنث خل من
 السد للإشارة إليها ، مؤنث .

د - وجرد البناء في الفعل أو شبهه لسنده إليه الكمة
 أي ضميرها ، كموله ذبرك اسمه : « ولما فطمت العنبر » (٤٢)

(٣٨) الصبيان على الأسموتى : ٩٥/٤ .

(٣٩) الرضى على الكفية : ١٦١/٢ .

(٤٠) الرحمن : ٤٣ .

(٤١) القصص : ٨٣ .

(٤٢) يوسف : ٩٣ .

وقوله سبحانه : « بطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة
للشاربين » (٤٣) وقوله عز اسمه : « كلا إنها لظى نزاعه
للسوى » (٤٤) وقوله تبارك وتعالى : « ولسليمان الريح
عاصفة » (٤٥) فـ « العبر والكأس ، ولظى والريح » مؤنثات
للحاق التاء بالأفعل والمشتقات المسندة إليها .

هـ - سقوط التاء من عدده من الثلاثة إلى عشرة كقولهم :
« ثلاث مسى » مالفوس مؤنث خال من التاء ، بدليل سقوطها
من عدده ، حيث تسقط مع المؤنث وتثبت مع المذكر .

و - تنوين خبره ونعته وحاله نحو قولهم : « الكتف
المشوية أو مشوية لذيدة » .

ز - جمعه على مثل خاص بالمؤنث أو غائب فيه ، الأول
كفواعل نى الصفات كطوائف وحوائض ، واثنائى يكون
فبما هو على وزن « عناق وذراع وكراع ويمن » فجمعها على
« أعمل » م المؤنث ، وقد جاء فى المذكر قليلا نحو : « مكان
وأمكن وجنين وأجنن وطحال وأطحل » (٤٦) .

(٤٣) الصافات : ٤٥ ، ٤٦ .
(٤٤) معارج ١٥ ، ١٦ .
(٤٥) الأنبياء : ٨١ .
(٤٦) الرضى على الكافية : ١٦٢/٢ .

معانى التاء وأغراضها

سبق أن ذكرنا أن التاء تفرقت - دون غيرها من علامات
الذائبة - بأنها تحمل العديد من المعانى ، ويؤتى بها فى
الكلام لأغراض عديدة ومتنوعة ، فلم تكن مقصورة على أن
يفرق بها بين المذكر والمؤنث ، بل تجىء لأمر أخرى يمكن
حصرها فيما يلى :

أولا - التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث :

تلقى التاء الأسماء المشتقة كاسم الفاعل واسم المفعول
والصفة المشبهة لتمييز المؤنث عن المذكر نحو « مائمهـ
ومضروبه وحسنه » وهذا قياس مطرد فى أكثر هذه الصفات
إلا ما يستثنى من بعض أنواع الصفات التى سنشير إليها
عما قليل .

هذا . . وقد تلقى التاء المذكر والمؤنث جميعا نحو :
« رجل ربعة وامرأة ربعة » ليس بالطويل ولا بالقصير - وكذا
« غلام يفعة - بالتحريك - وجارية يفعة » - أى شاب - كما
يأتى الوصف خاليا من التاء يوصف به الذكور والإناث ،
نحو : « غلام باغ وجارية بالغ » ورجل أيم - لا زوج له -
واعزاء أم - ورجل عانس - آخر النزويج بعد ما أدرك -

وامرأة عانس ، ورجل مسافر وامرأة مسافر ، ورجل عاشق وامرأة عاشق ، ورجل عقيم وامرأة عقيم ، ومنه في وصف غير الإنسان : « بعير ضامر وناقة ضامر ، وبعير سباعل وناقة سباعل »

كما تأتي الصفة مقترنة بالتاء ، ونكون من صفات الذكور دون الإناث ، وذلك قولهم : « رجل بهمه » أى شجاع .

هذا فنما يتعلق بالصفات ، أما الأسماء بالنسبة الى لحاق التاء بها وعدمه فتتد قسمها أهل اللغة قسمين (٤٧) :

١ - أن يكون الاسم المؤنث مخائفا لفظه لفظ ذكره .
مصرفا للتأنيث ، فمصرف تنثته معروفا مخالفة لفظ ذكره مستغنى فيه عن العلامة كقولهم : « جدى - للذكر - وعناق - للإنثى - وحمل للذكر - ورخل - للإنثى من أولاد الضان - وحمار وأتان » وربما مالوا الى الاستيفاف وإزالة الشك عن السامع فأدخلوا الهاء فى المؤنث كقولهم . « غلام وجاربه وتيس وسعجه ووعل وأروية - أنثى الوعل » وربما بنسوا الأنثى على لفظ الذكر فى هذا النوع فقالوا : « شيخ وشيخة ورجل ورجلة وغلام وغلامة » .

٢ - أن يكون الاسم الذى فيه علامة التأنيث واقعاً على

المذكر والمؤنث نحو : « نعامة وبقرة وجرادة » للمذكر والأنثى .

وقد يكون واقعا على الذكر والأنثى ولا علامة للتأنيث فيه نحو : « عقرب وضبع » وقد يقال للذكر : « عسربان وضلعان » .

ما يستوى فيه المذكر والمؤنث من الصفات :

سبق أن ذكرنا أن الأصل في التاء أن يفرق بها بين المؤنث والمذكر من الصفات نحو : « قائم وقائمة » ، إلا أنه قد وردت صفات يستوى فيها المذكر والمؤنث ، فتكون مجردة من التاء للمؤنث والمذكر ، حصرها النحاة في الأنواع الآتية :

١ - فعول بمعنى فاعل وهو الدل على الذي فعمل الفعل - نحو : « صبور وشكور وحقود ومفور » فيقال : « رجل شكور وامرأة شكور » وشذ امرأة عدوة » .

وهذا بخلاف ما كان بمعنى المفعول ، فإنه تلحق التاء المؤنث منه نحو : « أكوله وركوبه » بمعنى مأكولة ومركوبة ، بل إن المذكر من هذا الصنف قد تلحقه التاء أيضا - فيقال : « حمار ركوب وركوبة » (٤٨) .

على أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة لم يفر هذا الحكم وأصدر ما يخالفه تحت عنوان « لحوق تاء التانيث لفعول صفة بمعنى (فاعل) » ،

ونص الحكم المجمعى يشمل أمرين :

١ - يجوز أن نحق تاء التانيث صيغة : فعول ، بمعنى « فاعل » ، كما ذكره سيبويه من أن ذلك جاء فى شئ منه ، وما ذكره ابن مالك فى « التمهيد » من أن امتناع الباء هو الغالب ، وما ذكره السكاكيت فى « الهمع » من أن الغالب ألا ننحسق التاء هذه الصفات ، وما ذكره الرضى من قوله : « ومما لا يلحقه تاء التانيث - غالبا - مع كونه صفة فيستوى فيه المذكر والمؤنث ، فعول » .

ويمكن الاستئناس فى إجابة دخول التاء فى « فعول » ، بأن صيغ المبالغة كاسم الفاعل ، يمكن أن نحول الى صفات مشبهة . وعلى ذلك فى حالة دلالتها على المصمة المشبهة يمكن أن نلمح المعنى الأصلى لها ، وهو المبالغة ، فتدخل عندها التاء جريا على قاعدة دخول التاء فى اسم الفاعل وفى صيغ المبالغة للتانيث .

ب - وعلى هذا يدرى على تلك الصيغة - بعد جواز تأنيثها بالتاء - ما يجرى على غيرها من الصفات التى

يفرق بينها وبين مذكرها بالناء ، فتجمع جمع ثم — حـ
للمذكر والمؤنث (٤٩) أ هـ

والذى يبدو أن رجال « المجمع » قد تسرعوا فى إصدار
هذا الحكم ، فإن ما ورد مقترنا بالناء من هذا النوع — اعنى
« نعل » بمعنى « فاعل » هو كلمة واحدة — كما ذكره —
حيث قال : « وفألوا عدو وعدوة » ، بهو به صديق وصديقة ،
كما وافقه حيث قالوا للجميع — للجمع — « عدو وصديق »
مأجري مجرى ضده « (٥٠)

وقال السيوطى : « وإذا كان مفعول فى تأويل فاعل ، كان
دؤشه بخير هاء » نحو : امرأة صبور ونسكور وغفور
وكنود وكفور ، إلا حرفا بادرا ، قالوا . هى عدوة الله « (٥١)

على أن لفظة « عدوة » تحتل أن تكون بمعنى « مفعول »
وقعت عليها العداوة ، وعلى هذا فلا شذوذ فيها (٥٢) .

٢ — فاعل بمعنى مفعول — بشرط أن يعرف من الكلام
أو غيره نوع المتصرف بمعنى : أى بشرط ألا يستعمل استعمال
لأسماء غير المشتقة ، وذلك نحو : رجل جريح وامرأة جريح

(٤٩) المرجع السابق : ٥٩٢/٤ ، مقارن بالكتاب : ٣٨٥/٣ ، والهمع
١٧/٢ والرضى على الكافية : ١٦٥/٢ .
(٥٠) الكتاب : ٦٢٨/٢ .
(٥١) لمزه فى علوم اللغة وأنواعها : ٢١٦/٢ .
(٥٢) الصبان على الأسمونى : ٩٦/٤ .

فإذا استعمل استعمال الأسماء ، وجبت التاء مع
الؤنث نحو : « ذبيحة ونطيحة » ، وكذا إذا كان بمعنى
« فاعل » ، نحو : « شريفة وكريمة ورحيمة » ،

ومن الجدير بالذكر أن تجرد هذا النوع من التاء -
أعنى « فعيل » ، بمعنى « منقول » ، هو الغالب الكثير ، فقد ورد
تولهم : « صفة ذميمة وخصلة حميدة » ، كما حمل الذى بمعنى
فاعل عليه فى التجرد نحو قوله سبحانه : « إن رحمة الله
قريب من المحسنين » ، (٥٣) وقوله عز وجل : « قال من يحيى
العظام وهى رميم » ، (٥٤) وهذا هو أحد الأوجه الكثيرة التى
خرجت عليها أمثال هاتين الآيتين ، وقد نقل فيها السيوطى
بحثاً مطولاً (٥٥) .

ومما جاء على غير الفياس - أيضاً - قولهم : « ربح
خريق » (٥٦) وناقصة سدس (٧) وكتيبة خفيف ، (٥٨) حيث
إن « فعلل » مما بمعنى « فاعل » ، والفياس الغيب اقترافه
بالتاء .

٣ - مفعال ، نحو : مفتاح ومعالم ومفراح ومطار ومطاء

(٥٣) الأعراف : ٥٦ .

(٥٤) يعنى : ٧٨ .

(٥٥) الأشباه والنظائر : ١٢٦/٣ نقل عن تذكرة ابن الصائغ .

(٥٦) الخريق : شديدة الهبوب .

(٥٧) سدس : دخلت فى الثامنة .

(٥٨) الخفيف : ما فيه سواد وياض .

وغير ذلك مما قصد به المبالغة في الوصف ، فالذكر والمؤنث فيه سواء ، يقال : « رجل معطاء وامرأة معطاء » ومث : ميثان وميثانه ومطراب ومطرابة ومجذام (٥٩) ومجذامة ، ويمكن أن تكون التاء فيه لتأكيد المبالغة كما هي في نحو : « علامة ونسابة » .

٤ - مقعيل ، نحو : « منطيق » للرجل البليغ والمرأة البليغة ، و « معطير » لكثير العطر وكثيرته . وشسذ « مسكينة » بالثاء حملا على « فقيرة » ، ومنه هي وصف غير الأدميين : « ناقة منشير (٦٠) وفرس محصير (٦١) » .

٥ - منعل ، نحو : « مغشم » للمذكر والمؤنث بمعنى جرى وشجاع لا يثني عن إحراك ما يريده .

٦ - ما وصف به من المصادر نحو قولهم « رجل عدل وامرأة عدل » فإنه مما يلزم الأفراد والتذكير فلا تلحقه العلامات ، فيوصف به المفرد بنوعيه والمثنى والجمع بلفظ واحد ، وذلك لأن المصادر أجناس ، تدل على القليل والكثير بلشذها ، فاستغنى عن تثنيته وجمعه ، إلا أن يغلب الوصف به فيصير من حيز الصفات يغلبه الوصف به (٦٢) .

(٥٩) رجل مجذام الركض في الحرب : سريع الركض فيها .

(٦٠) المنشير : النشطة المرحة .

(٦١) المحصير : من الحضر - يضم فكون : ارتفاع الفرس

في السدور .

(٦٢) ابن يعيش : ٥٠/٢

هذا . . . ويبدو أن يوضع في الاعتبار أن حذف التاء في الأنواع السابقة مما يجب أن ينوقف على وجود القرينة ، حتى يظهر المراد من الكلام ، ويكون بمنـأى عن اللبس والعموض . يقول ابن يعيش . « إن هذه الأسماء إذا جرت على موصوفاتها ، لم يأنوا فيها بالهاء ، وإذا لم يذكرها الموصوف أثبتوا الهاء خوف اللبس ، نحو : رأيت صبورة ومعطارة وقتيلة بنى فلان » (٦٣)

ما لا تلحقه التاء من صفات الإناث :

سنق أن أشرنا إلى أن الأصل هي التاء أن تلحق الصفات للتمييز بين الذكر والمؤنث نحو . « «تائم وقائمة » إلا أن هناك صفات تدل على معنى خاص بالأنثى يناسب طبيعتها ويلائم فطرتها ، قد جاءت مجردة من التاء نحو : « حائض ومرضع وحامل » وغيره مما هو من خصائص الأنثى ، وذلك إذ كان الموصوف ليس مقيدا بحالة طارئة ، كوصف المرأة بأنها « مرضع » : أي أن طبيعتها التي خلفت معها هي الإرضاع . وكذا قولنا : « المرأة الحامل لا العاقر مرغوبه » : أي التي من هذا النوع .

أما إذا كانت الصفة طارئة ، والقصد منها الحدث لا الثبوت ، فيجب الإتيان بالتاء ، ومنه قوله عز وجل - في

وصف هول القيامة : « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما
رضعت » (٦٤) قال الزمخشري : (فإن قلت : لم قيل
« مرضعة » دون « مريض » ؟ قلت . المرضعة : التي هي في
حال الإرضاع ، ملقمة ثديها الصبي ، والمريض : التي نبتها
أن ترضع ، وإن لم تبشر الإرضاع في حال وصفها به .
فقيل مرضعة ، ليبدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه ،
ومد أهمت الرضيع ثديها ، نزعته عن فيه لما يلحقها
من الدهشة) (٦٥)

وقال ابن الأندلسي (٦٦) . (. . . فإذا بنى الدائم على
المستقبل ، قيل : « هذه حائضة وجمل طائفة » على معنى
محبتهم وتطقي . أنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء
للأعشى :

أيا جارتى ببني فإني طائفة
كذاك أمور الناس غاد وطارقه (٦٧)

-
- (٦٤) الحج : ٢ .
(٦٥) الكشاف : ٢٤/٢ .
(٦٦) المذكر والمؤنث : ١٣٥/١ .
(٦٧) البيت من الطويل ، الفاعل : الذي يأتي عدوة هي الصباح .
والطريق الذي يأتي ليل . والشاهد في البيت مجيء « طائفة » ببناء ، وإن
كان وصفا على زنة « فاعل » خاص بالنساء ، إلا أنه أريد به الجدوث .
أنظر في البيت المذكر والمؤنث للفراء : ٢٢ وليميود : ١٢٧ ، ولابن
الأندلسي ١٣٥/١ وهي من مطلع قصيدة قالها بزوجه الهزائية لما طلقها
كما في الحيوان : ١٦٣ .

هذا . . وقد أورد علماء اللغة من هذا الصنف جما غفيرا من الكلمات مما هو على وزن « فاء لمفعول » وغيرهما من ذلك قولهم : « امرأة معصر - إذا أدركت سن البلوغ - ومسلف (٦٨) وحاد (٦٩) ، وناهد ، وناشز وناشض وجامح ، (٧٠) وهو لا يكاد يحصى ، وقد أورد منه ابن الأنباري في « المذكر والمؤنث » والمسبيوطي في « الزهر » وغيرهما أفراغا عديدة (٧١) .

على أنه يجب أن بوضع في الاعتبار الوقوف على المسموع دون غيره ، فاللفظة الواحدة قد ترد بالهاء مرة ، ومجرده منها أخرى . من ذلك قولهم : « امرأة قاعدة » - بالهاء - إذا أرادوا الجلوس ، ويقولون : « امرأة قاعد » لئلا نعت عن الحيض والولادة ، وكذا « حامل » للحبلى ، ر « حاملة » لمن تحمل على ظهرها أو رأسها .

وحكى عن الأصمعي : « يقال : امرأة طاهر إذا أرادت الطهر من الحيض فإذا أرادت أنها نقية من العيوب والذنس ، قلت : طاهرة » (٧٢) .

(٦٨) المسلف : هي التي بلغت خمسا وأربعين سنة ونحوها .
 (٦٩) الحاد والمحد : التي تركت الزينة حزنا على زوجها .
 (٧٠) الناشض والجامح : مثل الناشز وزنا ومعنى .
 (٧١) المذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١/١٢٠ فيما بعدها ، والزهر : ٢/٢٠٦ فيما بعدها .
 (٧٢) المذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١/١٥٠ .

آراء النحاة فى هذا النوع :

اختلفت تعليلات النحاة لتجرد هذا النوع من الصفات الخاصة بالإناث ، وخالوه من علامة التانيث ، فالخليل يرى أنه بمنزلة المنسوب فـ « حائض » بمعنى حائض : أى ذات حيض ، على حد قولهم . « رجل دارع » : أى دارع بمعنى صاحب درع (٧٣)

وسيبويه يرى أنه صفة لذكر مخفوف : أى شيء ، أو إنسان حائض وذهب الكومبون الى أن سقوط الناء منه إنما كان لاختصاصه بالأنثى ، فاستغنى عن علامة التانيث ، إذ العلامة إنما يؤتى بها عند الاشتراك فى المعنى لتفصل (٧٤)

وهذه التعليلات - كما هو ظاهر - لا تسلم من الضعف ، وذلك لعدم اطرادها وعمومها ، فالذى يرى أنها من مبيِّن النسب : أى ذات طلاق وحيض يعترض عليه بأنه كان ينبغى أن يجوز ذلك فى كل الصفات ، منقول : « امرأة جالس وقائم ، أى ذات جُوس وقيام » .

ومن قال : إنه صفة لذكر مخفوف ، فمنتقض باتفاقهم

(٧٣) ابن يعيش : ١٠٠/٥ .
(٧٤) الرضى على الكافية : ١٦٥/٢ ، والانتصاف : ٧٥٨/٢
المسألة : ١١١ .

على أنه تلحقه التاء إذا أريد به الحدوث ، فهذا يدل على عدم
اطراد تلك العلة كما أنه كان ينبغي أن يقال . « هند قائم »
على معنى : هند شخص قائم .

وأما تعليل الكوفيين بأن التاء إنما يؤتى بها للفرق
بين المذكر والمؤنث ، فلا داعي إليها هنا ، فمردود - كذلك -
بنحو « ضامر وعانس » ، مما يوصف به المذكر والمؤنث ، كما
بمقتضى تجرد الوصف المذكور من التاء مع قصد الحدوث ،
إد لا عرف بدن الحاليتين : قصد الحدوث وعدمه .

والأقرب إلى المبول - كما نكر الرضى - أن يقال : إن
الأعقاب في الفرق بدن المذكر والمؤنث بالتاء هو الفعـل
بالـاء نكرة ، ثم حمل اسم الفاعل والمفعول عليه ، لتشابهيهما
له ، ثم جاء مما هو على وزن الفاعل ما بقصد به الحدوث
مرة كالفعل ، ومرة الإطلاق ، وفصدوا الفرق بدن المعنيين ،
مأثثوا بتاء التأنيث ما قصدوا فيه الحدوث الذى هو معنى
الفعل كالتأنيث الفعل ، لمأثثه له معنى ، بخلاف ما قصدوا
فيه الإطلاق ، ليكون ذلك مرقا بين المعنيين .

ومما يؤيد ذلك التعليل ويقويه استعمال العرب لهذا
النوع من الوصف ، حيث جاء بالتاء مرة ومجردا منها أخرى
وذلك على قول الفرزدق :

رأيت ختون العام والعام قبله كحائضة يزني بها غير طاهر (٧٦)

فأدخل ناء التأنيث في « حائضة » ، لأنه بنسبته على
المعتدل ، وذكر « طاهرا » ، لأنه أخرجته على حقه ، ولم يبينه
على المستقبل .

على أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة حمل لحاق الناء
وعده (٧٧) لهذا النوع من الصفات متساويين .

ومما هو جدير بالذكر - في هذا الصدد - وجود نوع من
الصفات يجرد من ناء التأنيث - غالبا - إذا وصف به الإناث
هذا النوع يتمثل فيما كن الغالب فيه أن يكون من نساء
الذكور وصفهم ، كالإمارات والوصية والوكالة والأدان
والشهادة . قال ابن سيده : « ومما وصفوا به لائش ولم
يتحلو فيها علامة التأنيث ، وذلك لغلبة على الذكر قولهم :
أمير بني فلان امرأة ، وفلانة وصي بني فلان . . . ولو اقررت
نجاز أن يقول : أميره ووكيلته ووصية . . . وربما أدخلوا
اسماء فاضعوا فقالوا : فلانة أميرة بني فلان » (٧٨)

(٧٦) البيت من الطويل ، والختون : المصاهرة يريد أن المصاهرة هي
العامين الماضيين - وكانا مجديين - كأمراة حائض زنى بها ، لأن الرجل
الهجين إذا كثر ماله صاهر الرجل الريف ، فكانت الزوجة كالحائض التي
يزني بها . والشاهد في البيت استعمال « حائضة » بالقاء و « طاهر »
بغير القاء ، حيث أريد بالاول الحدث وبالثاني الدوام ، المذكر والمؤنث
للغرام : ٣ ، ولادن الأنباري : ١٣٦ .
(٧٧) النحو الوافي : ٥٠٤/٤ .
(٧٨) المخصص : ٢٥/١٧ ، ٢٦ .

ومن ذلك ما ورد في قوله عز وجل : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » (٧٩) يقول الزمخشري : « فإن قلت لم ذكر حسيبا ؟ قلت : لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير ، لأن الغائب أن هذه الأمور يتولاها الرجال » (٨٠)

ومما ورد من الشواهد الشعرية المؤيدة لذلك قول عمرو بن أحمز :

فليت أميرنا - وعزلت عنا مخضبة أناملها كعاب (٨١)

ومما جاء بالهاء قول عبد الله بن همام السلولي :

لما جاءوا ببرة أو بهند لبأيعنا أميرة مؤمنينا (٨٢)

وبناء على ما سبق ، نرى أنه - عند إسناد الألفاظ العامية

(٥٩) الاسراء : ١٤ .

(٨٠) الكشف : ٢/٣٥٤ ، والبحر المحيط : ١٦/٦ .

(٨١) البيت من الوافر والمعنى : فليت أميرنا امرأة كعاب - بفتح الكاف - مخضبة أناملها ، فالكعاب خبر ليت ، ومخضبة كاس نعتا لها فلما قدم عليها صار حالا . والشاهد مجيء « أميرنا » بغير تاء صفة لمؤنث ، المذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١/١٤٢ ، والفراء : ٥ ، والمخصص : ٣٦/١٧ .

(٨٢) البيت من الوافر ، والشاهد فيه مجيء « أميرة مؤمنينا » بالتاء بالرغم من أنه صفة تغلب على الذكور دون الإناث . قل الفراء : « وليس خطأ أن تقول . وصية ووكيلة ، إذا أقردتها وأورثتها بذلك الوصف المذكر والمؤنث » وانظر في البيت ابن الأنباري : ١/١٤٣ ، واللسان : « ا م ر » .

الى النساء نحو : « استاذ ، استاذ مساعد » وكذا الالفاظ
العسكرية نحو : « ملازم ونقيب وعقيد » - يحسن أن تكون
مجردة من التاء .

ثانيا - تاء العوض :

ونعني بها ما جاءت للتعويض عن شيء حذف من الكلمة
لعله تصريفية أو لغير علة ، ثم جىء بالتاء تعويضا عن ذلك
المحذوف - ويمكن حصر أنواعها فيما يلي :

أ - ما كانت عوضا عن حرف أصلي من حروف الكلمة -
الفاء والعين واللام ويشمل الصور التالية :

١ - ما كانت عوضا عن الفاء ، وذلك في المصادر التي
تأتي زنة « فعلة » من المثال الواوي نحو : « عدة وزنة ، وشيه
وجهه » والأصل : وعدة ووزفه ووشية ووجهه ، فحذفت الفاء
وجىء بالتاء عوضا منها ، فحذفوا من الأول وعوضوا في
الآخر ، وهذا أحد أنواع التعويض ، وقد يكون التعويض
دكان المعوض كما قالوا : « يا أبت » فالتاء عوض من ياء
المتكلم ، كما قد يكون التعويض في الأول والمعوض أخيرا
نحو : « سم وابن » حيث حذفوا من الآخر وعوضوا في الأول ،
وهذا هو الفرق بين العوض والبذل ، فبذل الشيء لا بد أن

يكون في موضعه ، والعوض يكون في غير مكان العوض
منه (٨٣) .

وزاد الزمخشري مرما آخر حيث قال . « معنى العوض
أن يقع في الكلمة انتقاص فبتدرك بزيادة شيء ليس في
أخواتها ، كما انتقص التثنية . والجمع السالم بقطع الحركة
والتوين عنهما ، فمدرك ذلك بزيادة الدون ، (٨٤)

وإذا كان من أصولهم المقررة وقواعدهم المتعارف عليها .
أن العوض والعوض عنه لا يجتمعان ، فإنه مما يستشكل على
ذلك موله عز وجل « ولكل وجهه هو موليها » (٨٥) حيث جمع
بن الراو والتاء مما جعل الأنباري يقول . « والوجهة جاع
على غير المياس ، لأن المياس أن يقال جهة . . . إلا أنهم
استعملوها استعمال الأسماء على خلاف المياس » (٨٦)

على أن هـ العلماء من ذهب إلى أن المحذوف واوه -
جهة - مصدر ، والثابت واوه اسم للمكان الذي يتوجه إليه ،
وعلى هذا فلا شذوذ في واحد منهما ، ومنهم من ذهب إلى
أنهما جميعا مصدران ، وعليه فالمحذوف واوه قياس ، والثابت
واوه شاذ . ومنهم من ذهب إلى أنهما جميعا اسمان ، وعليه

(٨٣) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي : ١/١٢٠ .

(٨٤) المرجع السابق : ١/١٢٢ .

(٨٥) البقرة : ١٤٠ .

(٨٦) البيان في غريب أعراب القرآن . ١/١٢٧ .

يكون المحذوف الواو شذا ، والثابت الواو قياسا . ومنهم من عكس : أى جعل المحذوف اسما ، والثابت مصدرا ، وعليه فكلما شاد . والذي هزن شذوذ « وجهه » على هذا أنه مصدر غير جار على فعله ، إذ المسموع « توجه » كتفدس - و « اتجه » - كاتصل - ولم يسمع « وجه يجه » فأما لم يوجد مضارع محذوف الفاء سهل عليهم إثباتها في المصدر (٨٧) .

٢ - ما كانت عوضا عن عين الكثمة ، وذلك في باب « إقامة واستقامة » على مذهب أبي الحسن الأخفش ، إذ صلاهما « إقوام واستقوام » فحذفت عين الكلمة وعوض عنها الباء ، وهما عند الخليل وسيبويه من باب حذف الحسرف الزائد . أى ألف الإفعال والاستفعال (٨٨) .

٣ - ما كانت عوضا عن لام الكلمة ، وذلك فحسب باب « سنة » وأخواتها من نحو . « مائة وفئة ورثة وعصه » فهذا ونحوه مما حذفت لامه ، وعوض عنها بالباء . قال السيوطي : (« سنة » حذفت لامها ، وجعل جمعها بأواو والنون عوضا عن عود لامها ، فإذا جمعت على « سنوات » ، حذفت اللام ، لأنه قياس جمعها ، وليس عوضا) (٨٩) .

(٨٧) شرح الشافية لارضي : ٩٠/٢ .

(٨٨) الخصائص : ٣٠٧/٢ .

(٨٩) الأشياء والنظائر : ١٢٦/١ .

ب - ما كانت عوضا عن حرف زائد ويتمثل في الصور التالية :

١ - ما جاءت عوضا عن حرف المد في الجمع الأقصى في نحو : « زنادقة وحجاجحة » فإنها عوض عن ياء « زناديق وحجاجيح » (٩٠) .

٢ - ما جاءت عوضا من تاء « تفعيل » في نحو « تسليمة وتهنئة » ونحوهما ، وذلك في مصادر « فعل » المهور اللام والناتص ، وجاء في غيرهما نحو : « تكرمه » (٩١) مصدر « كرم » .

٣ - ما جاءت عوضا من ألف « تعاليل » في نحو : « الهماجة والسرهفة » (٩٢) وأصلهما « هملاح وسرهاف » ومثله ما لحق بالرباعي من نحو : « الحوقلة والبيطرة » ، كآذنها عوض من الف « حيمال وببطار » (٩٣)

٤ - ما جاءت عوضا عن الألف ، وذلك كما نقول في جمع « حبتطي وعفرني » (٩٤) حبانط وعفارين ، فإذا عوضت من

(٩٠) الخصائص : ٣٠٤/٢ والججاجح : السيد .

(٩١) الرضي على الشافية : ١٦٤/١ .

(٩٢) الهملجة : حسن سير النجاة في سرعة . والسرهفة : حسن

الخصائص .

(٩٣) الخصائص : ٣٠٤/٢ ، ٣٠٥ .

(٩٤) الحبتطي : المعتل . فبطا أو بطنة والعفرني : الشديد .

الآلف ، فإن شئت تعوض الياء ، تقول : حيانبط وعفارين ،
وإن شئت تعوض الهاء فتقول : حيانطة وعفارنة (٩٥) ،
ومنه في تصغير « حبارى » حبيرة (٩٦) .

٥ - ما جاءت عوضا من ياء النسب في نحو : « أشاعرة
وأشاعنة » جمع « أشعري وأشعني » وذلك أنهم لما أرادوا أن
يجمعوا المنسوب جمع تكسير ، وجب حذف يائي النسب ،
لأن ياء النسب والجمع لا يجتمعان ، فلا يقال في النسب
إلى « رجال » رجالي بل رجلى ، فحذف ياء النسب ثم جمع
بالتاء فصار التاء كالبديل من الياء - كما ذكر الرصى (٩٧) .

٦ - ما جاءت عوضا عن ياء الإضافة في نحو : « يا أبت
ويا أمت » (٩٨)

٧ - ما جاءت عوضا عن بضعيف العبن ، وذلك في نحو :
« غزاة ورماء » فإن الفراء يرى أن وزنهما « فعل » بتضعيف
العين - كـ « نازل ونزل » والهاء غبه - أعنى هي غزاة ورماء -
عوض عما ذهب من البضعيف كالهاء في « إقامة واستقامة »
عوض عما حذف (٩٩) .

(٩٥) الأشياء والنظائر : ١١٩/١ -

(٩٦) الحبارى - بضم أوله وتخفيف ثانيه - طائر يقع على أشجار
والأشجار الواحد والجمع .

(٩٧) الرضى على الكافية : ١٦٢/١ -

(٩٨) المرجع السابق ، ١٦٤/١ -

(٩٩) الأشياء والنظائر ٢١/١ ، والمصهور على أن وزنه « فعلة » ،
وأنه من الأوزان التي يفرد بها المعتل الذي هو على وزن فاعل لمذكر عاقل .
وقال بعضهم أنه على وزن « فعلة » نحو « كامل وكيلة » وإن هذه
الضمة للفرق بين المعتل الآخر والصحيح .

ثالثا - تاء النقل :

ونعنى بها تلك التاء التى تلحق آخر الاسم فنقله من حال الى حال ، وتشمل الصور التالية :

١ - تاء النقل من الوصفية الى الاسمية المحضنة نحو :
« الراوية » (١٠٠) للمزادة و « الخابية » للبئر الصغيرة ، وما
أنشبهها . وذكر منه الرضى اناء فى نحو : « النطيحة »
والندبة ، حيث قال : (الثالث عشر : دخولها اشارة لنقل من
الوصفية الى الاسمية ، وعلامة لكون الوصف - غالبا - غير
محتاج الى الموصوف . والأولى ان التاء فى « حلوبة وركوبة
ورحولة » وكل فعولة بمعنى مفعول هكذا : لأنها لا يذكر معها
الموصوف ألبتة ، كما قد يذكر مع فعول بمعنى فاعلة نحو :
« امرأة صبور وشكور » (١٠١)

ولهذا جاء « النطيحة » بالهاء أى قوله عز وجل :
« والمنخلفة والقوقذة و المتردة والنطيحة » (١٠٢) بالرعم من
أذهها « فعولة » بمعنى مفعولة ، والأكثر فيها أن تجرد من التاء
فصحى : « ارأه قتل وجربج » فل الحاس : « والبصرىون

(١٠٠) الراوية العبر أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه الماء ،
والرجل المستقى ، والمزادة .
(١٠١) شرح الكافية : ١٦٤ / ٢ .
(١٠٢) المائدة : ٣ .

يقولون : جعلت اسما فحذفت منها الهاء كالذبيحة ، وقيل :
هي بمعنى ناطحة » (١٠٣)

ومما يلحق بهذا النوع - أعنى النقل من الوصفية الى
الاسمية - الساء في المصادر الصناعية في نحو : « وطنية
وحشمية » ، فإن الكلمة قبل دخول التاء تكون ملحقة بالاشتقاق
بسبب ياء التثنية ، وإذا بوصف بها فيقال : « رجل وطني »
فلما لحقتها التاء ، نقلت الكلمة الى المعنى الخالص « الحدث »
الخالى من الدلالة على الاشتقاق (١٠٤)

٢ - تاء النقل من العجمة الى العربية ، ونعنى بها تلك
التاء الداخلة على الجمع الأقصى في نحو : « جواربة وكيالجة
وهوازجة » (١٠٥) دلالة على أن واحدها معرب ، فيقال :
الهاء أمانة العجمة ، وذلك أن العجمي نقل الى العربية كما أن
التأنيث نقل عن التذكير (١٠٦)

(١٠٣) اعراب القرآن للنحاس : ٦/٣ ، وقال سيوطي : « ونقول :
شاه ذبيح كما تقول : ناقة كسير ، ونقول هذه ذبيحة فلان وذبيحتك ،
وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت ، لا ترى أنك تقول ذلك وهي حية ،
هاتما هي بمنزلة ضحية ونقول : شاه رمي ، إذ أردت أن تخبر أنها قد
رميت ، وقالوا : بئس المرعبة الأرنب ، إنما تريد بئس الشيء مما يرمى ،
فهذه بمنزلة الذبيحة . وقالوا : نعجة تطيح ، ويقال : فطيحة ، شبهوها
بسمين وسمينة ، ١ هـ . الكتاب : ٦٤٧/٣ ، ٦٤٨ .

(١٠٤) النحو الواقي : ٥٨٦/٤ .
(١٠٥) يوارية : جمع جورب لقافة الرجل معرب كورب ، وكيالجة :
جمع كيسة من المكاييل . وموازجة جمع وزج : الخف أو الجورب .
(١٠٦) الرضى على الكافية : ١٦٢ .

والعرب - كما عرفه علماء اللغة - هو . « ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها » . قال الجوهري : « تعريب الاسم الأعجمي أن تقتفوه به العرب على منهاجها ، تقول : عربته العرب ، وأعربته أيضا ، (١٠٧)

على أنه يجب أن يعلم أن ما كان من العرب من أسماء الأجناس نحو : « اللجام والإبريسم والياثق » ، (١٠٨) فإنه يجري عليه حكم العربي ، فيتصرف فيه بالجمع والتصغير واشتقاق الشغل منه نحو قولهم : « لجام ولجم ، وفي تصغيره : « نجيم » وقالوا في فعله ومصدره : « ألجمه إلجاما » ، (١٠٩) .

أما ما كان منها أعلاما ، فإن له أحكاما خاصة به ، قال ثعلب : « الأسماء الأعجمية كإبراهيم ، لا تعرف العرب نهى تثنية ولا جمع ، فأما التثنية فتجىء على الفياس مثل : إبراهيم واسماعيلين ، فإذا جمعوا حذفوا فردوها إلى أصل كلامهم ، فقالوا : أباره وأسامع » ، (١١٠) .

رابعاً - التاء الفاصلة :

وهي الداخلة لفصل الآحاد المخلوقة من أجناسها نحو .

(١٠٧) المزمع : ٢٦٨/١ .

(١٠٨) اللجام فارسي معرب ، والإبريسم - بكسر الهمزة والراء وفتح السين أو بفتح الهمزة والراء ، أو فتح الهمزة وكسر الراء - نوع من الديباج والياثق : ما صبح من عصير العنب .

(١٠٩) المزمع : ٢٨٦/١ .

(١١٠) المرجع السابق : ٢٩٢/١ .

« نخل ونخلة ، ونمر وتمرة ٠٠٠ » ، كما جاء للفعل بين
الآحاد المصنوعة وأجناسها نحو : « سفين وسفينة وأبن
 والمبنة وجر وجرة ، وقلنس وقلنسوة » (١١١) . ومنها التاء
 اللاحقة المصادرة نحو : « صرب وضربة وإخراج وإخراجة » فما
 تحققت التاء من هذه الأنواع ، فهو المفرد ، وما لم تحققه فهو
 الجنس . وربما لحقت التاء الجنس وفارقت المفرد نحو : « كم
 وكمة » وهو قليل كما تدخل للفرق بين الواحد والجمع في
 الصفات نحو : « بغال وبغالة وبصرى وبصرية » وكذا نحو :
 « خارجة وسابلة » في قولنا : « خرجت خارجة على
 الأمير » (١١٢) .

خامساً - تاء تأكيد التانيث :

ونعني بها ما كانت داخلة على كلمة مدلولها مؤنث .
 فيكون الغرض من التاء تأكيد ذلك التانيث الحاصل في
 الكلمة ، وذلك يكون في المفرد والجمع ، فأما المفرد فتأتي نحو :
 « دامة ومعجة » وما أشبههما من كل لفظ يدل على مؤنث يخالف
 ما ذكره ، فالباء قبله لتأكيد التانيث ، ومعه في الصفات
 « محوزة » فإن عجوزا موضح للمؤنث والتسباء فيه
 للتأكيد (١١٣) .

(١١١) القلنسوة : من أغطية الرأس * ومن جمعه : قلنس واصل
 قلنس فقلت الواو ياء ، لأنه ليس في الأسماء ما آخره واو قبلها ضمة
 ثم اعطت اعلال « قاض »

(١١٢) الرضى على الكافية : ١٦٣/٢ وابن يعيش : ٥/٩٠ .

(١١٣) الرضى : ١٦٤/٢ .

وأما الجمع - والمراد به جمع التكسير - فله صور عديدة ، نحو : « أغربة ، وغلمة ، وجمالة (١١٤) ، وبعولة (١١٥) وملائكة » وذلك لأن التكسير يحدث في الاسم تأنيثا (١١٦) ، ولذلك يؤنث فعله نحو قوله تعالى « قالت الأعراب آمنا » ، تدحلت التاء لتأكيد ذلك التأنيث (١١٧) .

سادسا - تاء المبالغة :

تلحق التاء بعض الكلمات فتنبذ المبالغة وذلك كفولهم « رجل راوية » أى كثير الرواية ، ومنه قولهم . « ملوله وفرومه » لكبر السامه والخوف ، ومنه ما لحقت « فعلة » - بفتح العين - للدلالة على الشاغل ، و « فعلة » - بسكون العين - للدلالة : على المفعول فى نحو : « ضحكة ولعنة وسبعة » - بفتح العين وسكونها - ومنه قوله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة » (١١٨) .

(١١٤) الجمالة - بكسر الجيم محفف الميم - يقال للال اذا كانت ذكورا لم يكن فيها أنثى .

(١١٥) البعولة - جمع فعل أى الزوج ومثلها البعال والبعول . وان ابن الأثير : الهاء فيها لتأنيث لجمع وقال سيبويه : الحقوا الهاء لتأكيد التأنيث والأنثى فعل وبعلة مثل زوج وزوجة . اللسان « ب ع ل » . (١١٦) الحجرات : ١٤ .

(١١٧) ابن يعيش : ٩٨/٥ .

(١١٨) الهيرة : ١ ، قال الزمخشري فى الكشاف : ٢٣٢/٤ : « وبناء فعلة يدعى على أن تلك عادة منه قد صرى بها وقرئ ويل لكل همزة لمزة - بسكون الميم - وهو المسخرة لذي يأتى بالأوابد والأصاحيبك مبيضك منه ويشتم » .

فإذا كانت الكلمة تنيد المبالغة بأصل وضعها ، ولحمتها
التاء نحو « مطرابة ومحدامة وعلامة وبسابة » - كانت التاء
للتأكيد المبالغة . قال الرضى : « وكأن التاء فى هذا القسم
للتأنيث ، والموصوف المحدوف جماعة إجراء للشئ الواحد
مجرى جماعة من جنسه ، كما بقول : « أنت الرجل من
الرجل » (١١٩) .

هذا . . وقد حصر أهل اللغة أبنية المبالغة فى اثنى عشر
بناء : فعال - بفتح الفاء والعين - كفساق ، وفعل - بضم
الفاء وفتح العين - كغدر ، وفعال - بفتح الفاء وتشديد العين
- كغدار ، ومفعول كقدور ومفعيل كمعطير ، ومفعال كمعطار ،
ومعله كهزة ، وفعولة كملولة ، وفعاله كعلامه ، وفاعله كراويه
وفعلة بتشديد العين - كسافة - الكثير الكلام - ومفعاله
كمجازاة . ذكره ابن خالويه فى شرح الفصيح (١٢٠) .

هذه أشهر المعانى التى تفيد التاء كما ذكرها النحاة ،
وقد صاموا أمورا أخرى ، ككثير حروف الكلمة فى نحو
« مرية وبادة وغرفة » - كما ذكر الأشمونى (١٢١) - وهو ما
عبر عنه الرضى بقوله . « العاشر . دخولها لا معنى من المعانى ،
بل هو تأنث لفظى » كما فى عزمة وظلمه . . . (١٢٢)

(١١٩) الرضى على الكافية : ١٦٣/٢ .

(١٢٠) الزهر : ٢٤٣/٢ .

(١٢١) شرح الأشمولى : ٩٧/٤ .

(١٢٢) شرح الكافية : ١٦٤/٢ .

ومما هو جدير بالذكر أن كل كلمة لحقتها تلك التاء ،
وإن لم تكن للفرق بين المذكر والمؤنث ، فهي مؤنثة تأنيثا
لفظيا ، مجازيا ، وتجرى عليها أحكامه .

خاتمة

بعد هذه الجولة السريعة في بعض كتب النحو واللغة حول ما يتعلق بـ « تاء التانيث » وأحكامها وخصائصها . نستطيع ان نستخلص أهم النقاط التالية .

١ - أن لغتنا العربية قد حظيت بنصيب موفور من الخصائص والمزايا جعلها جذيرة بأن تكون لغة خاتم الرسل والرسالات .

٢ - أن ظاهرة التانيث والتذكير من ظواهر تلك اللغة التي تتميز بها على كثير من اللغات ، ولذا كانت موضع عناية من الباحثين في اسحر واللغة في القدم والحديث .

٣ - أن لكل أداة من أدوات تلك اللغة من الخصائص والأحكام ما يجعلها جذيرة بالبحث والدراسة ، لما يترتب على ذلك من نتائج تبرر قيمة هذه اللغة وبحفظها من الانحراف والضياع .

٤ - أن تاء التانيث - وهي إحدى أدوات التانيث في اللغة العربية - ليست مفصورة على معنى التانيث فحسب ، بل تحمل العديد من المعاني والأغراض الأخرى .

٥ - أن بعض النحاة - كالعلامة الرضى - قد أسرفوا في
تعداد معانى الناء وأعراضها ، حتى أوصلوها الى ثلاثة عشر
معنى ، وهو ما أجملناه في ستة معان بعد ضم بعض تلك
المعاني الى بعض تجنباً للتكرار ومراعاة للدقة والاختصار .

والله ولي التوفيق .

أهم مراجع البحث

١ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة عشر
أحمد بن محمد الدماطى ط . حنفى ١٣٥٩ هـ .

٢ - الأشباه والنظائر في النحو جلال الدين السيوطى ،
ب : طه عبد الرؤوف - سعد ط : مكتبة الكليات الأزهرية
١٣٩٠ هـ .

٣ - إعراب القرآن : أحمد بن محمد النحاس ، ت : زهير
غازى ط : عالم الكتب ١٤٠٥ هـ .

٤ - الإصناف في مسائل الخلاف أبو البركات الألبارى
ب : الشيخ محمد محبى الدين عبد الحميد ط : دار الجيل
بيروت ١٩٨٢ م .

٥ - البحر المحیط أبو حیان الأنطلى ط : الرياض -
السعودية .

٦ - البيان في غريب إعراب القرآن أبو البركات الألبارى
ط : الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٤٠٠ هـ .

٧ - حاشية الشيخ الخضرى على شرح ابن عقيل ط :
الطبعى - القاهرة ١٣٥٩ هـ .

٨ - حاشية محمد علي الصبان على الأشمونى ط .
• مصطفى محمد •

٩ - الخصائص لابن جنى أبو الفتح عثمان بن جنى
ب . التدقيق محمد علي النجار ط - الهيئة العامة للكتاب
لقاهرة •

١٠ - سر صناعة الإرباب - أبو الفتح عثمان بن جنى
ت • مصطفى السقا وآخرين ط : الحلبي •

١١ - شرح الأشمونى على الفية ابن مالك ط : مصطفى
محمد •

١٢ - شرح الشافية - رضى الدين الاسترأبذى ط : دار
الكتب العلمية بيروت •

١٣ - شرح الكفبة - رضى الدين الاسترأبذى ط : دار
الكتب العلمية بيروت •

١٤ - شرح الفصل لابن يعنى ط : اداره الطباعة
البحرية - القاهرة •

١٥ - اضرثر لابن عصفور الاشبلى ط - دار الأندلس
١٤٠٢ هـ •

- ١٣ - الكتاب لابن هبة ت . عبد السلام حارون ط
د . الكتاب - الدشرة .
- ١٧ - الكشف للزمخشري ط . دار المعرفة بيروت لبنان .
- ١٨ - لسان العرب لاسن مطور ط : دار المعارف .
- ١٩ - الذكر والوفث لابن الأنباري ب . محمد عبد الحادي
عضيمة ط : مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة .
- ٢٠ - المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ت : محمد
جواد المولي وأخريز ط . عيسى الحلبي .
- ٢١ - مغني اللبيب لابن هشام ت : محمد محبي الدين
عبد الحميد ط : مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٢٢ - المحرر الرقي للاستاذ عباس حسن ط . دار المعارف
بمصر .
- ٢٣ - مجمع الهمام للسيوطي ط . دار المعرفة بيروت لبنان

خطبة الوداع
من منظور عام
للخطبة الجاهلية والإسلامية

بحث مقسم من :
د / عبد الكريم أحمد فسراج

تهيئة :-

حدث كثير من مؤرخي الأدب والمشتغلين به عن بساط
العن العصى وكادوا يجمعون على أنه نشأ مع الإنسان ، وهو
فن نثرى عديم ، وربما كان من اقدم الفنون الأدبية ،

ومعلوم أن الإنسان لا يسهر على وفوره واحده فراه هادئا
تأره وثائرا بآره أخرى . وفي كذا الحـالـين يدعو إلى مـ
تفعل به نفسه مسـرحـها القول في إشاره مواطن الحـبـطـن
بـه ، ولا يسـمـا إذا كان حـطـب لديه مـكـوت حـطـابـه ، وبـومـرـب
عـبـه المـوجـه .

« لأن الخطابة كسائر الأنواع الأدبية نشأت في العـطـرـه
يفـرـص بها وجدان الحـطـيـب » (١)

والخطابة ضروره من ضرورات الامم والمجتمعات ، وليس
أدنى عن ذلك من قول الجاحظ . « الخطابه شيء في جمـسـع
لأهم ، وبكل الاجبال إنه أعظم الحاجه » (٢)

(١) في الخطابة وتصوره عند العرب لابن حوى ص ١٤ دار الثقافة
بيروت لبنان بدون تاريخ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ١٢/٢ ط ٤
مكتبة الخاتمي القاهرة ١٩٧٥ م

وذلك لأنهم في حاجة ماسة إليها في كل أحوالهم مع اختلاف بواعثها ، فعندما تستجد بالناس الأهواء ويكثر النزاع فيهم تتراهم يتحذون من السيف أو السلاح حكما قارة وقاره أخرى يلجأون إلى الكلمة البليغة ، أو الخطب التي لها تأثير في النفوس ، والمصحوبة بالدليل والحجج الدامغة ، ولا عجب في هذا لأن طبيعة الإنسان جبلت على الدفاع عن النفس وعن القوم ، وربما كانت الكلمة البليغة أقوى من السيف وامسى أثرا منه متغيرهن الحال ، وتبدل العدو صديقا ، والجفاء مودة ، ردى ثم كانت الخطابة هي الأداة الأولى في الدعوة إلى اعتناق رأى أو عقيدة في سلم أو حرب ، فهي التي تربي المسلم في السلم ، وهي التي تعود إلى ساحات الوغى ، وتشعل نار الحماسة في النفوس ، وعن ثم تستعذب الموت في سبيل نيل المراد وتحقيق الغاية .

ولقد أحدث الإسلام نورة هائلة في حياة العرب المختلفة دينا ، وسياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، وكانت هذه انثوره تهدف إلى تغيير معالم الحياة العربية والوصول ببني الإنسان إلى طريق الهداية والدعوة الحقة وهي في حاجة إلى خطباء يقفون وراءها ويذودون عنها ، ويؤيدون مبادئها ، ويعملون جاهدين على نشرها واعتناقها ، وفي المقابل كان هناك تيار آخر يعمل على تقويض دعائم هذه الدعوة ، والحيلولة دون انتشارها وشيوعها عن طريق الخطابة أيضا .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أثر الإسلام في من الخطابة وكيف أخذ بيدها من أول الأمر وارتقى بها حتى

وصلت إلى ذرا المجد ، وإلى منزلة راقية وعالية ، ولعسل
أصدق دليل على علو مكانة الخطابة وأهميتها أن الله بعث
الخطباء أنبياء ولم يبعثهم شعراء فأتخذوا الخطابة إحدى
وسائلهم في تبليغ دعواتهم ، وإقناع أقوامهم عن طريق إثارة
المشاعر والأفكار وإقامة البراهين والحجج الدامغة ، ومن ثم
دعا موسى ربه قائلا :

« واحلل عقده من لساني يفقهوا قولي » (٣)

ونظرا لأهمية الخطابة في مختلف المبادئ جعل منها -
صلى الله عليه وسلم - أداة لدعوته ، فكانت لسانها المبرر
من مبادئها ومبادئها ، كما كانت تعمل على إقناع الناس
بها متخذة من الحجج الدامغة والبراهين الصاطعة دليلا
قويا ، وبهذا أخذ فن الخطابة عند رسول الله المكان اللائق به
بين فنون البيان الأخرى « فاقبل عليه كما أقبل على غيره
لرؤسائه في تلك الوظيفة الدينية الجيدة ويخطب كن
جمع » (٤)

وكانت خطب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - تصافح
أسماءهم ، وبلاسم سماع قلوبهم وعقولهم ، ولا عجب « فقد

(٣) سورة طه الآيتان : ٢٧ ، ٢٨

(٤) تأملات في البيان النبوي د/ إبراهيم عوضين ص ٨٨ ط ٢ مطبعة

السعادة ١٩٨١ م

هيات الانتدار لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يكون
المثل الأعلى للخطيب الممتاز ، (٥)

ومن روائع خطبه - صلى الله عليه وسلم - « خطبة
الوداع » وهي التي تمثل الدعوة إلى التمسك بعقائد الدين
الحنيف ، والتحذير من البغى والعدوان والسعد عن سبب
الجاهلية .

في جانب بعض الفضائل الاجتماعية ذكرى التي يفرم
عليها المجتمع السليم ، فضلا عما فيها من الإبداع الخفاسي
الرائع . هنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن ثم
كان احبارى لهذه الخطبة التي ساعدش معها قحطيسه
ودراسه .

وفي استاذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في
ن اعمش مع جانب من إبداعه الخطابى في هذه الخطبة الذي
احظى بشرف الحديث - ن بيانه - صلى الله عليه وسلم -
وليكون لى ن خلاوة منظمه نصيب فكلامه - صلى الله عليه
وسلم -

« قد حف بالعصمه ، وشيد بالتأنييد ، ويسر بالقوفيق ،
وسر الكلام الذى الذى الله عليه المحبة ، وغشاه باقبول ،

وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة الكلام ، (١)

وأملئ في الله أن يعينني على تجلية بعض حصائص هذه الخطبة من حيث منهجها وأفكارها وألفاظها مستعينا في ذلك بتوفيق الله أولا وبما كتب في هذا المجال ثانيا .

والله من وراء الغصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

دكتور : عبد الكريم أحمد فراج

النص :

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده
الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،
أوصيكم (١) عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ،
وأستفتح بالذي هو خير »

أما بعد : أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدرى
لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلتقوا
ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل
بلغت ؟ اللهم أشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي
انتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ
به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية
موضوعة ، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة (٢) ابن
الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير

(١) التعبير بـ « أوصيكم » دلالة على حب النبي للمسلمين لأن
الوصية لا تكون إلا من يحب لمن أحب ، فضلا عما في هذا التعبير من
الاحساس بدنو الأجل .

(٢) لأنه من عشيرته حتى يكون قدوة لغيره .

السدانة (٣) والسقابة والعمد قود (٤) . وتشبه العمد ما هنـ
بالعمد والحجر ، وفيه مائة تعبر فمن زاد فهو من أهـ
الجاهلية .

بيها الناس . إن الشيطان أتد يس أن بعند في أرضكم
هذه ولكنه قد رضى أن يطاع ميمـ سوى ذلك مما يحقرون من
أعمالكم .

بيها الناس : يها السيء (٥) وباده في الكفر يصل به
الذين كفروا يحلونـ عاها ويحرمونـ عاها ليواطنوا عـهـ
ما حرم الله فيحطلوا ما حرم الله .

إن الزمان قد استدار كهيئـ يوم خلق الله السموات
والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب
الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة
مبوايات وواحد مرد . ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
الذي بين جمادى وشعبان (٦) ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

(٢) خدمة الكعدة وكانت لبنى عبد الدار في الجاهلية وقد أقرها
الرسول لهم في الإسلام .

(٤) قتل القاتل قصاصا .

(٥) تأخير حرمة الشهر إلى ما بعده إن سادف حربا .

(٦) حترس - حتى الله عليه وسلم - بقوله « بين جمادى وشعبان »
لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان وتسميه « رجبا » السيرة النبوية
لابن هشام ١٨٥/٤ تعليق طه سعد .

أيها الناس . إن ندمتكم علىكم حقا ونكم عندهن حق ،
 لكم . لا توطئن فرسكم غيركم ، ولا يذعن أحدا تكرهونه
 بدونكم إلا بإذنكم ، ولا يدين بفاحشه مبينة ، فإن فعل
 فإن الله قد أفى لكم أن تعصوه (٧) وهجسروهن في
 المضجع ، وصربوهن ضربا غير مبرح فإن اتين و طعنكم
 معاكم ربهن وكسوهن بالمعروف ، وإما النساء عندكم
 عرس (٨) لا يهلكن لأمنهن نيبا ، اخذموهن بأمانة الله ،
 واستحلن فروجهن بكنمه الله فادعوا الله في النكاح .
 واستوصوا بالنساء خيرا ، ألا هل بلغت اللهم أشهد .

أيها الناس . إنا المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ منكم
 مال أخيه إلا أن طيب ندم ، ألا هل بلغت . اللهم أشهد
 فرج من عدي كفارا يصرب بعصكم زناك بعص عادي بركت
 فيكم ما إن أخذتم به أن تضلوا بعدي كتاب الله ، ألا هل
 بلغت اللهم أشهد .

أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لأدم
 وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم
 خبير ، وأمس لعدي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، اللهم بلغ
 اللهم أشهد .

هاتوا نعم قان فليبلغ الشاهد الغائب .

(٧) العضل : العبر واتضيق .

(٨) جمع عانية وهي الخادمة .

أما الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، فلا يجوز لوارث وصية ، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث ، والولد للمراش وللعاشر الحجر ، من ادعى إلى غير أبه أو ترائى غدر مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف (٩) ولا عدل (١٠) والسلام عليكم ورحمة الله ، (١١)

مناسبة النص :

لقى رسول الإنسانية الأول ومعلم البشرية الأعظم سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — هذه الخطبة يوم رفته في أسببه العاشره من المحرمه وسط الجموع المحتشدة على رفات وقد كان حوله خلق كثير .

« فقد كان مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في ذلك اليوم ما يزيد على عشرة آلاف صحابي كلهم خرجوا لسموا الحذر والبركه بالاعتناء والناسي برسول الله — صلى الله عليه وسلم — في حجه ونسكه » (١٢)

(٩) الصرف : التسوية .

(١٠) العدل : الغدية .

(١١) البيان والتبيين ٢/٢١ هارون والخطبة في سيرة ابن هشام والطبري مع اختلاف يسير في اللفاظ .

(١٢) السيرة النبوية الحادثة د/محمد عبد المنعم خفاجي ص ٤١١

بل قيل إنه اجتمع حوله عليه الصلاة والسلام - في هذا
اليوم المشهود - مائة ألف وأربعة وعشرون ، أو أربعة -
وأربعون ألفا من الناس فقام فيهم خطيبا وألقى هذه الخطبة
الجامعة ، (١٣)

وسميت بخطبة الوداع لأنها آخر خطبة خطبها - صلى
الله عليه وسلم - في آخر حجة حجها - فكانت حجة البلاء
وحجته الوداع وذلك أن رسول الله لم يحج بعدها ، (١٤)

ولقد شعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهذه الخطبة وبجسالة
مساكينها ونها لئلا يترك خطبة له في عرفة وبدأ هذا واضحا
في قوله :

« فإني لا أدرى لعلى لا أذاكم بعد عامي هذا ، (١٥) »

ولقد صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في
إحدى سنه وشعوره فقد وافته المنية سنة إحدى عشرة للهجرة في
ربيع الأول -

(١٣) الرحيق المختوم للشيخ صفى الرحمن المباركفوري ص ٤٥٢
ط ٦ دار الريان ١٩٨٨ م

(١٤) الصيرة النبوية لابن هشام ١٨٧/٤ تعليق طه عبد الرؤوف
مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨ -

(١٥) السابق ١٨٥/٤

ومما يدل على عظمة الموقف وجلاله وأهميته تلك المناسبة
ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمر أحد أصحابه (١٦)
ن يردد بعض عبارات خطبه على أسماع الجموع
احتشده اذاك .

ولعلنا نلاحظ أن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - قد
أبدى جليل الحكمة في تلك الخطبة ولا نرو « فما ظنك بخطيب
يجتمع أمامه حشد ثم يجتمع مثله من قبل ، ويحس أن عليه
دفع الجمع عن الإيذاء ليخرج من التجمع أمام ربه ، واني
إيلاء ذلك ليس الأمر إبلاغ مسئلتين أو مسئلة ولكنه أرساء
حقوق الإنسان على وضع وظيفه » (١٧)

موضوعها :

قامت هذه الخطبة على أساس « ادعوه إلى التمسك
بمبادئ الإسلام الرشيدة ، والتحذير من البغي والعتوان ،
وسفن الجاهلية ، وكأنة - عليه الصلاة والسلام - يبرأ من
مخالفة هذا الدستور الإسلامي وإهمال تنفيذه ، ويسى بالنبى
على المسلمين ، ويجمع إلى انه سوف يبن أئاعه المسوقف
الأخير » (١٨)

(١٦) وهو ربيعة بن أمية بن خلف السابق ١٨٦/٤

(١٧) البيان النبوى ٦٩/١

(١٨) من طرائف الأدب العربى مقالات وبحوث ص ٤٤ د/عبد اسلام

سرحان ص ١٠ سنة ١٩٧١ م

المحتوى الفكرى للخطبة :

« وقد تمت هذه المنطة على أفكار كلية وأخرى جزئية من الأفكار الكلية الدعوة الى الإيمان بالله وحده لا شريك له واسميت بكتبه ويطلق رسالته ، وبين أن الإسلام دين المساواة ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى »

وقد ضمت هذه الافكار الكلية أفكارا جزئية منها -
مرأته حموى الإنسان وادأؤه للأمانة ، وإرساء القواعد والأسس على تقوم عليها العلامة بدن الرجل وأهله ، واحترام حقوق الآخرين ، والبعد عن الربا وعدم التعامل به الى جانب أهمية النفس والمال والعرض في الإسلام ، والسير على نظم الميراث الذى شرعه الشارع الحكيم ، والبعد عن وساوس الشيطان ونزغاته .

منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى خطبته

الوداع :

إن المتأمل فى منهج الرسول - عليه الصلاة والسلام - فى الخطبة يرى أنه بدأها بمقدمة موجزة دقيقة مشوقة أثنى فيها على ربه ، وبين أنه مصدر الهداية ، وهذه المقدمة جاءت ممهدة لترضوع الخطبة ، ومنصلة بما بعدها ، ومن ثم كان لابد من العناية بها فى الخطبة لما لها من أثر فى نفوس المستمعين

« لأن براعة الاستهلال من أخص أسباب النجاح في الخطبة » (١٩)

والمقدمة في الخطبة « تشبه المطلع للقصيد والمدخل في المسرحية والتمهيد الموسيقي للقطع الغنائية » (٢٠)

والناظر في مقدمة الخطبة التي معا يرى أنها منضية إلى موضوعها ، فليس مضمون الخطبة وفكرتها إلا ما حوته المقدمة وهو الهداية والدعوة إلى الدين القويم وعبادة الله الواحد الأحد .

وبعد هذه المقدمة الموجزة يعرض المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أفكار خطبته التي كانت - مع إيجازها - شرحا واضحا وبيانا شافيا لما جاء في القرآن الكريم إلى جانب التقضاء على المشاكل التي تهدد حياة الناس وسعادتهم في دنياهم وآخراتهم .

وول هذه الأفكار الإحياء بمرب نهسايته - صلى الله عليه وسلم - وهذا ناقوس يدق على رؤوس الناس - وينذرهم بالقطعة والانتباه وقد وضع هذا في قوله : « لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفى هذا »

(١٩) المثل السائر لابن الأثير ص ٦٤ البهية ١٣١٢ هـ
(٢٠) الخطابة في صدر الإسلام د/محمد طاهر درويش ٢٢/١ دار المعارف ١٩٦٥ م

وهذا ما حدا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يضع أكبر عدد ممكن من التشريعات السامية بين جنابات هذه الخطبة الختامية بهدف إصلاح أحوال الأمة وتبصيرها بأمور دينها ، ووضع حد ماصل بين حباتين : حياة العرب في الجاهلية وحياتهم في الإسلام ، فقد كان عرب الجاهلية متفرقين شيعا شيعة وأحزابا ، يتقاتلون ويتنازعون طلبا للثأر ، ونهباً للأموال ، ولما جاء الإسلام ضمهم تحت راية واحدة ولواء واحد ، ومنعهم من المنازعات والمشاحنات ، وأخذ بأيديهم إلى جادة الصواب ، وقد وضع هذا ببيان الرسول لموقف الشريعة من الدماء والأموال وما لهما من حرمة ومراعاة الإنسان لهذه الحرمة بالحفاظ عليها *

ويذكر في الحديث بعد ذلك أن الأمانة وما لها من قيمة ، والربا وما له من خطوره على حياة الناس ، وقد حذر - صلى الله عليه وسلم - من الخيانة وعدم أداء الإنسان الأمانة لمن أئتمنه ، كما حذر من التعامل بالربا وبين مغبة ذلك ومد بدا هذا في قوله - صلى الله عليه وسلم - « ممن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي أئتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدا به ربا عمى العباس » (٢١)

ويبدو من هذا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أعطى رأيا عمليا على وجوب الالتزام وتغيير المسلك الربوي الذي كان يسلكه الناس في الجاهلية وإلزام الناس الحجة الفعلية

(٢١) حتى يكون قدوة بمن هو أقرب وأحب الناس إليه *

هي كآل ما يدعو إليه ، وهذا يعنى شكره وتحريم أكله عن ترويض
لإسراع النبوة والسعى لخطوره هذا الداء وحوقا من استمرائه
في النفوس .

وبعد هذا التحذير ينشر - صلى الله عليه وسلم - الناس
ببشارة طيبة وهي كون الشيطان ينس أن يعبد في الجزيره
عربية ولكن مع تحذيرهم إلى الداخل ولفظ النبي
يمكن أن يدخل منها الشيطان لابن آدم ، ولا غرو فالشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق فينبغي تليها أن
نضيق عليه مجاريه .

وفد أكد - صلى الله عليه وسلم - فكرته بأن واسمية
الجملة في قوله الذي جمع بين البشارة والتحذير :

« إن الشيطان قد ينس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه
مد رضى أن بطاع فيما سوى ذلك مما تحمرون من أعمالكم »

ولما كان الجاهليون يقصرفون في الشهور ويغيرونها
حسب أهوائهم وما يناسب معهم أخبر - صلى الله عليه
وسلم - أن عام الوداع هو الفيصل في هذه القضية حيث
استعادت الشهور والأيام وضعها الحقيقي من حيث شهور
الحل والأشهر الحرم وتسير مع واقع الحياة الصادقة ، ومن
ثم حذر الرسول من التقصر في الزمن وأشهر أهل والأشهر
الحرم مرة أخرى ، وبين أن تغيير هذا النظام الإلهي زيادة

في الكبر والصلال ، وقد بدا هذا واضحا في قوله صلى الله عليه وسلم - :

« فيها الناس إما اسمى ربهم في السور بفصل به الذين كفروا بخلوبه عاماً وبعزموب عام أبواطنوا عده ما حرم الله بيجلو ما حرم الله ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ووحد فرد، ذو النعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان الا هل بلغت ؟ اللهم شهد »

وسندو من حال هذه العمرة الاحتراس الجميل الذي بدأ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله . « ورجب الذي بين جمادى وشعبان » لأن العرب كانت تسمي رمضان « رجباً » .

ثم يتحدث الرسول بعد ذلك عن النساء وعن الاستعاضة الواجب نحوهن ، وقد جرى هذه المكرة واحذر لها ~~بعضها~~ رقبقة حافية تتغلب مع المعنى وأكد هذا بقوله : « إنما النساء تفديكم عوان لا يمكن لأغسهن شيئا »

ثم يفادى - صلى الله عليه وسلم - على المسلمين بأنهم إخوة في الدين وفي العقيدة فلا يحل لمسلم أن يأخذ مال أخيه المسلم إلا عن طيب خاطر فلا ظلم ولا نهب كما لا يحل له أن

يضره أو يقاتنه وقد وضح هذا في قول الرسول :

« فلا ترجعن بعدى كمارا يضرب بعضكم رقاب بعض »

ويوجههم الى الطريق الذى يبعد عنهم الزيغ والضلال
ويكمل لهم السعادة فى الدنيا والآخرة وهو كتاب الله عز وجل
- فيقول :

« فإني فرقت بينكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى
كتاب الله »

وبينهم - صلوات الله وسلامه عليه - فى توجده
الناس حيث يدفعهم الى المساواة والى التآخى والنواضع
وعدم انصاف والغرور بقوله معللا لذلك :

« أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم
وآدم من نراب أكرمكم عند الله أتفاكم » ثم يؤكد هذه المعركة
وبمعناها بقوله : « ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالنقوى »

ثم يختتم - صلى الله عليه وسلم - خطبته بالفكرة التى
بدأها بها ليؤكد أهمية الأعراض والأموال بقوله .

« أيها الناس . إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من

المنبراث فلا يجوز لأوارث وصيه ، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث والوند بلعراش وللعاشر الحجر ، من ادعى الى غير أبيه أو نولى غير موليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا ينبدل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله .

وهكذا تسمير الخطبة واضحة المعاني سهلة الأسلوب متمسكة الباء ، عرضها جذاب يمنع الأساع ويقلج الصدر بها شيء من الغا ط رائحة ومعان جميلة أعاذة ولا عرو في حد وهي خطبة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصبح الخلق على الإطلاق وليس « إحكام الأداء ورؤعه الفصاحة » و « قوة الخطب وسلاسة النظم إلا صفات كانت فيه - صلى الله عليه وسلم - عند أسبابها الطبيعية » (٢٢)

ولا بعوننا أن الرسول في استغفاره وتوبته واندفاعته من السرور ومبشرات الأعمال إنما يعطينا القدوة من نفسه وهو أنه يستغفر ويتوب ، وهذه دعوة لاستغفار المؤمنين وتوبتهم إلى ربهم وهم أولى بذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم - وتعطى هذه الخطبة المثل الأعلى للحكام المسمين وثلزعماء وقادة الأمم وإحكام كيف يكون مع غيرهم من الحكوميين ؟ وهي إعلان لحقوق الإنسان التي سبق بها الإسلام الأهم والحكومات المختلفة .

أهم ما يميز أسلوب الخطبة :

« ما لا شك فيه أن العناية بالأسلوب في النص الأدبي تعنى من سادته وبعطفه مرصه اكبر للبصاء ومن ثم كاتب صيانة الأسلوب غايه من غايه الأدب وبخاصه الخطيب لأن الأسلوب الذى يتصف بالدقة والإسهاب يزيد من الذخيرة من نفوس السامعين ويجذب انتباههم ويسهل تلويحهم » .

و المراد بأسلوب الخطبة . الطريق الخاص الذى يسلكه الخطيب فى داليف خطبته من حيث اختيار اللفظه ، (٢٣) .
وذكره ، وعرض أدبه وبراهينه معبرا عن أفكاره ومغيبه ومبالا على ملامح شخصيته الأدبيه والدعويه نه — .
الإفادح من طريق الحقائق وإثارة الشعور والوجدان .

ومن هذا المطلق كان لابد لخطبة من أسلوبه بمزجه ،
غيرها من الفنون الأدبيه الأخرى .

وعادة الخطيب فى أسلوبه لمقت أنظار السامعين وشده انتباههم وجذب مشاعرهم وإمباعهم ولا يكون ذلك إلا بـ « أن يعرض آراءه فى أسلوب يحذب نفوس السامعين ويسرعى انتباههم . ويهيج مشاعرهم ويجعلهم يعتقدون آراءه ويستصوبون أفكاره » .

(٢٣) انظر أسس النقد الأدبي عند العرب لأحمد بدوى ط ٢ مكتبة نهضة مصر بالفيحالة ١٩٦٠ م

ولا تأتي إلى غيري - حبيب من الأهل - فإلا إذا كنت
 في ربه وانعم به ، ولكني كنت كذلك لأجد أن يكون « في جميع
 الأحوال » به جارداً ، تأتي مسجدة عند مستكره لطبيعته ، ولا
 يتركف من نفس حتى ويسعد . »

وهما يميز أسلوب خطبة الرداء بدورها بالحمد والثناء
 وهذه تامة لم تكن معروفة لدى خطباء الجاهلية من قبل
 وصارت سنة الدرمها الخطباء بعده - صلى الله عليه وسلم -

وبدا هذا واضحاً فيما جاء عن الزهري قال :

« كان صدر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 الحمد لله بحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور
 أمسينا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،
 وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله » (٢٤)

والناظر في مقدمة خطبته - صلى الله عليه وسلم - يرى
 أنه حمد الله وأثنى عليه وبين قدره في ملكوته ، وأن الهداية
 بيده - حل شأنه - وقد جعل - صلى الله عليه وسلم - من
 هذه المقدمة وصية جامعة حين قال : « أوصيكم بتقوى الله
 وأحثكم على طاعته » .

فقد جمعت هذه المقدمة الموجزة مفاهيم الإسلام كلها ،
وهل الإسلام إلا حمد واعتراف باللوحة ، وطاعة مطلقة لله ،
وسير على طريقته ومنهجه .

وبهذا استطاع - صلى الله عليه وسلم - أن يمهّد
لخطبته باستثارة سامعيه وجذب انتباههم وهي مهمة
المقدمة في كل خطبة ناجحة .

والمقدمة جاءت هنا مفتوحة بالحمد والثناء على الله بما
هو أهله والشهادتين .

ويجدر أسبلاغة الخبره في أسلوب هذه الخطبة في
الإدراج الخطابي ، واللفاظها دقيقة موجيه واضحة الدلالة على
معانيها ، ومن ثم نستطيع أن نقول بأن « أسلوبها هو الأسلوب
السهل السائق الممتع » (٢٥)

ومما لا يدع مجالا للشك ان أسلوب الخطبة قد فاق كل
أسلوب ، وعلا كل كلام بشري ، فقد استطاع عليه الصلاة
والسلام أن يوحز المبادئ الرئيسية للإسلام في هذه الخطبة ،
وان يبرز معانيها الجملة بألفاظ سهلة وعبارات واضحة
بعنده عن السكف والنصنع المقسوت ، ومن ثم خلص الى
حيات القلوب وأصاب الهدف .

(٢٥) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام د/محمد خفاجي
ص ١٢٨ ط ١ دار كتاب البعث بيروت ١٩٧٢ م .

ويبدو أن نوافر صفات الخطيب المنار في سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في أجل معانيها كانت تعساق لأسلوب في نقل أحاسيسه وتوضيح معانيه واستماله سامعيه ، فقد كان عليه الصلاة والسلام جميل الطلعة بهي الصورة ، عظيم الفطنة ، سليم اللسان ، وحسبك من صفاته الخلقية مول ابن أبي بahlه وكان وصافا متحدثا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان مما قال : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مخما مخما بتلألاً وجهه تالؤ الفمر ليلة البحر » (٢٦)

ولا شك أن لهذه الأوصاف أثرا واضحا زدد من نفاق المنتمين بالخطيب لا سيما سيد محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي فاق كل البشر في هذه الصفات البشرية كما فاقهم في الصفات المعنوية .

« وذهب أن الخطيب حين يتحدث إنما يظهر أنعمائه في وجهه شادا رزق صراحة ووضاءة فقد ضاعف انفعاله من جماله وضاعف في تأثر سامعيه » (٢٧)

وهكذا كان - صلى الله عليه وسلم - ولذلك احتتمت الأسسود في خطب النبي كما بدا في هذه الخطبة كمسابلات البلاغة البشرية .

(٢٦) محمد المثل الكامل لمحمد أحمد جاد المولى من ٨ ط ٢ دار لكتب المصرية القاهرة .

(٢٧) البيان النبوي د/محمد رجب البيومي ٥٩/١

ولعل الجاحظ بنى على أمسها بطرته البعدية عندما قال
تحدثنا عن جماع البلاغة في الخطابة :

« وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاؤه وسنائه أن يكون
الشمائل موزونة ، والألفاظ معدلة ، والسهج سديه وإن مع
ذلك السن والسمت والجمال وطول النصيب ثم دُلَّ ستم .
وكمل كل الكمال » (٢٨)

وقد شملت خصبة الوداع على الأساليب المتسوعة
المتنوع بالسماع من المطلوب إلى المطلوب فيكون ذلك صوابا
استفاد منه ، فاشتملت على الأساليب الخيرية كقول
عليه الصلاة والسلام : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ،
والإنشائية كقوله « إسمعوا مني أبين لكم ، وفروا » « سيبغ
الشاهد الغائب »

كما اشتملت على الأساليب العيانية كالسببية في قوله
عليه الصلاة والسلام : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ليس
أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم
هذا » .

وهنا أراد - صلى الله عليه وسلم - أن يوضح المعنى
ويثبت الذكرة في أذهان الناس منسبة حرمة الدماء والأموال
والأعراض بحرمة يوم النحر ، وحرمة شهر الحج ، وحرمة

م العرى لبيان مكانة حرمة هذه الأشياء • وبيان « أن النفس »
« تتزع من رمان ومكان احاططين فكان أدل وأقوى في بيان
لغرض المقصود وهو حرمة الدماء والأموال والأعراض » (٢٩)

والقنوع بين الأساليب - كما قلنا - وسبلة من وسائل
الخصم السارح التي تستعين بها على توضيح أفكاره ،
والله قدر على ما ينبغي ويهدى نصارهم •

والذي صدر من هذه الخطبة أن لابد لأبب الحبيب أكثر
حظ من الأساليب الجارية كما هي قوله - صلى الله عليه
وسلم -

« إنما لكم وأما لكم حرم شريككم » ثم ك...
أما... وإن مائر الحامليه موصوعة... إن الشيطان يد
يث... ن يعيد على أرضكم هذه... »

ولعل مرجع ذلك أن هذه الخطبة الجامعة غشت بالمعاني
الذمعية وتقرير احكام ومثل الشريعة العليا ، وكل هذه
المعاني تحيا في النفوس وينفعل السامع لها بقوة التأثير
المباشرة •

بحا... الماخذ هذه الخطبة ملائمة لأهـ ومسقة مع

المناسبة ، واضحة الدلالة على معانيها ومقاصدها ، لا يحتاج
إلى شحذ ذهن وكد فكر لأنها رفيقة في مواضعها ، بليغة
الدلالة على أفكارها ومعانيها ، مناسبة كل استناد لحال
سامعها ، ولا عجب فهي نتيجة إلهي رفيع نسبي
حتى تكون كأنفاس الصبح معطرة بشذى نور ذوائه - عليه
الصلاة والسلام - « إنما المؤمنون إخوة ولا تحل لأمرىء من
أخيه إلا عن طيب نفس »

وتتخذ حتى ذرها صرخة مذكرة تزيق قلوب الهمة - د
والوعيد والنفعل - شجرة كرم في قلوب - عليه الصلاة
والسلام - .

« والوعد للفرائس وللعاهر الحجر ، من تسمى أبي عيسى
أبيه أو بولني غير مؤثمة عليه بعدة - والله أعلم -
اجمعين » .

ولا غرو ف « النبي خير لسان من البشر ، وقد كان في
برائه مدبرة وإيجاز كلمة وفصاحة لفظية وحزلة فوه وشجوة
معانيه ، وصدق توجيهاته بالجدل الأربع والمكانة الذي
لا تجهل » (٣٠)

ولقد تميز أسلوب هذه الخطبة بدورها بأسرار القرآن الكريم
تأثرا بينا تاحقوت على بعض الآيات وهذا من قبيل التصميم

(٣٠) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام : ١٢٤ د/محمد
عبد المتعم خفاجي .

من الثَّلاثين الكريم المعن السَّفياض الذي رشف من رحيقهِ
الذَّباب والبنغاء ونسى رائحتهم سيدنا محمد - صلى الله عليه
وسلم - ومن هذا التَّضمين ما ورد في قوله - صلى الله عليه
وسلم - « إنما اتَّسىءَ زيادته في الكفر بضلِّ به الذين كفروا
يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة فيحلوا ما حرم الله،
كما ورد موله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا
في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم »
وقوله أيضا : « إنما المؤمنون إخوة »

والنص الأول مأخوذ من قول الله تعالى - : « إنما اتَّسىءَ
زيادته في الكفر يصل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم
سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين » (٣١)

والثاني مأخوذ من موله تعالى - : « إن عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض
منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم
وقابلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله
مع المتقين » (٣٢)

والثالث مأخوذ من قوله - تعالى - : « إنما المؤمنون
إخوان فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٣٣)

(٣١) سورة التوبة آية : ٢٧

(٣٢) سورة التوبة آية : ٣٦

(٣٣) سورة الحجرات آية ١٠

وببضح مما سبق أن هذا تضمن جزئى وهو أخذ بعض
آية ووضعها فى النص وهو مفيد وحسن .

ولم يستحسن نقاد العرب حلو الخطبة من المـسـرـن
المكروم لقوة التأثير فى نفوس السامعين ، وليس أدل على ذلك
من قول بعضهم : « هذا الشئ الخطيب العرب لو كان فى خطبته
شئ من القرآن » (٣٤)

وقول ابن الأثير وهو يتحدث عن التضمن :

فأما الحسن الذى يكتسب به الكلام طلاقة فهو أن
يضمن الآيات والأخبار النبوية وذلك بزد على وجهين .
تضمن كى والآخر جزئى ، فأما التضمن الكلى فهو أن
تذكر الآية والخبر بجملة واحدة وأما التضمن الجزئى فهو أن
تذكر بعض الآية واستخرج من كلامه فىكون جزءا منه (٣٥)

ويبدو مما سبق أن للتأثير بالقرآن كان واضحا فى
خطبة النبى - صلى الله عليه وسلم - وكان مقيدا بل لخطب
الذبويه كلها « بحيث تستطيع أن ترد كل موعظة الى يدببع
الصوت الذى تفجرت منها » (٣٦) من حيث مبنائها ومعناها
وهى

(٣٤) البيسان والتبيين ١/٢
(٣٥) مثل السائر لابن الأثير تقديم د/أحمد بحوفى ، بدوى طاعة
القسم الثالث ص ٢٠٠ .
(٣٦) عصر الإسلامى د/شوقي صيف - ١١٧ دار المعارف
دار شريعة مصر للطباعة والنشر .

جندى أسلوب القرآن الكريم وطريقة تصويبه ،
وحسن تعبيره ، فتراها حلوة الألفاظ غنية الكلمات سلسة
العبارات ، ومتجاورة الفقرات ، يتراوح فيها المبني مع المعنى
وسلاحي فيها الأفكار منسقة متجانسة ، وتدفق فيها
الاستعارات وباطن الكنايات ، وتصدق التسمييات ، (١٧)

وتم نحن حظه اسودح من أساليب لفصيل والنفذين
تقدم نطلب المصام ذلك رعه في تعميق الفكرة وبوضوح
نعمى ، وهن ذلك قول النبى - صلى الله عليه وسلم - : « إن
لنفسكم عليكم حق وبكم عليهن حق ، لكم عليهن لا بوضوح
مرئكم عرذم ، ولا بدخان احدا بكرهونه ببؤسكم إلا بإذنكم
ولا بدتين بالحقنة * * * »

هـ ذكر - صلى الله عليه وسلم - بيانا شافيا لهذين
حفيين بين الرجل وزوجه وهذا كثر فى خطب النبى - صلى
الله عليه وسلم -

وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على فكرة التألف والتسامح
بين الناس وبؤكد هذه المعانى فى اذهن سامعين والمؤمنين
مبدء بالأسلوب مؤكدا بقوله : « ايها الناس إن ربكم واحد
وإن أباكم واحد * * » ثم زاد هذا التوكيد بذكرير هذه الجدل
هى قوله : « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على
عجمى إلا بالتقوى * * »

يدور ابن الأثير « واعلم أن المفيد من التكرير يأتي فى

الكلام تأكيداً له وتشبيهاً من أمره . وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشئ الذى كررت فيه كلامك إما مبالغة فى مدحه أو فى ذمه أو غير ذلك ، (٣٨)

ولقد حرص - صلى الله عليه وسلم - على تحقيق المبادئ الإسلامية والتشريعات السامية التى احتوت عليها الخطبة فى أذهان السامعين وشد انتباههم بين المقرة والفقرة عن طريق الاستسهام التوكيدى ويعقب ذلك بأن يشهد الله على ما بقول ، وقد بدا هذا فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد »

ولم نخل خطبة الوداع من بعض الحسنات البديعية اللفظية والمعنوية كالسجع والجناس والطباق والمقابل ، وجاءت كلها غير مكلفة ولا مصنوعة ، ومن نماذج الحسنات قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن أنفسكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق ، عليهن ألا يوطئن فرشكم مثيروكم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم »

ويبدو من النص تقسيم الجمل والجناس وبعض الحسنات . لأخرى كالسجع وغيره وقد جاءت كلها طبيعية غير متكلفه ، ولا عرو فالرسول - عليه الصلاة والسلام - أفصح العرب بلا منازع ، وأدبه ربه فأحسن تأديبه ومن ثم أحسن العرب عنه القصاحة بجميع وجوهها ، فالرسول - عليه الصلاة والسلام - « لا يند فى لسانه لفظ ، ولا تغيب عنه لغة ، ولا تضطرب له عبارة ، ولا ينقطع له نظم ، ولا يشوبه تكلف »

ولا يفوتنا أن ختام الخطبة بالسلام من الأئمة التي تتميز بها أسلوبها عن غيرها ، وهذه سمه لم تكن معروفة لدى خطباء الجاهلية وإنما هي إسلامية خالصة .

اهم ما تميزت به خطبة الوداع :

بعد هذا العرض والتحليل لخطبة الوداع يمكن القول بأنها تمثل الخطبة الإسلامية شكلا ومضمونا ، وقد تميزت هذه الخطبة بمعوماتها وشؤونها لحقروا الإنسان ومراعاة آدميته بما فيها من معان شاملة لكل معاني الإنسانية التي ذكرل للإنسان الحربة والكرامة والحناء الأمة المظننة .

ودعت هذه الخطبة احرم منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الناس يوم الحج الأكبر ، وهي هذا صوره إشعار المسلمين بأهميتها وإلزامهم بما جاء فيها من مبادئ وتشريعات ، نصلا عن انها تعد إشارة لجل ما دعا اليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه - وهي بمثابة توصية منه في موقفه الخاتم بضروره الانزام الذي سيمتد الإشارة اليه ، وبمثنائه الخاتمة لخطبه - صلى الله عليه وسلم - وخاتمة الشيء زبدته وحلاصته ، فهذه الخطبة جاءت ملخصه للكثير من المبادئ والتشريعات والحمم في الإنسانية المستقاة من القرآن الكريم تحقق للناس الخير في الدنيا والآخرة ، ومن ثم كانت أفكارها صالحة لكل زمان ومكان لأنها تشريع إلهي وفيض نبوي .

بشرل لذكثور الشكمة (٣٩) « ثم تحل ختبة الرسول من حكمه أو موضة أو سريخ ، وخطبه - هلى الله عليه وسلم - على كثرتها كانت حجات شينة من السنة من الضرر مقوأكبه تنهت بخطبه حجة الوداع » .

والإسلام - فى جملة - كما يقول حمد بن المن محمود (٤٠) ، يهدف الى رسم طار الشهاج الإلهى لحديه الشتر فى خرمين ومكان . ولذلك على مهب استعبده و لاسساق والشتر مع بطريفة نجعله لا يف أدم الاختلافات العارضة والمؤقتة من معنى الانسان . والتى لا صلة لها بمطره الانسان ،

وأما تمير الاسلام عن عبده من الاخيرين بن رسم - منه عالمية جاءت الى الناس كافة من جميع الأحناس والألوان وفى كل العصور بخلاف الأديان الأخرى كدب رسيتها برسسل نى يوم بعينهم ومن زمن معن ، نل سعالى .

« وما أرسلناك إلا كفة لناس بشير وندير » (٤١)

كما تمير الاسلام أيضا بالبناء التشريعى لاسسايها الجانب الذى ينظم علاقه الانسان بغيره من الأفراد ، وعلاقه الفرد بمجموع الناس فى المجتمع ، وعلاقة المجتمع ككل بأفراده ، وعلاقته بالمجمعات الأخرى التى تجاوره أو تعاصره

(٣٩) الأدب فى موكب الحضارة الاسلامية د/مصطفى الشكمة كتاب النشر - ٦٩ ط ٢ دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٧٤ م
(٤٠) أصول المجتمع لاسلامى بقلم د/جمال - بن محمود - أمين عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٠ العدد ٢٥٢ أكتوبر ١٩٨٣ م .
(٤١) سورة ساء من الآية : ٢٨

وهذا منهج متكامل لان الفواعد العامة لى وردت فيه إيهبه
أصدر بحيث تسمى على الفكر الانساني (٤٢)

ومن هذا المنهج ما احوته خطبة الوداع من مبادئ
وتشريع وتثديرات وحقوق وواجبات ننظم علاقة الناس فيما بينهم ،
وكل من لهم احباء الكريمة ، ومن هذه الحقوق . المحافظة على
الحياة والاموال ، فقد حاط الاسلام على النفس ، لاسيما
وحرم منها إلا بالحق ، ومن حرمتها من الصباغ وكرامته
من الإهدار ، وعمل على حقن الدماء بنص القرآن والسنة .

فمن القرآن قول الله - تعالى - مبيد واحب الانفس
نحو صيانة هذه النفس والمحافظة عليها .

« فكل نفسا بغير نفس او مبادى الارض مكانها
مثل اناس حمراء ، ومن احباها فكانما احبها النفس
جميعا » (٤٣)

وفي هذا من اهدار النفس الواحدة إهدار للجسم
كله ، ومن مبادى الارض مبادى النفس البشرية .

وهو له - تعالى - « ومن يسل موعدا منعته فجزاؤه جهنم
حارة ميرة » وتصدق له شهادة وسنة وحدث به كتاب عظيم » (٤٤)

وحرم الاسلام مثل النفس إلا بالحق مخرج المصالح من

(٤٢) راجع مصيد رقم ٤٠/١

(٤٣) المائدة آية : ٣٢

(٤٤) النساء آية : ٩٣

القاتل في القتل العمد حفاظاً على حياة البشر فقال تعالى —
« ولَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٤٥) :

وَمَنْ الَّذِينَ يَرْوَعُونَ النَّفْسَ الْأَمَنَةَ الْمُطْمَئِنَّةَ وَيَسْكُونُ
طَرِيقَ السُّلْبِ وَالْغَيْبِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مَبِينًا جَزَاءَهُمْ وَمُنْذِرًا
إِيَّاهُمْ بِعَاقِبَتِهِمْ الرَّخِصَةَ لَعَنَهُمُ عَنْ عَالِيَمِ الْإِسْلَامِ . « إنما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض
فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أبديتهم وارجلهم من
خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم جزى في الدنيا ولهم في
الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقتلوا وعليهم
عقابنا أن الله غفور رحيم » (٤٦)

ومن السنة ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص —
رضي الله عنهما — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال .

« المسلم من سلم المسلمون من مصادره ويده » (٤٧)

وما روى عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — قال : « المسلم أخ المسلم ، لا يحرّقه
ولا يكذبه ، ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه
وماله ودمه ، التقوى هاهنا بحسب امرئ » من الشر أن يحقر
إخاه المسلم ، (٤٨) رواه الترمذي ومال : حديث حسن .

(٤٥) البقرة آية : ١٧٩

٤٦ — المائدة الأيتان : ٢٢ — ٢٤

(٤٧) رواه الصالحين باب (تحريم الظلم والأمر برد المظالم)

(٤٨) المحشر السابق باب (تعظيم حرّات المسلمين وبيان حقوقهم)

وقد كرم الإسلام نفس الإنسان وصان حرمتها حية وميتة ، فقد روى مالك وابن ماجه وأبو داود أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لمن أُرِد أن يكسر عظم ميت : « لا تكسره فإن كسرك إياه مبتا فكسرك إياه حيا »

وروى البخارى ومسلم عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد أنهما كانا فاعداً بالفدسية فمروا عليهما بجنائزة فقاما ففعل لهما إياهما من أهل الأرض - أى من أهل الذمة فقالا : إن رسول الله مر به بجنازة فقام ففعل له - إياهما جنازة يهودى فقال : « أولست نفسي »

فهذا تكريم من الرسول للنفس لحض آدميتها دغض النظر عن جنسها ولونها وعقيدتها .

وقد طالب الإسلام بأداء الأمانات إلى أهلها فقال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » (٤٩)

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمى خان » (٥٠)

كما طالب بتحقيق الحرية والكرامة والإخاء والعسـدل والمساواة بين الناس فحارب الاستعباد والعنصرية ، وكرم بنى آدم .

ومن مظاهر هذا التكريم قول الله تعالى : « ولقد كرمنا

(٤٩) النساء آية : ٥٨

(٥٠) متفق عليه - رياض الصالحين باب (الأمر بإداء الأمانة)

بَنَى آدَمَ وَحَمَلْنَا هُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَمْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ، (٥١)

وَأَمْرُهُ لِلْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ فِي مَوْله . « وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا » ، (٥٢)

« وَلَمَّا رَكَّزَ الْإِسْلَامَ عَلَى حَرْبَةِ الْإِنْسَانِ ذَاتَهُ . وَلَمْ يَنْدَأْ
بِالنَّظَرِ إِلَى الْحَرْبَةِ بِحَسَبِهَا مَوْفِقًا إِزَاءَ الْغَيْرِ بِرَادٍ وَصَحٍّ
بِأَرَادِهِ أَوْ مَاعِدَةٍ بِحُكْمِهِ ، وَهَذَا هُوَ الْفَارِقُ الْجَوْهَرِيُّ بَيْنَ مَكْرِهِ
لِلْإِسْلَامِ فِي الْحَرْبَةِ وَمَكْرِهِ الْمَصْحُوحِ الرَّصْعِيهِ » ، (٥٣) .

وَلَفَتْ سَوَى الْإِسْلَامِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْكِيَانِ الْإِنْسَانِي ، وَفِي
الْأَدَمَةِ نَحْصَ النَّظَرِ عَنْ أَحْيَاسِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ وَتَلَوْنِهِمْ وَأَعْرَاقِهِمْ
مَعَالِ نَعَالِي . « ثُمَّ كَانَ نَلْفُهُ غُخْفَى مَسْرُومٍ ، فَيَجْعَلُ مِنْهُ الزَّوْجِيَيْنِ
الدَّكْرَ وَالْأُنْثَى » ، (٥٤)

ثُمَّ سَوَى مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فِي النِّكَاحَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي
الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاصِي ، وَالْحَسَبِ وَالْجَزَاءِ فَقَالَ تَعَالَى . « مِنْ عَمَلٍ
صَالِحٍ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مَرْهُونٌ نَفْسِيَّتِهِ حَيَاةً طَيِّبَةً
وَلَحْرَفَتِهِمْ أَحَدُهُمْ بِأَحْسَى مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ، (٥٥)

وَقَالَ - صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - « النَّاسُ سَوَاسِيَّةٌ

(٥١) سورة الاسراء آية ٧٠

(٥٢) الاسراء من الآية : ٦١

(٥٣) اصول المجتمع الاسلامي : ٨٢

(٥٤) سورة القيامة الآيتان : ٢٨ ، ٢٩

(٥٥) سورة النحل آية : ٩٧

كأسنان المنط ، كلکم لادم وآدم هن ذراب . لا فضل لعربی
على عجمی ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى « (٥٦)

ولقد حرص القرآن على ترسيخ مبدأ تساواه بين الناس
في البشريه والانسانيه فكد بشريه الرسول ومثليته في
سوره « هل ينظرون إلا البشر مثكم يوحي إني إنما أنهيكم به
واحدا » (٥٧)

وكم العنصرية بمولده مخطأ ، الرسول - صلى الله عليه
وسلام - عندما زعم الدهر أن هم عباده مهيضهم على غيرهم
« إنهم أئمة المرار لأخبره عز الله عز وجل على نبيها محمد
- صلى الله عليه وسلم - دينا وموصيا أنه لا مزية لأحد
على أحد إلا بالعمل فقال لجل شأنه :

« فل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون
الناس فمحموا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما
قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » (٥٨)

فالإسلام لم يميز بين فرد وفرد ولا بين جماعة وجماعة ،
ولا بين أبيض وأسود وإيما جعل التقوى وحسن الصلة بالله
سواء المعيار العادل ، لا الجنس ولا اللون ولا الدم لأنها معايير
لا تصلح للتفاضل بين الناس لكونها غير عادلة قال تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

(٥٦) رواء الديلمي

(٥٧) سورة الكهف من الآية : ١١٠

(٥٨) سورة البقرة الايتان : ٩٤ ، ٩٥

شعونا وغبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، (٥٩)

وليس هذا الأمر ، بغريب على الإسلام بل هو بدايه ومنطلق لكل ما حواه تشريعه من حقوق أوجبها للإنسان على اختلاف الجنس واللون والدين والوضع الاجتماعى ، فقد صهر الإسلام منذ أن أشرف رسالته تنظيم بحفظ للأسمى الحرمة التى جعلها الله له ، والذي لا نفس إلا بحق وجعل لهذه الحرمة أثرا فى حقوق غير المسلمين ، وواجه الإسلام فى صراحه وعدل كل ما يحدث بين الإنسان وغيره من اختلاف ونزع بسبب عوامل الجنس ، أو الدين ، أو المصلحة وضمن للأسمى من المخالفين حرمة نفسى بكنان الإنسان وأهميته ، (٦٠)

وقد سبب المنظمات الدولية حقوق الإنسان وفى أعاسى من ديسمبر ١٩٤٨ م أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، الإعلان العالى لحقوق الإنسان وأعلنته ، وأكدت مسعوب الاسم تحت رعاية بحقوقه الأساسية وكرامه الفرد ومدره ، وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية ، من هذه الحقوق : الحرية والإخاء ، وأنتمتع بكافة الحريات ، والحقوق ، دون تمييز بسبب العنصر أو اللون ، أو الجنس ، أو اللعنه ، والمساواه بين الناس فى القانون ، أو مراعاة كرامة الإنسان بعدم التدخل فى شئومه الخاصه ، وتقساوى الحقوق بين الزوجين .. الخ (٦١)

(٥٩) سورة الحرات آية : ١٢

(٦٠) أصول المجتمع الإسلامى : ٦٤

(٦١) أنظر الإسلام وحقوق الإنسان - دراسة مقارنة - د/القص

محمد قصب ٦٠٥ وما بعدها ط ٢ دار الفكر العربى ١٩٨٤ م .

والناظر في هذه الحقون التي اشتمل عليها هذا الاعلان يرى أن خطوطها العريضة التي تمت عليها لم تكن وليدة العصر الحديث وإنما سبق لها الاسلام النظم الدولي الذي نزعى هذه الحقون منذ اربعة عشر قرناً كما بدا في خطبه الوداع سائغة الذكر والتي كتب لها عن تكريم الله للانسان .

و قد رتب الحبيب الإنسانية يسعى لكي تدرك الامم العالدة لهذا التكريم الالهي . ويسعى في بحصله ، ونجد عدم كل امة في حضارتها مرتبط أشد الارتباط بالكرامة الإنسانية في مجتمعاتها ، فاعظم المجتمعات حضارة هو المجتمع الذي ترتفع عنه افق الكرامة الإنسانية لتسهر العمم الإسلامية سرعتها واحكامها ، وليس المجتمعات الإنسانية في هذا العصر بهيئاس لعدم والرمي او الخلف والتمسك هو على أساس ما يعرفه المواطن بالانسان من كرامة وليس الاعلان العالمي لحقوق الانسان سوى محاولة لكي يستشرف النظم لوضع على اختلاف جماعات ومذاهب النص القرآني المحكم في قوله تعالى

« ولقد كرّمنا بني آدم » (٦٢)

دراسة فنية للخطابين الجاهلية والإسلامية :

ولا كانت خطبه الوداع تمثل الخطبة الإسلامية بكن معانيها رأينا أن تلقى الصوة على الخطبة في العصرين الجاهلي والإسلامي من حيث النوع والأغراض والسمات الفنية التي نجمع بينهم ، وما تميزت به الخطبة الإسلامية عن الجاهلية .

بواعث الخطاب الجاهلية :

هضم الجاهليون بالخطبة ، التي كانوا يعبرون منها ما يحيش في صدورهم من أفكار وآراء ، ويصورون ما بطون بعقولهم في شئون حياتهم الخسفة ، ولذات صفة من صفات سيد القوم وشريعتهم الذي بدعو إلى الحرب وأخذ الثمار نارة ، وإلى السلم وحمز النماء ناره الأخرى ، فلا بد لهذا السيد أن يكون خطيباً صموها فصيح اللسان ، بترجم عن الفكر ، ويؤثر في القوم ويقتنعهم ويستميلهم ، ولما يصل إنسان إلى مرتبة الشرف والسيادة لا تتوفر فيه هذه الصفة ، ومن ثم كثرت بواعثها ودواعيها .

« فأتوا قهم الأدبية ونأصل ملكات البلاغة في قوسهم ، ونملكهم زمام الفصاحة ، ثم كثرة الحروب والخلافات بينهم ، ثم قفر قباثل وأحياء مع أميتهم الغائبة عليهم والتي

الجادهم إلى الاستعانة ببلنسان دون الكتابه ، ثم صـسـعـب
شأن الشعر ومكثته في نفوس أشرفهم فنكسب الشعراء به ،
ثم سعة مجال الخطابة فيهم وكثرة أسبابها لديهم كل ذلك
كان دأبا لذيوخ الخطابة فيهم ، و سـشـارها بييهم » (٦٣)

أبرز موضوعاتها وأغراضها :

كثرت أغراض الخطابة على الجاهلية وتبوعت مناسباتها
طفا لكثرة المواقف الداعية إليها من حياة الناس وظروف
اجتماع وعاداته وتقاليدده ، من هذه الأغراض :

- المفاخرات والمفاخرات بالأحساب والأنساب وشرف
الجنس .

- التحريض على قتال الأعداء والدعوة لمحاربتهم
كثرة ما بييهم من حروب .

- اصلاح ذات البين والعمل على التـوـقـبـق بين
المتخاصمين .

- المحامل والوفادة على الأمراء والملوك للتهنئة أو استعزدة
والمواساة .

- التوجيه والنصح والإرشاد .

(٦٣) الحياة الأدبية في عصر الجاهلية وصدر الإسلام د/ محمد سعيد
خفاجي ، د/ صلاح عبد التواب ٨٣ ط ١ دار الزهراء للطباعة والنشر

- خطب النكاح (الإصهار والزواج) •

- الوصية من الكبار •

وسنسوق نماذج لهذه الأغراض ونكتفى منها بما أقدر
المطلوب •

فمما يدل على المآخرة (٦٤) والمآخرة (٦٥) ما حدث بين
علقمة بن علاثة وعمر بن الطفيل العامريين ، وهي أشهر
المنافرات في الجاهلية •

قيل لما أسن أدب دواء عامر بن مالك تنازع في الرياسة
عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ، فقال
علقمة : كانت إحدى الأحوص وإني ما أدب نعمك بسببه ، وقد
فقد عمك عنها وإن سـرحـهـا ، فإني وإن بها منك ،
فـنـرى (٦٦) المشر ببيهما ، وسرا في المآخرة ، فـسـان
علقمة إن شئت نافرتك ، فقال عامر قد شئت ، والله إني لأكرم
منك حسبا ، وأثنت منك حسبا ، وطول منك قصبا (٦٧)

(٦٤) المآخرة : تفاخر القوم بعضهم على بعض بالعصب والشرف
والأخلاق الكريمة ، والعز والثروة ، والكثرة والعدد •

(٦٥) المآخرة : المحاكمة في المآخرة ، وأصلها من قولهم آينا أعز
نقرا فهي التحاكم إلى الأشراف من حكم العرب ليفصلوا بينهم •
ويقتضوا بالشرف لأحدهما

الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية وصدر الإسلام د/محمد خماجر
و د/صلاح عبد التواب : ١١٠ ط ١ دار الزهراء للطباعة والنشر •

(٦٦) نرى : استطار •

(٦٧) قصبا : المراد طول القامة •

مقال علمه والله لانا حبر منك ليلا ونهارا ، سال دهر
والله لانا احبر منك لنفاح (٦٨) وخير منك في الصباح ،
وأطعم منك في السنة الشياح (٦٩) . الخ .

وعندما احكما إلى هرم بن فطه العراري سوى بينهما
وفيل

• يا بني حذر من عاصم عدي وانتم كزبي العبر
لأكرم نعمان بني الأرض معا . وليس منكم أحد إلا وفاته
ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم • (٧٠)

رشد استطاع هرم ان يزرع فقبل الشر بين لطرمن
خشية النزاع بينهما •

ومما حى نبي التحريض على قتال الأعداء والأحـ
سائر خطبه • عسى من مبنصة الشيباني • التي حث فيها
نومه على الحرب في عزم ذي ر (٧١) وقد نجح في مهمته
وهو نقوبه العرائم وحمد الهمم ومها بقول • يا معشر بكر
هاتك معذور حذر من ناج مرور • إن الحذر لا يجي من المذر ،
وإن الصبر من سباب الطمر • المنه ولا المنه • استقبال
الحوب حذر من استدياره • الطم في ثغر النحور أكرم منه في

(٦٨) اللقاح : الإبل •

(٦٩) الشياح القطط •

(٧٠) الأثناسي للأصبهاس ج ١٦ : ٢٨٤ وما بعدها مصور عن طبعة دار

الكتب لمؤسسة المصرية العامة لتأليف والنشر •

(٧١) اليوم الذي انتصر فيه العرب على الفرس •

الأعزاز والطهور ، يا آل بكر ماتوا فما للمنايا بد . . . (٧٢)

ومما يدل على الإصلاح بين المتخاصمين وحقن الدماء
خطبة مرثد الخير بن نكف كي بمنع النزاع بين حبيبي سبيع
ابن احارب وهيثم بن مثوب بن ذى رعين ، ومد شرب بينهما
نزاع من اجل الشرف والسيادة ، وقد استدعاهما مرثد وحالفه
التوفيق في جمع شمل الحسن وأصلح بينهما .

يمسول مرثد : « إن التخطط وامنطاء الهجـاح (٧٣) .
واسندحاب الاحاج (٧٤) سيفسكما على شفا هوـه هي مورده
بوار الاصيله (٧٥) ، وانقطاع الوصيله ، متلامبا أمركما قبل
اقتكاث العهد ، وانحلال العهد ، ونشبت الالفه ، وتبـابن
السهمه (٧٦) . . . وأنتما هي فسحة راقية (٧٧) ، فمد عرفتم أبناء
من كان معكم من العرب ممن عصى النصيح ، وخالف الرسيد ،
وأصغى الى التقاطع ، ورأيتم ما الت إليه عواقب سـسـو
سـسـسـسـسـسـسـس . . . »

ثم ألقى كل من سبيع ومنثم كلمة اكمل بعدها مرثد خطبته
وحدهما بختام بحث على السلم فقال : « لا ننشطوا نفسـلـ

-
- (٧٢) الأعالى للقالى ج ١ : ١٦٩ دار الإفاق الجديدة بيروت
(٧٣) امتطى الرجل هجـاجه : ركب رأسه وتمسك برأيه .
(٧٤) الملاجة : التمدى في الخصومة ، واللعلجسة والتلجـلـج :
التردد فى الكلام .
(٧٥) الزورد : لاشراف على اء ، الاصيله الأصل .
(٧٦) اسسهمه : القسرية .
(٧٧) ناعمه
(٧٨) كينسة .

الشوارد ، وتلقحوا العون القسواعد (٧٩) ولا تؤرثوا نيران
الأعداء فمنها الخلفة المستأصلة ٠٠٠ وأنبيوا إلى السنبيل
الأرشد ، والمنهج الأقصد ، فإن الحرب تقبل بربرج (٨٠)
المعزور ، وندبر بالويل والثبور ٠٠ هـ (٨١)

ومن الخطب التي تحمل روح التعزية والمواساة والدعوة
إلى الصبر خطبة الحب من عوف بعزي فيها سلامة ذا فائش
ومواساة في دن له كبا به القريش خير مديتا .

يقول الحب وهو سحر عن حزنه العميق :

« أبها لك إن الدنيا تجود لخصاب ، وتعطي لأحد .
وذمير منتصب ، ونحس مستمر ، وسرع لأحزان في الملوب
دما قنجا به من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تخطأتك جبل
أتم دنك ، لأجل ، وسفطع لأمل ، وإن حادنا ألم بك فاستبد
بك وصفح عن أكثرك من أجل النعم عليك ، وقد نكسها
بك انباء من رزى قصير وأصيب فاعتقر ٠٠ هـ (٨٢)

ومما حدث في الرعة والنصح الخطبة التي ألفها قس
بن ساعدة الإيادي في سوق عكاظ وكان واقفا على جمل
من الناس إلى التوحيد والإيمان بالبعث والنشور ،
وقد شاهدته في ذلك اليوم وفيه وسام - وهو بلبها وأعان رضاه
بها ، قال نمر

(٧٩) (لا تلقحوا العون) مثل يضرب لعدم قيام العرب واشعال نارها

(٨٠) الزبرج : السحاب الذي يسفوه الريح .

(٨١) الأما إلى ١ : ٩٢ ، ٩٢

(٨٢) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٠ البابي الحلبي

« أيها الناس احتمعوا واسمعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، آيات محكمات ، مطر ونبات ، وآباء وأمهات ، وذات آب وآت ، صوء وظلام ، ودر واquam . . . ونجوم فمور ، وبحر لا تغور ، وسف مرموع ، ومهاد موضوع ، ولبل داح ، وسما ذاب ابزاج ، مائي أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، ارضوا ما قاموا أم حبسوا فناموا ، يا معشر إباد أنتم تمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد ؟ . . . قسم من قسم بالله إن لله أدبنا هو أرضى له من دينكم هذا . . » (٨٣)

ومن خطب النكاح ولزواج خطبه أبي طالب في زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من السيدة خديجة رضى الله عنها - وفيها بقول :

« الحمد لله الذى جعلنا من زرع ابراهيم ، وذرية اسماعيل ومن لنا حرام ، وبنينا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله من لا يوارى به شئ من مريش إلا ربح عليه برا ومضلا ، وكرما وعقلا ، ومجدا ودنلا ، وإن كان فى المال مل . فإنما المال ظل زائل ، وعاريه مسترجعة وله فى حديجه بيت حويلد رعية ولها فبه مثل ذلك . وما أحببتم من الصداق فعلى » (٨٤)

(٨٣) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ : ٢٠٨ وما بعدها ت هارون

(٨٤) المصيرة ، لنبوية لابن هشام تعليق : طه سعد ١ : ١٧٤

من السمات الفنية فيها :

جاءت ألفاظ الخطابة الجاهلية سهلة منتفاه واضحة المعنى . هي الغالب - وقد اعتمد العرب على هذا على منكاتهم الصافية ومطربتهم التي تقوم على الحس والذوق اللفظي ، والعدد من لحنه والتكاف ، تراهم يخنارون المأظهم ، ويجودون بها ويهتمون بها فتأتي مطامعهم لمصالح الحال من غير قواعد ورعية ، و أسس مدروسة وموضوعه ، وليس هذا بغريب على أهل المصداق من لحنه ، والحلافة في القول ، فـ « نخذل من شأن كل بائع » (٨٥)

وخطبه غرس من مساعده سادفه الذكر في حبل على دلك ، ولا سعة ، وعروج ، نفاط الخطابة الجاهلية حلوها من العريب الذي هو في حاحه لإصطه اللام وكشف النقاب عنه ، فاباظر في حصة مرند الحذر السابعة ترى ان الفاظها يسيطر عليها حر من العرابه لأنها لا ينفق مع المقام ولا نطاق مقتضى الحال لأنها قلب في موقف صلح بين مبارزين ومثل هذا الموقف بحسب في الفاظ حانبة رفيقه تؤثر الالباب ، وتسهل السجدة من قلوبهم لا كما ذكر الخطيب من الفاظ ذات نبرة جافه وقاسية .

وننتج عن وضوح الألفاظ واختيارها وجريها على السجية وضوح الأسلوب وسهولتها وبعدها عن الإعراب إلى حد كبير

(٨٥) أمراء البيان أحمد كرد علي ١ : ١٥ لجنة التأليف والترجمة والنشر .

مما يعكس اهتمام الخطباء الحاهلين بخطبهم والعناية
بأساليبها .

ومد شاع المسحح في هذه الأساليب وكان الخطباء
يهتفون من وراء ذلك لى قد فسر سمعهم ، وحذب اقتباسهم
وملازمة شغاف قلوبهم بما فى السجع من موسيقى رنان
وجرس أخاد بخلب الالباب ونظرب به الاذان .

يقول صاحب الاصناعين مدنا قيمة السجع فى الخطب
مع بعده عن التكلف والاسطر : « واعلم ان الذى يلزمك فى
شيف الرسائل والخطب هو ان تجعلها مردوجة فقط ، ولا
تزمك فيها السجع فان جعلتها مسجوعة كفى احسن ما لم يكن
فى سجعك استكراه وتذثر وتعقيد » (٨٦)

وقد بدا هذا السجع البعيد عن استكلف والإعرب واضح
فى خطبتي هانى ، بن مبيصة ، وفس بن ساعدة ، وقد اصاب
الخطيبين فيه المدح . حيث جاء فى موضعه يخدم عرص
الخطيب ، بقول بعض النقاد « ومن أوصاف لبلاغة انصاف
السجع فى موضعه ، وعقد سماح المقريضة به » (٨٧)

أما سجع الكهن فقد غطيه مسحة من الإنغز والمنعمية
والتكلف المفوت ، ومن ثم كرهه - صلى الله عليه وسلم -
حين قال : « أسجعا كسجع الكهان » (٨٨)

(٨٦) الصناعتين لأبى هلال العسكري : ١١٩ ط ١ مصحف
محمود بك ١٣١٩ .

(٨٧) نقد النثر المنسوب لقدامة ١٠٧ ت د/ طه حسين وآخرين ط ٢
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٨٢٨ م

(٨٨) اعجاز القرآن للباهلانى : ٢١ ط ١ مكتبة البابى الحلبي ١٩٧٨ م

قال الازهرى : « إنه - صلى الله عليه وسلم - كره المسجع
فى الكلام والدعاء ، فشاكلته كلام الكهنة وسجعهم فيما ينكهبون
فأما مواصل الكلام لمطوم الذى لا يشاكل السجع فهو مباح
فى الخطب والرسائل (٨٩)

ومن المحسنات ، لى ساعى فى أساليب خطباء هـذ
العصر الازهرى (٩٠) والوارى (٩١) الموانىء للطبع السليم
منصو الروعه فى الأداء ، والجمال فى الصبغة ، والتأثير فى
نفوس السامعين ، وتجلية الفكره .

ومن الخطب لذه على هذا الشيوخ خطبة عمرو بن معد
كزب الزبىدى أمام كسرى أبو شروان بالمداين ، يـمـر
عمرو :

« إنما ارء بأصغربه قلبه وسماته ، فبلاغ المنطق
المسروب ، وهلاك السجع (٩٢) الارباد ، وعمو ارأى خدر من
استكره الكره ، ويوف الخيرة خدر من عتسف الحيرة ،
ماحد طاعتنا بلفظك ، واكنظم بادربا بحلمك ، وإن لنا
ذنب دسب بك قباينا ، هابا اناس بم دوقس صفاتنا قراع

(٨٩) لسان العرب ج ٢ مادة « سجع » طبع دار المعارف ١٩٤٤ م
(٩٠) هو أن يكون أواخر الجمل على وزن واحد .
(٩١) تساوى الحمل أو الجمالتين فى عدد الكلام .
(٩٢) طيب الكلام .

مناظر ، من أراد لنا مصدا ، ولكن مصدا حمانا من كل من رام
لنا هضما » (٩٣)

ولقد جاء لزوجواج واضح في قوله « وتوقف الحبره
خير من اعتساف الحبره » والموزنه هي دوله : « هجبت
طاعتنا بلفظك ، واكتظمت بادرقت بحلمك » فضلا عما في النص
من سجع وجناس .

وهكذا بحث مقدرة الخطيب الجاهلي على البلاغة والادب ،
واحداث قيم صوتية لها اثرها في النفسوس ، وذلك لان
الجاهليين « غفرا سريهم كما نثر بشعرهم ، فقد ذهبوا
يحاولون تحقيق قيم صوتية وتصويرية محدفة فيه تكمل له
جمال الصياغة وروعه الأداء » (٩٤)

ومن سمات الخطب الجاهليه أبصا إيجازها ومصرها
لان حياة العرب في هذا العصر امتنعت ان تكون خطبهم
قصيرة - هي الغالب - لانهم غطروا على اداء المعنى باوجز
تبارها - وهذا بحكم عطردهم - فضلا عن بساطة حياتهم
وخطرها من التعقيدات والمفردات ، والخطب لا تطول إلا مع
دومرة الثقافية ، والبقية الحضارية ، والفهضة الفكرية ، وهما

(٩٢) العقد افريد لابن عبدربه ج ١ : ٢٨٦ ط ٢ ت / قميحة دار
الكتب العلمية بيروت للبنان .

(اجتبت) اجتذب واستعمل ، لم يوقس : لم يخذش ، اكنظم :
احتمل واسطبر) .

(٩٤) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) د / شمسوقي
صيف : ٢٢٣ ط ١٠ در المعارف ١٩٨٢

وقد تنوع أسلوب الخطابة في هذا العصر بين الحسنة
وإساءة ، وسد ناصح عن التريخه الصافيه ، والفطره النقيه ،
ونغير انفعالات الخطيب ، فإذا ما بحكم فيها وبس ثوب
الحكيم المجرب جاء أسلوبه هادئا متزنا قائما على البروه ،
وإذا انفط منه الزمام وغلبت على هذه الانفعالات الحسنة
والبرور جاء أسلوبه متسما بالثوره والغليان .

وعمل الهدف من هذا المشروع بحريه الأدهان ، ونجدد
نشاط السامعين ، وسن أنصرهم ، وسن سباههم ، وقد علف
الأسلوب الحقيقه على الملعب الخطابه في هذا العصر
وبخاصه في خطب النعزيه كما هي خطبه المليب بن عوف
التي سبق ذكرها ومنها قوله : « أيها الخك إن الدنيا تجسود
لقه لب ، وتعطى لئأخذ ، وتجمع لقتلنت ، ونحبي لشم ، ومزور
الاحزان في القلوب ٠٠٠ »

وهو السعمل الخطب ، فلا سبب إلا ثانيه ما ورد في
طيه عمرو بن معد يكرب الزبيدي بين يدي كسرى وهـ
قوله « فاجتنب طاعتنا بلفظك ، واكتطم بادرنا بحامك ، والن
إذا كنقك سلس لك قياتنا ٠٠٠ »

والمنصف لخطب الجاهلية يرى تنوع الحكمة والتسل
في أساليب الخطباء ولعل ذلك راجع الى أن معظمهم كانوا
حكماء ، وكان العربي في حاجة الى ما يؤيد به فكرته ، ويدمع
به حجته ، ويقنع به مستمعيه ، ويستمل نفوسهم وقلوبهم
فتصد الى « إيراد الحكم ليرثر في مستمعيه بدلا من أن يعلك

مسالك الجدل المنطقي وابرهنة لعنیه « (٩٧) إلى جانب أنها
« تضيف على الكلام زينة فوق ما تؤديه من إسبابه المعنى
وحسن التشبيه » (٩٨)

وقد شاعت الأمثال في البيئه انجاءية لأنها بيئه طرية
حيث تله روح الأمية ، ومنها كانوا على حجة إلى خلاصه
المجرب كي يجعلوا منها نبراسا يسيروا على منها فيهم
يتصل بسنن حيانهم ، وقد أشار ابن عديبه إلى قيمه
الأمثال في الكلام فعال : « ونحن ماثلون بعون الله وتوفيقه
في الأمثال النبی هي وشي الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحسن المعنى ،
والتي حذرنا العرب وقدمتها العجم ، ونطق بها كل زمان ،
في كل زمان ، فهي انقى من الشعر ، وأشرف من الخطابه ،
م سر شيء مسيرها ، ولا عم عمومها حتى قيل أسير من مثل ،
والثمن سر :

ما أنت إلا مثل سائر
يعرفه الجاهل والخابر ، (٩٩)

وقال أبو عبيد : « الأمثال من حكمه العرب في الجاهلية
والإسلام ، وبه كان تعارض كلامها فنبلغ بها ما حاولت من

(٩٧) الخطابة في عصرها الذهبي د/أحمد النص ١٩ دار
المعارف ١٩٦٢ م .
(٩٨) في تاريخ الأدب الجاهلي د/ علي الجندي ٢٦٠ ط ٢ دار
المعارف ١٩٧٥ م .
(٩٩) العقد الجديد ٢ : ٢ ت محمد سعيد العريان ط دار الفكر
بيروت .

حاجاتها هي المظن بكذابة عند رنصريح مبعجم أنها ددك بلاد
حلال إجاز اللفظ ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه ، (١٠٠)

ومن استفاد الجاهليون بأمثالهم في ثئون حياتهم وفي
خطبهم وفي وقائعهم وأحداثهم .

ومن الخطب التي شاع فيها الحكمة والمثل حطبة أكرم في
صيفي - وهو من حكماء العرب وخطبائهم - التي ألقاها
امام كسرى مدوها بما للعرب من عزة ومجد وسؤدد ، وفيها
يقول

« إن من الأساء أعنيها وأعلى الرجال ملوكهم ، وأفضل
الملك أمهم نعماً ، وحسن لأزمه أخصبها ، وأفضل الخطباء
الصدق وإنجاة ، والكذب مهواة ، والبشر تنجاة .
واسحرهم ركب صعب ، راسعجز مركب وضى ، أفنة لرأى الهوى
وأعجز من ناي العقر ... من البلاد بلاد لا أمير بها ، بشر اسرف
من حكمة البرى ، ... خبر الأعوان من لم يراء بانصبحة ...
يكفيك من الراد ما بلغك المحل ، الصمت حكم ومحل فاشاء ،
البلاغة الإيجاز » (١٠١)

وبالنظر في هذه الحطبة يمكن القول بأنهما جاءا في
صوره الحكمه ، وبررت في ثوب المثل ، كل جملة منها يمكنها
لأنه بقلال عن الأخرى دون تأثر الفكرة أو المعنى وإن كاسف

(١٠٠) المزهرة السيوطي ١ : ٤٨٦ ت محمد أحمد جاد المولى وآخرين
ط عيسى البابي الحلبي وشركاه .
(١٠١) جمهرة خطب العرب ١ : ٥٦ ط ٢ طبع مصطفى البابي
الحلبي ١٩٦٢

مطلوب كنها تحت الإطار العام للنص وهو النصيح والتوجيه «
والإرشاد ، وهو الرابط العام الذي يربطها حيث « لم تكن -
أي الخطابة - قد فضجت في ذلك العصر من حيث ترتيب
أفكارها وتسلسلها ، وارتباط بعضها ببعض » (١٠٢)

ومن عدم سرائط الأفكار وتسلسلها مرده إلى عدم وحدة
التركيب أو وحدة الفكرة الأساسية في الخطبة الجاهلية ،
أو إلى « كثرة الأفعال التي تتبع أي خطبة والتي لا يمكن
الربط بينها » (١٠٣)

وقد تبنى الخطبة كنها حكم رائد لا كخطبة هادئة بل
قبحه (١٠٤) وقد بر الحكمة والمثل في منط الجاهليين
معبود في قلوبهم ، ومن الخطب دوش من ذلك أي الإصاح
والدعوة إلى الروح والشهرة .

وقد مداع الاستنهاد بالشعر في حلق الجاهليين منهم
كثيرا يجمعون بين موهبة الخطبة والشعر للأصاح والشعر
وترسيخ الفكرة التي بهدف اليها الخطيب ، لأن الشعر
« يهتفي على الكلام جملة وروعة » (١٠٥)

وقد بدا سدا في خطبه مرثد الخبر التي مدعو فيها قومه ،

(١٠٢) الخطابة في عصرها الذهبي : ١٨

(١٠٣) أنظر شعر الجاهلي د/محمد خفجي : ١٦٨ دار كتاب

البيئات بيروت ١٩٧٣

(١٠٤) أنظر الشعر لجاهلي : ١٦٧

(١٠٥) في تاريخ الأدب الجاهلي د/علي الجندي ٢٧٣ ط ٢ دار

المعارف ١٩٧٥ م

للصلح ، وفي ختامها يقول شعرا يؤكد فكرته ، يقول مرتد :

« ونيدو الى السبيل لأرشد ، والمنهج الأفصد ، فإن
الحرب تبيل بزبرج الغرور ، وتدبر بالويل والثبور ثم انشد
شعرا فقال :

« لا هل نى الامرام بدلى نصيحه

حسوت بها مى سنبعا وميثما

وفلب اعلموا ان القدار عاورت

عواقبه لذل واسقل جرهما

فلا نقبح رتب العرق وفسس

مى العره اسمعساء فن تنهدما

ولا سحبا حربا فاجر عنكم

مراعبه يوما من البشر أشاما

فإن جناة الحرب للحدان عرصة

تفوقهم منها الزعاف المفشما ، (١٠٦)

والناظر في حطب الجاهليين يرى عدم اهتمام الخطباء

بالمهمات والخواديم ذلك لا يعتبرهم ترتبب او نفسيى وإما

يسبروا فى خطبتهم طبع لا نصيه عليه قطريهم (١٠٧) .

(١٠٦) الامالى للقالى ١ : ٩٢ دار الآفاق الجديدة بيروت

تفوقهم . تسقيهم ، الفواق : (ما بين الحلبتين) الزعاف ، لعدم ...
المقسم : المخلوط .

(١٠٧) راجع اثر الاسلام فى الخطابة العربية ١ د/ابراهيم

حوشين : ٥١

ولا دسرونا ان نسين ان الأفكار الجاهلية كانت تقترن بـ
العمق والبساطة ، ولعل هذا مرده الى البنية الجاهلية نفسها
التي تقوم على البساطة والبعد عن الفلسفات والنعيميات
« ولصالة نصيب الجاهل بن من الثقافة الفكرية ، (١٠٨)

ومع هذا كان الخطيب الجاهلي يعمل على تعميق فكره
دكل وهدية ممكنة عن طريق التمثيل بالسعر ناره كما سيق
في خطبة مرثد الخير ، أو عن طريق تكرير الفكرة كما في خطبه
هانيء بن قبيصة الذي يقول فيها « يا معشر بكر هاتك معدور
حدر من ناح فرور ، إن الحذر لا ينجي من القدر ، وإن الصبر
دن أسباب الظفر »

ولقد حرص الخطيب في هذه الخطبة على تكرير فكره
وعرضه فيها وهو الدعوة الى الشجاعة وخوض الحروب
والمعارك .

وإذا كان الخطيب الجاهلي لا يهتم بوضع مسودات
وخواتيم تنتهي عندها الخطبة ، ولا يترتيب أفكاره وينسجها
فإنه مع هذا كان دني بالمرح لجلال كما قل بن الانبر .

« فإن البدوي البادي راعي الإبل ما كان يمر ببنى من
دنت مفهمه ، ولا يحطر ببيانه ومع هذا فإني يأني بالمرح
الجلال إن تنال شعرا أو تكلم دنرا » (١٠٩)

وعلى الجملة فإن أفكار الخطابة الجاهلية كانت تمتاز

(١٠٨) الخطبة في عصرها الذهبي : ١٨

(١٠٩) امثل السائر هـ ٢ : ٣ ط ٢ دار نهضة مصر للطبع والنشر

« قزسها ووضوحها وبعدها في التفتيش إذ كان خطباؤهم يستمدونها من بيئتهم الفطرية ، ومن شئون حياتهم الخالية من التعقيدات » (١١٠) وخطبهم خبز شهد على هذا .

وقد أن ننهي حديثنا عن خصائص الخطبة الجاهلية فنحنغى أن نشير إلى استخدام العرب الجاهلين لمجرد هي خطبهم لأنهم أدركوه بمطربهم وذنوهم بحسبهم ، واحسب منه من أثر واضح في لصوره التعديريه ، وصبه من نور دحل في الإمتاع والسثير والاستماله ، ومن ثم بدت العصور والاخيل في خطبهم ، ولا عجب « فإن المجاز في كثير من الكلام يُبلغ من الحفافة وأحسن موثعاها هي السارب والاسماع » (١١١)

والخطبة الجاهلية جمعت بين الحفافة ومجاز اجده المخلصة ولا شك ان ذلك اكسب المعاني ذبلا وفصلا ، وفخمها في نفوس السامعين (١١٢)

وقد ساءدهم على هذا الجمع مواهبهم أسطابيدية السهنة « في مكائهم البيانية ، وما فطروا عليه من خسلابه ولسن ، وبيان وفصاحة وحضور بدبهة » (١١٣)

(١١٠) الأدب في عصر النبوة والراشدين د/صلاح الهادي : ١٦٥ ط ٢ سنة ١٩٨٠ م .

(١١١) العمدة لاس رشيق ١ . ٢١٦ ب محمد محيي الدين ط ٤ د الجيسل بيروت ١٩٧٢ م

(١١٢) طالع دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني : ٥٧ مطبعة السعادة .

(١١٣) تاريخ ادب العربي (العصر الجاهلي) د/شوقي ضيف : ٤١٠ ط ١٠ دار المعارف ١٩٨٢

وحرض الخطباء على « أن يحذروا السامعين لا ليفهموهم
بحسب دلل ، يذكروا فيهم هذه دليبه . ومتى وحدث هذه العكس
فقد وجد المحمال الفني » (١١٤)

رمد غلبت الأساليب الحفيفية على الخطبة الجاهلية
لاهتمامها بالمعنى الذهني وبفريق الحقائق عن طريق التفسير
والشرح ، وكان المجاز وسيلة من وسائل الزيادة في الإيضاح
والدلالة ، ومن ذلك ما ذكره ابن خلدون في كتابه
وبخاصة خطب الوعظ التي تقوم على الدامل والروية
اعتمد الخطباء على احسن الأساليب وسوق الأدلة الوفيرة ،
وإيفاءات الجمل في التفسير والإفصاح كما في خطبة فوس من
بعضهم .

وكانت الاستعارة والتشبيه والكنساية أكثر ألوان
التصوير مسوع في خطب الجاهليين وكلها توضح الفكرة
وزيد من التشبيه في السمع ، كما ان الكنسية ابليغ من
الإفصاح (١١٥)

ومن النماذج الدله على هذا خطبة حاجب بن ررار : انفس
يقول فيها :

« إن العرب أمة مد غلظت أكبدها ، واستحصت مرها
ومنعب درنها ... وهي لك مسترسلة ما لايفتها سامحه ما

(١١٤) من حديث الشعر و. بنثر د/ طه حسين محلد ٥ : ٥٧٩ بيروت

(١١٥) انظر دلائل الاعجاز : ٥١

سامحتها ، وهي العلقم مرارة ، والصاب غصاضة ، والعسل
حلاوة . . . (١١٦)

وهنا استخدم الخطيب الكناية كما في قوله .
« واستحصت مرثها » وهي كناية عن القوة والمنعة ،
والتشبيه كما في قوله : « هي العلقم مراره والعسل حلاوة »
ولا شك أن الكناية هنا أبلغ من التصريح ، كما كان للتشبيه
أثره البين في توضيح الفكرة للتأثير في النفوس .

وقد يؤثر الخطيب المجاز ويمضيه على غيره بفصـ
الافتناع واستدّر والامتنع المعنى لإدراكه « أن المجاز بكسب
الكلام وضوح وسموا وجادبية لا يكسبها إياه شيء
آخر ، (١١٧)

وقد بدا هذا في خطة مرثد الخير ومنها قوله :

« إن الحبط وامنطاء الهجاج واستحقاب اللجـ
سبقمكما على شفا هوه في توردها بوار الأصيله ، وانقطاع
الوسيلة ، متلاميا أمركما قبل انتكاث لعهد ، وانحلال العهد ،
وتسائن السهمة وأنثما في مسحة رافهه ، وفدم واطدة . . .

واصح من النص أن مرثد اثر المجاز والتصوير على
الحقيقه في التعبير عن فكره ومعانيه كي يوضحها ويؤكد

(١١٦) جمهرة خطب العرب ٢٢/١ البابى الحلبى ١٩٢٢ م
استحصت : استحكمت - المرة : طاقة الحبل - اسرة : اللجن ،
الصاب : شجر - غصاضة : احتمال المكروه .
(١١٧) النقد الادبى لحديث د/ غيمى هالل دار نهضة مصر
للطابع والنشر ١٩٧٢ م

كما في التعبير بـ « التحبُّط ، امتطاء الهجاج ، استنقَاب
 اسحاج ، وكلها تعبيرات حيالية قصد بها الخطيب بمبى
 فكره ، واستنمائه نفوس سامعيه وإفئاعهم • ومد حذرهم من
 حوض الحرب ، وبين لهم معية ذلك ، وجسد لهم الخطر
 الداجم منها حيث جعلهم كالواقمين على شفا حمرة بعبد
 بقوله : « سيمعكما على شفا هوة » وفي التعبير بقوله : « شى
 بوردها نور لاصه » قصد الخطيب ان مجرد التفكير في
 حوض الحرب كميل بقطع أو صر المحبة والآفة بين الحيين
 المتنازعين ، وإذا كان هذا الخطر داجم عن التفكير في حوض
 اعمارك مما يالنا بحوصها واستنعار لهيبها ، لا شك أن الأمر
 سيكون أدهى وأمر من ذلك •

ولولا استعانة الخطيب في أسلوبه بالتعبير الاستعارى
 والكنائى لما أمكنه أن يؤثر في نفوس سامعيه • ويوصل فكرته
 اليهم ويفئعهم بها •

ومد يحنم مع المحار مع البديع في عبارة واحدة كما في
 خطبه هانىء بن قبيصة من هذا قوله : « اطعن في ثغر
 الفحور اكرم منه في الأعجاز والظهور »

وهنا جاء الكتابية معبرة عن الإقدام والشجاعة في
 حوض الحرب ومصاحبة للبديع الممثل في الموازنة والمتابطة
 والجناس فهي آخر الجمليتين •

و نرى ادهاء ما ن الخطيب الجاهلى « كان يتمثل المعنى
 الكريم والمساغة السلسة واللفظ المختار الذى يؤثر في
 السامع ويغوص الى أعماق النفس مستخدما السجع حينما

وا-زوجه حينئذ اخر ، منسربلا بالحكمة عامدا الى صرب
الاهثال « (١١٨)

وبعد هذا العرض للشباب الشجاعة يريد أن يلقى الصوب
على الخطبة الإسلامية .

بواعثها :

كان الموروث من الخطابة الجاهلية ضيق لأفق محدود
للعالم والمظاهر ، ولما جاء الإسلام « نهيا للخطابة في طائفة من
قضاة الشأن ، وارتفاع الذكر ، وعلو المكانة ما لم ينهيا لها
من قبل ، كانت أداة الدعوة واللسان الخاطب بمحاسنها .
تشرح للناس أسرارها ، وتبين مرابها ، وتوضح خفاياها .
وتحارب الناس هيها ، وتقنعهم على الهدى والحق والرشيد
وابصلاح ، وتجادل خصومها ، وتقنع آراء المخالفين
أيها » (١١٩)

فضلا عن كراهة الإسلام للشعر الذي يقوم على الشخصية
الجاهلية والشائعات والمناكرات بالاحساب والتمسك .

ولقد بدأ رسول الله دعونه بالخطابه ، وعتمد عليهم
منهم من قام بامر ربه بدعو عشيرته الأقربين الى عبادة الله
الخالق . قال تعالى : « وانذر عشيرتك الأقربين »

(١١٨) مذاب في موكب الحضارة الإسلامية د/الشكعة : ٥٢ كتاب
الشرط ٢ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٠٧٤ م
(١١٩) الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية الصدر الإسلام : ٥٥ ط ١
دار الزهراء للطباعة .

وكان - صلوات الله وسلامه عليه - يذهب إلى أحياء العرب يعرض عليهم الدعوة إلى الدين الجديد ، كما كان يلقي الناس من المحفل والمجامع العامة كالْحج - مثلا - ويقول لهم قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَفَلَحُوا .

وبعد ذلك نجده إلى المدينة يدعو الناس إلى الله على بصيرة ، مبينا لهم محاسن ومخامد هذا الدين عن طريق أمثلة أعزبه ، ونسائه السمع ، كما كان يخطب في مسجده العرب التي نجى له ناراها لهم بواعد الدين الجديد ، ومفصلا لهم شريعة ، ومبينا لهم آدابه وأحكامه قال تعالى .
وَأْمُرْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لَقِينَا لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ فِيهِمْ ۝ (١٢٠)

و « لم ينزل - صلى الله عليه وسلم - من السماء أو فوحه يجمع فيها الناس إلا انتهرها لبيسان أمر من أمور الإسلام » (★)

ولا يخفى أن الإسلام أطلق ألفاظ الخطباء من شأنها حيث صار ذلك اللون الأدبي أرحب ميدانا ، وأوسع مجالا مما كان عليه في الجاهلية ، واخذت الخطبة تقوى شأنها في الجاهلية ، ونشأ مبادئ الإسلام وضعها

وبهذا يمكن القول بأن ظهور الإسلام كان إيذانا بتطور ذلك اللون الأدبي الذي كان يعتمد فيه رسول الله - صلى

(١٢٠) سورة الشعراء الآية ٤٤

★ قال في المصنف ابن السكيت - / إلهيم عوصين ص ٨٩

الله عليه وسلم - هي دعوته الى ربه على الحكمة والوعظة
الحسنة ، قال تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة ... »

وإذا كان للخطابة دورها الفعال في الإسلام حيث إنها
ادعت دعوته ونشرت مبادئه وتعاليمه لأنها « اقدر على شرح
الحقائق ومناقشة المسائل ، فهي طريق الإنفاع بالحجج
العصرية ، والنراهين المنطقية ، ولتؤثرات الوجدانية » (١٢١)

فإن للإسلام سره على الخطابة لأنه نهض بها وأعلن
مبادئها وثبت دعائهم ، وشيخ عبها من روحه ، وكسبها
من حلال دعوته وكثرت براءتها ، واعدت موضوعاتها ،
وباثرت بالقرآن الكريم وتبين مبداه العظيمة .

وهكذا كانت الدعوة الى الاسلام وتفسير النشاس
بتعاليمه باعًا غويًا من بواعث الخطابة أيضا ، ومن النماذج
الدالة على هذا خطبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
في بداية دعوته ونشر رسالته ، وفيها يقول داعيا الفرشدين
« أي الذرحد والإيمان ومحذرا لهم من الشرك والطغيان
بعد أن حمد الله وأثنى عليه » ، إن الرائد لا يكذب أهله ،
والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس
جميعا ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو ادى لرسول
الله إليكم خاصه ، وإلى الناس كافة ، والله يتموتن كما
تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ،

(١٢١) الخطابة في صدر لاسلام د/محمد طاهر درويش ١١٢/١
دار المعارف ١٩٦٥ م .

ولتحزون بالإحسان إحساننا ، وبالسوء سوءنا ، وإنها لجنت
أبدا أو لنار أبدا ، (١٢٢)

وعكس خبر - صلوات الله عليه - عن أفكار هذه الخطبة
ومعانيها بأسلوب موجز طليح ، بدا فيه ترابط هذه الأفكار
وتماسكها في نسق يندفع به إلى الإقناع .

يمول الدكتور الشكعة مدوها بفيمة هذه الخطبة .

« إنها نمط جديد من القول بلاغة ومصاحبة ، وإيماننا
وبساطة ، وصدق وعمما لم يألفه العرب من قبل ، وبفصيل
وصح بسيط ، نامد بحقائق مد عقل الناس عن وجودها وهي
ماثله أمامهم كل يوم . ، والله لنموتن كما نسامون ولنبعثن
كما نسنينظون » مع مقدمه بليغه لا يحصى ، المرء صدقها
وحسنها - إن أرائد لا يكذب الله ، والله لو كذبت الناس
جميعا ما كذبتكم » (١٢٣)

ومن المادج أبصا خطبته - صلى الله عليه وسلم -
التي بصر فيها الناس بأمور الآخرة من موت وثواب وعقاب
وحنة ونار بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

« أنها الناس إن لكم معالم ما سبها إلى معالمكم . وإن
لكم بهاد ما سبها إلى نهائتكم فإن العبد بين محافنبن أجل
مد مصى لا يدري ما الله فاعل فيه ، وأجل فد بصى لا يدري

(١٢٢) موهرة خطب العرب ١ : ٥

(١٢٣) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية : ٦٥

ما الله ماض فيه ، فبدأت العند من نفسه لنفسه ، ومن خشيته
لاخرته ، ومن استحيته قبل الكبر ، ومن لحبه بين اهل
هو اذى نفس محمد بيده ما بعد موت من مستغيب ، ولا بعد
الذي من در إلا الجنة و النار (١٢٤)

ولقد كان مجيء الوعود الى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - باعثا قويا من بواعث احضارته في هذا العصر ،
من هذه الوعود وقد بنى صمم الذي اعن لرسول الله ما جاء
إلا للنبأرى بالكلمه .

ولقد روت كتب السيرة أنهم دخلوا المسجد وذاقوا رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - من وراء الحجابات التي اخرج
إليها يا محمد « فاذا كنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
من صياحهم فخرج إليهم فدعوا محمد بنك معحرك
فمن سمعونا وخدمنا ، فممن ، فممن الخطيبكم
فليقبل » (١٢٥)

ولا يخفى ان تقديم الرسول للخطيب في الشعاع دلالة
على سمو مكانة الخطيب والخطباء في هذا العصر .

يقول عطار بن حاجب بن زراره خطيب وفد بني سليم
والذي تولى الخطبة أمام رسول الله :

« الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعل

(١٢٤) اعجاز القرآن للباقلائي : ٤١ ط ١ مكتبة العبيد
للحلي ١٩٧٨ م .

(١٢٥) السيرة النبوية لابن هشام ٤ : ١٥٢ تعليق طه عبد الرؤوف

ملوكا ، ووهب لنا أموالا عظيمة بفعل فيها المعروف ، وجعلنا
أمر أهل الغنم وأكثره عددا وأيسره عدة ، فمن مثلنا في
الناس « أسئنا برؤوسهم وأولى فضلهم ؟ فمن يفاخرنا فليعدد
مثل ما عددنا ، وإن لو شيء لاكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من
الإكثار بما أعطانا وإيانا يعرف بدنت ، أقول هذا لأننا شربنا
ممثل قولنا ، وأمر أمصل من أمرنا ثم جلس (١٢٦)

قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لثابت بن قيس
ثم فأجيب الرجل في خطبته فقام ثابت خطيبا فقال :

« الحمد لله الذي السموات والأرض من خلقه ، صلى مبعثه
نوره ، وسبع كرسيه علمه ، وأمر من شيء قط إلا من فضله ، ثم
دنا من عزبه بن حعلدا ملوك ، وأصطفى من خير خلفه
رسولا ، أكرمهم نسبا ، وأصدقهم حديثا ، وأفضلهم حسبا
فدنا من كنهه كنهنا على حقه ، فكان خبرة الله من
العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان فأمن برسول الله
الهاجرون من عوه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسبا وأحسنهم
وجوها ، وخبر الناس فعلا ، ثم كان أول الخن أسفجابه
له حين دعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحن .
دعنا رسول الله ووراء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
دعنا الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله
دعنا ما ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا ، وكان
فعله علينا بسيرا ، أمول فولى هذا وأسبغ الله للمؤمنين
والأؤمات وإسلام عليكم » (١٢٧)

اغراضها وموضوعاتها :

مع إشراقه شمس الإسلام وبزوغ فجره الساطع
وصلت الخطابة إلى منزلة سامية من الرقي والازدهار ،
وبدأت اغراضها وموضوعاتها ، واتسعت مجالها ، وغامت
مع هذا بتورها خير يسام ، وكانت بواكب العصر وكل
المستجدات فيه ، من هذه الأغراض وفي المقدمة منها .

- دعوته الناس إلى الإيمان بالله ورسوله وملائكته
وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره بدلا من
المعذرات والمناكرات التي كانت تهدف إليها الخطبة
الجاهلية .

- الحث على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، وإثارة
العفيدة والإيمان في النفوس حتى نقبل على الحرب معریمه
صادقة وهمة منامية ، بدلا من الحطب التي كانت تدعوا في
الجاهلية إلى الملب والذهب والأخذ بالثأر والتحريض على
الغارة ، (١٢٨)

- شرح آداب الدين وفضائله ، وتبيان أسرارهم ومزاياه ،
ولفت أنظار الناس وشدد انتباههم إلى ما يكفل لهم السعادة
في الدنيا والآخرة .

- البعد عما يحش في النفوس من الدمار عن رأي .

(١٢٨) الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام د/عبد الحميد
المسلوت : ٢٦٥ مطبعة السعادة ١٩٦٧ م

أو شرح لنهج ، أو تمسك بمبدأ مما استلزمه الخـلافه
الجديدة (١٢٩)

ومن الخطب الإسلامية الدالة على الحث على الجهاد
والاستشهاد في سبيل الله ، وإثارة الإيمان والعزيمة في
الدهوس كى يقبل عليه بنفس راضية خطبة أبى بكر الصديق
- رضى الله عنه - الذى يحفد فيها هم الناس الى التوسع
فى فتح البلدان وفتح بلاد الشام خاصة ، بقول الصديق
بعد أن حمد الله وأثنى عليه وهلى على رسوله :

« ألا إن لكل أمر جوامع فمن بلغها فهى حسبه ، ومن عمل
لله كفاء الله ، عليكم بالجد والمقصد فإن المقصد أبلغ ، ألا إنه
لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسبه له ، ولا عمل
لمن لا نية له ، ألا وإن فى كتاب الله من الثواب على الجهاد فى
سبيل الله كما يبغي للمسلم أن يحب أن يخص به هى
التجارة التى دل الله عليها ، ونجى بها من الخزي ، والحق
بها الكرامة فى النبا والآخرة » (١٣٠)

ومن الخطب الدالة على شرح آداب الدين وتعليم أحكامه
وببيان فصائله خطبه - صلى الله عليه وسلم - التى يعلم
فيها الناس كيفية الصلاة ويوضحها لهم .

فقد روى أبو موسى الأشعري - رضى الله عنه - أن رسول

(١٢٩) انظر الحياة لأسيرة فى عصرى الجاهلية وصدر الاسلام : ٥٨

(١٣٠) حمزة خطب العرب ١ : ١٨٩ ط ٢ مصطفى البساطى

الطوى وأولاده ١٩٦٢ م .

الله - صلى الله عليه وسلم - خطبا فعلمنا ، وبين لنا
 منها وملت حلالنا فعل ، إذا صليت فاستمعوا صفوكم ،
 ثم لبؤمكم احكم ، فإذا كسر فكروا ، وإذا مرا (غير المغضوب
 عليهم ولا الصالحين) فمروا (ممن) بحسن الله ، وإذا كبر
 وركع فكروا واركعوا فإن الإمام يركع بكم ، ويرفع
 بكم ، (١٣١)

وإن دوح أبو بكر الصديق بالحلامه خطب في الناس
 مديا هم صديقه وصهجه أندي سنسبر حنه على حلالته ينزل
 أبو بكر - رضي الله عنه - بعد أن حمد الله وأشهد عليه .

وأيها الناس إني قد ونيت عليكم ولست بخبركم فإن
 رددوني على حتى فاعلموني ، وإن رددوني على باطلين
 فددوني ، اطعموني ما أطب الله منكم ، فإذا عصيه فلا
 دابة لي . بكم إلا إن اموادم حتى الضعيف حتى أخذ الحق
 له ، وبعديكم حتى القوي ، حتى أخذ الحق منه ، أقول
 هولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، (١٣٢)

من السمات الفنية فيها :

بعد عن الإسلام حياه الأمة العربية من ناحية معتاديه
 ونظمها واداتها وتقاليدها ، وقامت هذه الحياه على أساس

(١٣١) مسنن أبي داود ج ١ : ٢٢٣ ط ١
 (١٣٢) العقد الفريد - ج ١ - ٥٩ ت أحمد أمين ورمليه ط ٢ مطبعة
 لجنة التأليف والترجمة ١٩٦٢ م .

الإيمان بالله والمسير على منهجه ، وقد أحدث هذا دويًا هائلًا
في الخطأ ، فازدحمت وسعير كثير من ملامحها ومعالمها .

وهم يقتصر نهشير الإسلام على حد الأطار أخرجني لئله
العربية دل « تجاوزة الى الميدان الفكرى الخالص » (١٣٣)

وهن هنا « اهتم المسلمون بتعديل منهج الخطبة بما
يتلاءم مع وتلبفتها الخطيرة التى وظفوها فيها » (١٣٤)

وقت انتفل هذا اللون الأدبى من العصر الجاهلى الى
العصر الإسلامى ليزداد نشاطًا حتى ستحد الى لون آخر
من السكال والمضمون ، نظرا لاستجابة الخطابة لدعوة
الإسلام ، وقاقرها بسنوب القرآن ، وبجوامع كنهه - صلى
الله عليه وسلم - الذى آساء الله الحكمة ومصل الخطاب (١٣٥)

وإذا كنت الخطبة فى الجاهلية قد بلغت شأوا من الرمى
لا نهي لم نصل الى مستوى الخطابة فى صدر الإسلام
الذى سعت فترا كبيرا من الرقى والازدهار عندما شرفت الدنيا
بمعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشرفت شمس
الإسلام ، فقد ذك وصالت الخطابة الى درجة عالية من النصور
والخصيج الفنى .

(١٣٣) تصور طائفة من واقع المجتمع العربى د/حسن عون : ١٢٩
سار المعارف ١٩٦٧ م

(١٣٤) الأدب العربى بين البداىة و يحضر د/ابراهيم عوضين : ٢٧٦

(١٣٥) طالع الأدب الإسلامى فى عصره الأول د/صلاح عبد تنواب

ص ٣٣ م ١ سار الطباعة المحمدية ١٩٨١ .

ولا عجب ، فقد واجتمع للخطابه العربيه مجيء الاسلام
كل أسباب النمو والخرق ، (★) .

وهكانت الدعوة الاسلاميه بفرآنها وبما صاحبها من تشجيع
بالدين ، وحث على الجهاد ، والخروج للفتوح وما لحقها من
تنازع على الخلافه ، وازداد بعض القبائل — عاملا مؤثرا
في ازدهار الخطابه في هذا العهد ، بصف الى ذلك نوع النظام
الذي ساد اخوة المسلمين من مرحبها ، لاوتى ، وما كان
بطعه من ديموقراطية وسورى تتفتح للمسلمين ان يتأقشرو
وبعارضوا وبعمروا عن رايهم هي كثر من الصراحة
والاطمئنان ، (★) .

ومن مظاهر هذا النمو والازدهار احديار أنفاسها
وسهولتها ، ومما سببها تقنضبات لأحوال ، ونجويد أساليبها
التي تأثرت بالقرآن الكريم ، واتساع معانيها وجنتها ،
وعص أفكارها وترايطها وبسلسلها ووضوحها وسهول
هدفها .

كما ، كان لرعايه أحوال المحاطبين اعتبار كبير ، وقد
راعوا حال المتكلم نفسه ، وظروف البيئه الرمانيه والمكايه
وغيرها من الملامسات فيما ينشئه الخطيب من قول ، (١٣٥)

(★) الأدب العربى بين البادية والحضر : ٢٨٢ ط ١ مطبعة
السبعه ١٩٨١ .

(★) من أدب الدعوة لاسلاميه لعباس الجرارى : ١١٧ ط ٢
دار الثقافه - الدار البيضاء .

(١٣٥) الخطابه في صدر لاسلام د/محمد طاهر درويش : ١/١٦٢

ولقد جاءت معايير البلاغة ومقاييسها مطابقة لما كانت عليه الخطابة الإسلامية من ملاءمة الألفاظ للمعاني ومطابقتها لأحوال السامعين ، وهذا ما أشار إليه لجامح بنفوله

« ينبغي للمتكلم أن يعرف أمداد المعاني ويوازن بينها وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما » (١٣٦)

مقاسي الألفاظ سهله رفيقه تطلب الألباب ، وتسبب ثغيب النفوس كما هي خطبة الصديق في مجتمع السقيفة وقد حرص فيها على جمع الشمل . منها « نحن المهاجرون وأنتم الأمصار ، إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفناء ، وأنصروا على العدل ، آويناكم جزاكم الله حيرا ، نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تدن العرب إلا لهذا الحي من قريش » (١٣٧) .

ودعى نائفة كما في خطبة الإمام على - كرم الله وجهه - يستنفر بها أتباعه لقتال أهل الشام ومنها قوله :

« أف لكم قد سمعت عابكم ، أوصيكم بالحياة الدنيا من الآخرة » (١٣٨)

« ومنى شاكل - أيفك الله - ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن محواه ، وكان لتلك الحال ومما ، ولذلك القدر لفظا ، وخرج

(١٣٦) العبار والتبيين ت هارون ١/١٢٨

(١٣٧) العقد الفريد ج ٤ - ٥٨ ، ٥٩

(١٣٨) نهج البلاغة ١/١٢٦ ش الشيخ محمد عبيد دار الإسلام

بيروت ١٩٨٥ م .

من سماجة الاسنكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قمينا
بهسن الموقع ، وبانفخ السمع ، واحذر أن يمتنع جانبك
من تناول الطاعنين ، (١٣٩)

ولا تختلف ألفاظ الخطابة الجاهلية عن الخطبة
لأسلامة كثيرا من حيث اختصارها ووضوحها اللهم إلا ما
اكتسبه الامام معنى جديد كالصلاه والركاة والحج ، وبعد
بلغت الخطبة درجة عالية تفى يد الامام على - خرم -
وحده - الذي كان « يميل كثيرا الى التحبير والساق في
صوغ العبارة وتزيينها » (١٤٠)

وفد بدا هذا في خطبته التي يحث فيها قومه على الجهاد
فيقول بعد ان حمد الله واسبغ عليه ، وصلى على النبي - صلى
الله عليه وسلم -

« اما بعد فإن الجهاد باب من ابواب الجنة فمن دركه
ربعة عنه انبىءه الله ثوب الذل وشمله البلاء ، وانزله الصغار ،
وسيم الخسف ، وصح النصف ، ألا وإني قد دعوتكم إلى
مقاتل هؤلاء الدوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا ، وقتلتكم اغزوهم
قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا ،
فتواكلتم وتخاذلتم ، وثمل عليكم قولي ، وانحذروهم وراكم

(١٣٩) البيان والتحسين ٧/٢ ، ٨ هارون .

(١٤٠) الادب في عصر النبوة والراشدين د/صلاح الهادي : ١٩٢

ط ٢ سنة ١٩٨٠ م .

ظهرياً حتى شنت عليكم الغارات ... يغار عليكم ولا تغفرون
وعززون ولا تغزون ، ويعصى الله وتقرصون ... » (١٤١)

وهذه الخطبة تنطق بجمال الصياغة وحسن الأداء حتى
كتبت « بتلك الحجة البليغة التي تشرق فيها المفاهيم
إلهاماً » (١٤٢)

وقد نذكر فيها الخطيب عدة مسالك للإقناع والتأثير
متارة بدوق الحجة القوية كقوله : ألا وإنني قد دعوتكم
إلى قتال هؤلاء الفوم ... حتى شنت عليكم الغارات .

وتارة من طريق التماثل كقوله : « ليلاً ونهاراً وسراً
وعلاناً »

وأخرى عن طريق التصوير كقوله وهو يتحدث عن
الجهاد .

« فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل »

وهذا التصوير يوضح الأثر السيء الناجم عن التخاذل
من أجل الله ، في سبيل الله وهو الالتفاف بثوب الذل .

ولا يعني وضوح الفاظ الخطابة في العصرين خلوها من

(١٤١) البيان والتبيين ج ٢ ، ٢٥ ، ٢٦ دار الكتب العلمية

بيروت لبنان

(١٤٢) فن الخطابة وتطوره عند العرب لايليا حاوي : ١٣٤ دار

الثقافة بيروت .

الغرب فقد وجد فيها الغريب لكنه كما مال أحد النقاد
المحدثين :

« إنه غريب بالنسبة لنا اليوم ولكنه لم يكن غريباً
بالنسبة إليهم » ، (١٤٣)

وكما اهتم الخطباء بألفاظهم اهتموا أباساليبهم
وتعبيراتهم مجودوها ومقدروها حتى جاءت واضحة جليسة
بعيدة عن التقيد لأن الخطيب آذاك كان « في حمص أفاظه
ومعانيه جارياً على سجيته غير مستكره لطبيعتة ، ولا متكلف
ما ليس في وسعه » ، (١٤٤)

ومن الصعب الدلالة على هذا خطه الصديق سابعه
الذكر والتي قالها لما توبع بالحلاعة ورسم فيها منهجه وطريقته
في الحكم .

ولعل أهم ما يميز أسلوب الخطبة في صدر الاسلام
وما بعده الدائر بالقران الكريم والبيان الديبوى الشريف
لإياديه ثوبا من الروعة والجمال والجلال ، وحسن الصيغة
وروعة الأداء ، وعند ادرك الخطباء والنقاد ان « أسلوب القران
نمط فريد من لبلاغة والروعة وسمو الروح وجلالها ، ومن
إسراق البيان ، وجمال الديباجة ، وعبريه النصيب
والتعبير » ، (١٤٥)

(١٤٢) أسس النقد الأدبي عبد العرب د/أحمد بدوي : ٦٤٧ ط ٢
مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠ م

(١٤٤) نقد النثر : ١٠٥ ت د/طه حسين والعيادي ط ٣ ط لجنة
التأليف والنشر ١٩٢٨ م

(١٠) أدلة الأدبية في عصرى الحاهلية وصدر الاسلام : ٢٥١

بل ، اكتسب الشعراء والخطباء والكتاب من أمثالهم
استقرآن وطرائفه في السمر ، وصاحبه في سوق الآراء وصناعة
الدجاج ما جعلهم يحتنون حذوه ، ويتبعون نهجه ، (١٤٦)

ولا يحفى أن الإسلام أخذ يبد الخطابه حتى اربعت شكك
ومصمونا متاثرات بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف ، ومد
ظهر هذا ، في عذوبه ألفاظها ، ومثابة أسلوبها ، ومسمومة
تأثيرها ، واقتباسها من القرآن ، (١٤٧)

يقول اسجاط منوها بقيمة المسموظ الحسن واثره في
النفوس ، فإن المعنى إذا اكسى لفظا حسنا ، وأعاره البليغ
مذرجا سهلا ومحددا اسلم له مسعا ، صدر في قلبك احدى
والصوتك املا ، (١٤٨)

ومن الخطب الداله على التاثر باستقرآن خطبه الصديق -
رضى الله عنه - والى يقول فيها : (إن الله بعث محمدا
رسولا إلى خلفه ، وشهدا على أمه ، ليعبدوا الله ويوحده ،
وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويرعمون أنها لهم عنده
شامة ، ولهم نافعة ، وإما هي حجر منحسوب ، وخشب
منجور ، ثم مرا ، ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا

(١٤٦) المسمى : ٢٥٦

(١٤٧) تاريخ الادب العربى لاحمد الزيات : ١٩٢ دار الثقافة -

بيروت ١٩٨٠ م

(١٤٨) البيان والتبيين ١ : ٢٥٤ هارون

(١٤٩) سورة يونس آية ١٨

بنفعهم ، ويقولون هؤلاء شعائنا عند الله ، (١٤٩) وقالوا
« ما نعبدكم إلا لنتربونا الى الله زلفى » (١٥٠) .

ومما لا شك فيه ان القرآن الكريم اثره في التعبيير
والفكرة والإقناع .

ومن الخطب أيضا التي وضح فيها التأثير بـالقرآن
الكريم خطبة الوداع ، وقد سبقت الإشارة الى ذلك (١٥١) .

وكان الخطباء والفقهاء « يستحسنون ان يكون في الخطب
يوم الحفل ، وفي الكلام يوم الجمع أي من القرآن فإن ذلك
ما بورت الكلام البهاء والوقار والرقه وحسن الموضع » (١٥٢)

وكما دثر الخطباء في أساليبهم بالقرآن الكريم فاثروا
بالدين النبوي الشريف فجاءت اغاظهم سهنة وضحيته ،
وعبارتهم مناسكة بعيدة عن التكيف والقصص ومحمد منهم
كذلك ، كما جاءت معانيهم رائحة مسداه من البيان النبوي
الشريف ، وكان لهذا أثره في التمسك بالدين سرعان ما
استجابت لاسحر بيانه - صلى الله عليه وسلم - واقتنعت به
ولا عرو نهز « نبي يعتمد على الصدق المأجور والإفهام
المحسم » (١٥٣)

وكلامه - صلى الله عليه وسلم - « نبي بياني جديد

(١٥٠) الزمر آية : ٢

(١٥١) جوهرة خطب العرب ١/٦٢

(١٥٢) البيان والتبيين ١ : ٦٥ دار الكتب العلمية بيروت لبنان

(١٥٣) البيان النبوي ١/٩٣ ط دار الفكر ١٠٨٠ م

على الأدب العربى إذ لم يسبق — صلى الله عليه وسلم — أحد
إليه ، ولا عرف مثاله لأحد قبله حتى قال له الصديق مرة .
لقد طعت على العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك
فمن أهدك ؟ قال أدبني ربى فأحسن تأديبى ، (١٥٤)

ومن الخطب التى تأثرت ببيانها . صلى الله عليه وسلم —
خطبة ردد الله بن مسعود — رضى الله عنهما — حيث يقول .

« أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كعبته
التقوى ، وخير المال منه إبراهيم — صلى الله عليه وسلم —
ونحمد المصطفى منه محمد — صلى الله عليه وسلم — وشهر
الأمور محدثاتها ، وخير الأمور عن ثعها ، ثم قال : « الخمس
جماخ الآثام ، وانساء حباثة الشيطان والثناب شعبه
من لجنون » (١٥٥)

والقصفح المص برى فى حديث ابن مسعود — رضى الله
عنهما — عن التمرى بأثرا بقول رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — فى إحدى خطبه : « أوصيكم بتقوى الله والسمع
والطاعة » (١٥٦)

وفى التحذير من النساء تأثر بما ورد فى حديث رسول
الله — صلى الله عليه وسلم — « فتقروا الخلف واقتسروا

(١٥٤) الأسب العربى بين البادية والحضر : ٣٦١

(١٥٥) البيان والتبيين ٢ : ٥٦ ، ٥٧

(١٥٦) اتصف الإنام بخطب رسول . لاسلام ح محمد خيل الخطيب

١١٦ ر نشر مطبعة الإسلامية ١٩٨٢ .

النساء فإن أول مقتنه بنى إسرائيل كانت فى النساء ، (١٥٧)

وهى التحذير من الدخ ذائرا بقول رسول الله - صلى
الله عليه وسلم -

« وإياكم ومحدثات الأمور » ، (١٥٨)

وهكذا كانت الخطابه الإسلاميه تعتمد على الحقائق
والمعارف الإسلاميه حيث انحذب منها محررا للدعوة ، وماده
فى الأداء يستشهد من القرآن الكريم ، ومن التعاليم
الإسلاميه (★) .

ومما تميزت به الخطبة الإسلاميه وشاع فيها بدؤها
بالحمد والثناء على الله بما هو أهله ، وختمها بالسلام كما
فى خطبته - صلى الله عليه وسلم التى بدأها بقوله : « إن
الحمد لله أحمد وأستعينه ، وحدها بعوله : « وتحابوا بروح
الله بينكم والسلام عليكم ورحمة الله » ، (١٥٩)

وحطنته - صلى الله عليه وسلم - فى أول جمعة صلاها
بالمدينة وفيها يدعو الناس الى تقوى الله وخشيته وطاعته
وطاعة رسوله وأمتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وأنهاها
بما يتفق مع المقام ، وقد أطل فيها - صلى الله عليه وسلم -

• (١٥٧) السابق : ١١٩ .

• (١٥٨) السابق : ١١٦ .

(★) طالع الأدب العربى فى صدر الإسلام ١ د/عبد السلام

جند الحفيظ ص ٣٠ سنة ١٩٨٤ .

(١٥٩) اعجاز القرآن للبقلان / ٤١ ط ١ البابى الحلبي ١٠٧٨ م

وهذا تعدير عن بلاغته التي تاتى مطابقتها لمقتضى الحال ، لأن هذه الخطبة مبيت في أول جمعه لمجتمع جديد في حاجة إلى رسم الطريق وتحديد المعالم ، ووصف النمط على الحروف (١٦٠)

ونظرا لطول هذه الخطبة سنأخذ جانبا منها للتسلييل فقط .

يقول — صلوات الله عليه — :

« الحمد لله أحمدوه وأسئعيه واستغفروه وأسئتهديه وأومن به ولا أكفروه ، وأعادي م نيكـره ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، أرسله مـهتدى ولسور والموعظه على فخره من الرسل ، وفله من العلم ، وضلاله من الناس ، واستطاع من الزمان ، ودبر من الساعه ، ومرب الأجل ، من بطع الله ورسوله رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط ، وضل ضلالا بعيدا ، وأوصيكم بتقوى الله فإن خبر ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وان يأمره بدعوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ... الله اكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، (١٦١)

يقول ابن قنينة : « تتبعت خطب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوجدت أكثرها الحمد لله نحمده ونسئعيه .

وَيُؤْمِنُ بِهِ وَنَنْتَوَكِّلُ عَلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَقُوبُ إِيَّاهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا
مَضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَاشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ « (١٦٢)

وقد بدأ هذا في خطبه لوداع مدينة المنقر ، كما حسب
إليه الصلاة والسلام بـ « السلام »

ويذكر أن ثاني خطبة خالية من هذا الاستهلال كما هي
حسب الغنم ، وخطبة سيدنا عثمان بن عفان التي سبقت
عندما نغم عليه الناس فوقف خطيباً واستهل خطبته بقوله :
« بِنَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَمْرٌ ، وَإِنْ كَانَ نَعَمْتُ عَاهِدٌ ، فَيُحِبُّ الْعَدُوَّ عِبَادُونَ
طَائِفُونَ ، يَظْهَرُونَ لَكُمْ مَا يَخْفَوْنَ ، وَيَسْرُونَ لَكُمْ مَا يَكْرَهُونَ »
ثم ختمها بقوله : « مَا نِي لَأَفْعَلَ فِي الْحَقِّ مَا أَسَاءُ ؟ إِنْ مِمَّ
كُنْتُ إِمَامًا ، (١٦٣)

وسار السلف والخلف على سنة رسول الله في الافتتاح
والاختتام في خطبهم ، وقد شاع هذا الأمر في الخطب الإسلامية
حتى أطلقوا على الخطبة (١٦٤) التي لم تبدأ بالتحميد
وتعديج بالتمجيد بأنها « بقراء » في الغالب ، والخطبة التي
لم توشح بالقرآن ، وتزين بالصلاة على النبي العنان بأنها
« تسوها » (١٦٥)

ومما اختص به الخطبة الإسلامية أيضاً : قوة عاطفتها

(١٦٢) عيون الأخبار ٢/٢٣١ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م

(١٦٣) اعجاز القرآن للسقلافي : ٤٤

(١٦٤ . ١٦٥) البيان والتبيين ٢/٦٢ ت هارون

انفجارت من مود العفيدة وانتصارها ، ولشده عاطفته — صلى الله عليه وسلم — كان كما يحدثنا سديف جابر بن عبد الله ، كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صباحكم ومساءكم ، ويقول : دعئت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول : أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك ما لأمره ، ومن ترك ديننا أو ضيعا فألى وعلى ، (١٦٦)

ونظرا لشدة عاطفته — صلى الله عليه وسلم — كانت حسبه قوية التأثير في النفوس بالنسبة لأصحابه مما نتج عنه انهب عواطفهم دحراربه — صلى الله عليه وسلم — .

وحسبك بعض السمات العامة التي يمكن الجمع بينها بين بعض الجاهلية والخطبة الإسلامية مع التفاوت فهي ، من هذه السمات : الاستشهاد بالشعر : لقد اقتدى خطباء صدر الاسلام برسول الله — صلى الله عليه وسلم — في خطبه وألقائه ومنهج ، ومن ثم خلقت خطبهم من الشعر وبخاصة الجاهلي لأنه — يحمل بين أطوائه كل المعاني التي حرمها الاسلام ويزي بها ، فقد كرهه الاسلام وبغضه ، (١٦٧)

وإذا كان الخطيب الجاهلي اعتمد على الشعر والمثسل

(١٦٦) البيان النبوي : ٦٠

(١٦٧) الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية وصدر الاسلام : ٢٧١

والحكمة هي نوصي بفكرته ونحايتها لسامعيه وإقناعهم بها
فإن الخطيب الإسلامي وجد في القرآن كل مطلب فاستغنى به
عن الشعر ومن ثم شاع الاستشهاد بالشعر في خطب
الجاهليين وقل في خطب الإسلاميين وبخاصة في عصر صدر
الإسلام ، ولقد سابت هذه القلة الإسلام ، وسارت في ركابه
وتخلقت بأخلاقه ، وقصد بها الخطيب توضيح الفكرة ،
ونعيمي المعنى ، ونقل مشاعره وأحاسيسه إلى سامعيه كي
يفعلوا بفكرته المرادة أو المتغاية .

يقول أبو بكر الصديق (١٦٨) مينا فضل لأنصار علي
المهاجرين تطيبنا لخاطرهم :

يا معشر الأنصار إن شئتم أن تغفلوا إنا آويناكم هي
طلاننا ، وسأطربناكم في أمولنا ، وبصرناكم بأنفسنا ، وإن
لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الهمد ، فنحن
وأنتم كمال دليل لغتوي :

حزن الله عنا جمعنا حزن أولئك

بنا سادسا في الوالطين قرأت

أبوا أن يملوا ولو أن أنسا

بلاقي الذي يلقيون منا مات

هم أنساكنونا في ظلال بيوتهم

ظلال بيوت أوطات وأظلت

ولقد تنوعت لحمل الخطابة في عصر صدر الاسلام داراً وداراً وعم دعاب فيها القصر كما كان في الحاهنية . ولا تأثر الخطباء وبخاصة الحلقاء الراشدون بالاسرن الكريم وبيان الرسول . صلى الله عليه وسلم - « تصرف هسذ النديان إلى اجزاء نفوذهم . واحد دمدمع و ربههم » (١٦٩) ومن تم انعكس هذا سوء حملهم ودهييز نهم وأنسائييهم مجاب محكمة الربط ، ودموعت جملةهم بين الطول والقصر ، وقد بدا هذا في خطبه الإمام على سالفه لذكر الذي بحث فيها فومه على الجهاد .

كما تنوعت الخطبة بين الطول والقصر حيث كان الخطباء يراعون نكل تمام هذا ، ولكل حال مقتضاها ، فمنى انصى انوقف الإيجار كن الإيجاز أبلغ ، ومنى افتضى الاطناب والقطر بين كان الإطناب أبلغ ، وحينئذ يكون الإيجاز في موضعه كالإطناب في موضعه . وإذا كان إيجاز اسخطبه وقدعرها هو الغالب في العصر الحاهني فإننا نرى هذا إلى حد ما في خطب عصر صدر الاسلام لداثر الخطباء فيه برسوز الله - صلى الله عليه وسلم - واعفانهم بأسلوبه الخطابى الذى غلب عليه الإيجار ، والبلاغه الإيجار ، ومن لم يسقط الإيجاز فليس ببليغ (١٧٠)

ومن الخطب الدنة على هذا خطبته - صلى الله عليه

(١٦٩) تاريخ الادب العربى (العصر الاسلامى) د / شوقى ضيف :

١٢١ ط ٩ دار المعارف

(١٧٠) انظر نقد النثر لقدامة : ٩٦ ث د/ طه حسين وعبد الحميد

المرادى ط ٢ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٨ م

وسلم - في توحيد الناس وإرشادهم بأمور الدين والدنيا
في ثقة وإيجاز :

« إن لكم معام شامهموا إلى معاكم ، وإن لكم بهاية
فانتهموا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين أجل قد مضى
لا يدري ما الله قال فيه ، وأجل باق لا يدري ما الله فاض
فيه ، فليأخذ العبد من نفسه انفسه ، ومن دنياه لأخرته ،
ومن السببية قبل الكبر ، ومن الحياة قبل المصاة ، فوالذي نفس
محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من در
إلا الجنة أو النار » (١٧١)

وكذلك خطبه الفاروق عمر - رضي الله عنه - التي اثر
فيها الإيجاز وفيها يقول . « إنما مثل العرب مثل جمل انف
أببع مائده ، فلا يطر فائده حيث يفوده ، وأما أنا فارب الكعبه
لأحملنهم على الطريق » (١٧٢)

ومن الخطب الطوال خطبته - صلى الله عليه وسلم - في
أول جمعة صلاها بالمدينة ، وخطبة الوداع التي لخص فيها
قواعد الشرع الحكيم وقد سبق ذكرهما .

وقد خطب - صلى الله عليه وسلم - ذات مرة من أذن
العصر حتى ثم يبق من الشمس إلا صفرة على أطراف سمع
فتد روى عن أبي سعيد الخدري قال :

« صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة

(١٧١) حمزة خصب العرب ١ : ١٥٢

(١٧٢) السابق ١ : ٢١١

العصر ببهار ، ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أحبرها به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، وكان فيما قال : ان الدنيا حلوة حصره ، ون الله مسخلكم فيها فباظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، وكان فيما قال : الا لا يمنع رجلاً هيبه الناس أن يقول بحق إذا علمه ، قال فبكى أبو سعيد فقال قد - والله - رأينا أشياء فهنا فكان فيما قال الا إنه بنصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدريه ، ولا غدرة أعظم من غدرة إمام عامة ، يركز لوائه عند إسته ، مكان فيما حفظاً بومئذ الا إن بنى آدم خلقوا على طينات شتى ، منهم من بولد مؤمناً ، ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ، ومنهم من بولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً - ثم قال أبو سعيد الحدرى - وجعلنا بسيف إلى الشمس هل بين مذهبها شيء ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا ، إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه » (١٧٣)

عن الأديب مصطفى صادق الرامعي معناه في هذا الموقف بيان مدى طول هذه الخطبة التي جنت إلى الإلهاب والتطويل :

« وهذه مدة لا تعدى في عمرها بأقل من ساعتين ، وحسبك بكأنم من البلاغة النخوة يسفوفيهما ، بيد أن الإقلال كان لأهم الأغلب حتى ورد أنه كان يأمر بتقصير الخطبة ، فروى

(١٧٣) سنن الترمذى - أبو عيسى محمد بن عيسى تحقيق أحمد شاكر ج ٤ ٤٨٣ وما بعدها ج ٢ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٩٨هـ

أبو الحسن المدايني قال : تكلم عمار بن ياسر يوماً فأوجسز
مغفل له لو زودتنا عقل امرأ رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بإطالة الصلاة ومصر الخطبة . وقد ورد في الحديث
« نحن معاشر الأنبياء مبكاء » أي منه في الكلام (١٧٤)

ويقول صاحب زاد المعاد مديناً خضوع خطب النبي
للأطراف ومقتضيات الأحوال . « كان - صلى الله عليه وسلم -
يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة السامعين ومصلحتهم ،
وكان يقصر خطبته أحساناً وبطناً أحياناً بحسب حاجته
الداس ، وكذب خطابه المعارضة أطول من خطبته لرائته .
وكان يخطب النساء على حده في الأبياد وبحرصهن على
الصدقة » (١٧٥)

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال من البلاغة حيث يقول
علماء البلاغة . « إن بلاغة الكلام هي مطابقته مقتضى الحال
مع فصاحته » (١٧٦)

وبهذا يتضح أن الخطبة الإسلامية كانت تأتي مطابقة
لمقتضى الحال فنطول وتقصر حسب الحاجة وعليسسه ، فلا
يسنعمل الإيجاز في موضع لا يلزمه ليقتصر عن بلوغ الأرادة ،
ولا الإطالة في موضع الإيجاز فتجاوز مندار الحاجة ، (١٧٧)

(١٧٤) تاريخ آداب العرب للراعي ج ٢ : ٢٠٢ نشر دار الكتاب العربي
بيروت لبنان ١٩٧٤ م . ومن يطالع نسيم الرياض في شرح شفا القاضي
عياض للشيخ الخفاجي ٤٠٨ ج ١ ط الأزهرية بعد هذا الحديث .
(١٧٥) زاد المعاد ج ١ : ٤٨ ط المطبعة المصرية ومكتبتها .

(١٧٦) الإيضاح لمقروبي ج ١ : ٨٠ ط دار الكتاب اللبناني بيروت

(١٧٧) العبارة وتلخيصها ١ د/محمّد السعدى قزوه : ١٨٠ ط

ولفقد شاعت وسائل الافئاع فى أسلوب خطب صدر
الاسلام ، فتشوع بين الخير والإنشاء مقصد الاسفنا ، والتأثير
والوصول إلى المعنى المراد من المكلف المقوت ، والتقصير
الذموم .

وهذا الترويج طبفا لعاطفه الخطيب وانفعالاته ، فإذا
ما هدأ عاطفه وثورته ماضت المريحة بأساليب خبريه ،
وإذا ما ثارت ثائره جاشت قريحته بأساليب إنشائية .

يعول بعض النقاد منينا منه النوع من الأساليب بين
الخبريه والإنشائية : « وهم يحقون للخطيب التأثير ، وينفخ
فى أسلونه حياءه محسده أن دروح بين الخبر
والإنشاء » (١٧٨)

والناظر فى خطبه الوداع يرى النوعين معاً ، كما يرى
هذا فى خطبه الإمام على (١٧١) ذرم الله وجهه ومنها قوله
وهو خسرى :

« أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن دركه رغبة
فيه ألبسه ثوب لذل ، وشهله البلاء » وقوله : « هذا أخو غاهد
قد وردت حيله الأنبارى ، وفعل حسان - أو ابن حسان - البكرى ،
ورال حر كم من مسالحها . وفعل منكم رجلا هائجين ،

١٧٨ فى بحوث ، أحمد الحوفى ١٧٨ ط ٥ دار النهضة
مصر للطبع والنشر .
(١٧٩) الزيان والبيبين ٢ : ٢٥ ، ٢٦ دار الكتب العلمية
بيروت لبنان .

وقد تعددت طرق الأساليب الإنشائية في هذه الفطنة
فمن الغداء قوله « يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا أحلام
الأطفال وعقول ربات الحبال » ومن التعجب والاستفهام الذي
أريد به الإنكار قوله : « له أبوهم . وهل أحد منهم ، سدا بها
مراسيا متى ؟ »

ومما لا شك فيه أن للأسلوب الإنشائي دوره الفعال في
جذب انتباه السامعين ، والعمل على تركيزهم ، وإعطائهم
يقصد إليه .

كما تنوع الأسلوب بدن الترسل والحنوائه على بعض
المحسنات غير المنتهية مثل المسجع والازدوج أو الموازنة ،
وكثرتها محدودة لا بد من سعي ، ولا يحصى على أفكاره وإدما
الهدف منها التأثير على السامعين وتوسيع ذهنهم عن طريق
الإيقاع الناجم عنه « . . . من استعمل ومثله من حسن الموقع
الذي يشبه وقع القافية في الشعر » (١٨٠)

وقد غلب أسلوب الترسل على أساليب الخطابة في عصر
صدر الإسلام وذلك لتأثر الخطب بالقرآن الكريم الذي أعفهم
عن وسائل الإيقاع الأخرى في التأثير كالمسجع - مثلا -
ولعل السر في فله استخدام المسجع وتداول الترسل في
أساليب خطباء هذا العصر « يرجع بعضه إلى استخدام
الجاهليين له في أعراض لا يحبها الإسلام ولا يمرها ، وبعضه

إلى أن القرآن والاسلام والحضارة قد ردفهم إلى نوع من التهذيب حبيب إليهم طبيعة التفكير والتعبير » (١٨١)

« والإرسال هو ارقى مراحل النثر الأدبي » (١٨٢)

ومن أروع خطابة في هذا العصر أسلوباً وفكرة وأداء وكان لهذا دور في التأثير على النفوس وإمالتها بالغرض « وحين يرتقى النثر ويتجه إلى محاطبة العقل ، ويعتمد على الجدل والبراهين ، وحب فتحة عبادة الخطيب إلى المعنى والصورة ويجعلها غاية فتقل العناية بالإيجاع الموسيقي . والازدواج اللفظي » (١٨٣)

ومن الخطب التي شاع فيها الترسل خطبة الصديق - رضي الله عنه - وفيها واسبى المسلمين بعد لحوق النبي بالرفيق الأعلى ، يقول الصديق :

« أنها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وإن الله قد قدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما دنته عنى ما عنكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف قبلكم كتابه وسنة نبيه » (١٨٤) .

(١٨١) الخطابة في عصر صدر الاسلام : ١ : ٤٥٧

(١٨٢) الخطابة في عصرها الذهبي : ١٧

(١٨٣) السابق : ١٧

(١٨٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢٢٤/٤

ومع هذا القرسل فإننا نرى في الحظية حسن التقسيم
والموسيقى الجميلة .

أما من ناحية المحسنات الأخرى كالسجع والازدواج
ونحوهما فإن لم تكن بنفس الدرجة التي كانت عليها من
الجاهلية من حيث الشيوع والانتشار بل حف امتثالها .
ولكن مع هذا وردت في كلام النبي - صلى الله عليه وسلم -
مقد ذكر صاحب الصواعيق أن السجع الخسالي من التكلف
المبالغ حسب العطرة كان دافئاً أحياناً في كلام النبي - صلى
الله عليه وسلم - وحين أنكر على الكهان سجعهم لما فيه من
التكلف المقوت ، والتشويق المذموم ، فالرسول إذن أنكر
السجع لتكلفه أما ما برىء منه فلم ينفه عنه .

« ولو كرمه - عليه الصلاة والسلام - لكونه سجعاً
لفال أسجعاً ؟ ثم سكب وكيف يذمه ويكرمه ، وإذا سلم
من التكلف وبرىء من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام
أحسن منه ،

وفد روى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطبة
فمن بن ساعدة مع عدم خلوها من السجع وأعلن رضاه عنها .

وساوى أبو حلال نمودجا بدل على ورود السجع في
كلامه - صلى الله عليه وسلم - فقال « من ذلك ما حدثنا به
... ف الإمام بواسط قال حدثنا محمد بن حاتم بن عبد الله
زارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام قال : لما هم

النفوس - صلى الله عليه وسلم - المدينه انجفل الناس قبله .
 من قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجنبه من
 اسس لاصر بجه ، فلما دببت وجهه عرف ان الله ليس بوجه
 ذلك ، من دون الله ، من الله ، ان الله الناس انفسوا
 بسلام ، وطمعوا الطعام ، وصلوا لارحام ، وصلوا بالليل
 واناس نيام نباحوا الله بسلام ، وكان - صلى الله عليه
 وسلم - ربها عبر السكينة من وجهه ، سموازه من الانفاظ ،
 واتباع الكلمة احوالها كقوله - صلى الله عليه وسلم - اعيد
 من الهامة والسامة ، وكل عين لاهه وانما اراد مله ، وقونه
 - الله للصلاه واستدتم - ارحمن مازورات غير ماجورات وانما
 اراد مورورات من الوزر فعال مازورات لكان ماجورات قصد
 لاقتوازن وصحة التسجيع .

مكل هذا يؤذن بقضية التسجيع على شرط البراءة من
 التكلف ، والخلو من النصف ، (١٨٥)

كما سدى اصم مودج بدن على وجود الازدواج في كلامه
 - صلى الله عليه وسلم - وقد حثب الانصار عفضلا اياهم
 على عبرهم فقال : ، انكم تكثرون عند المرع ، وتقلون عند
 الطمع ، وموله - عليه الصلاه والسلام - رحم الله من قال
 خبرا فظنم ، او سكت فظنم ، (١٨٦)

والناظر في إحدى خطب الإمام على - كرم الله وجهه -

(١٨٥) احدثتین : ٢٨٦ ت محمد قمیة ط ٢ سنة ١٩٨٤ دار
 الكتب العلمية ، بيروت
 (١٨٦) السابق : ٢٨٨ ، ٢٨٩

يرى السجع والازدواج معا بقول الامام على : « واعلموا عباد الله انه لم يختمكم عبدا ، ولم يرسلكم مملا ، علم مبلغ نعمه عليكم ، واحصى إحسانه إليكم ، فاستفتحوه واستنجحوه واطلبوه إليه واستمنحوه » (١٨٧)

وجاءت المحسنات هنا جارية على الفطرة وموائية للطبع السليم ، وهذا ناشئ من الذثر بالقرآن وبالبيان النبوى الشريف الذى سلم من التكلف والإغراب ، وقد بدا هذا فى خطابه - صلى الله عليه وسلم - والإيقاع الناشئ عن استخدام هذه المحسنات يكون له أثره الفعال على نفوس الناس ومشاعرهم حيث « يمسستعين به الخطيب على إثارة الانشعالات » (١٨٨)

وانه تحسن النقاد العرب قديما وحديثا مجيء السجع والازدواج فى أساليب الخطابة بعيدا عن التكلف والتعقيد فقال أبو هلال العسكري « واعلم أن الذى يلزمك فى تأليف الرسالة والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط ولا يلزمك فيها السجع ، فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ما أم يكن فى سجعك أنه تكرام وتبافر وتعقيد » (١٨٩) .

ولم يكثر استخدام الحكم والأمثال فى خطباء هذا العصر كما كان فى الجاهلية ولعل هذا مرده الى تأثرهم بالقرآن الكريم المعجز المقنع ، والبيان النبوى الصادق المفحم يرشهمون

(١٨٧) نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ٢ : ٤٤٧
(١٨٨) النقد الأدبى الحديث د/ غنيمى هلال : ٦٥ دار نهضة مصر
الطبع والنشر ١٩٧٢ م .
(١٨٩) الصناعاتين : ١١٩ ط ١ مطبعة محمود بك ١٣١٩ هـ

من ردهما . ويجهلون من معيتهما الثرار ، لأن الخطباء
انبهروا بحكم القرآن ومواعظه كما راعتهم أمثاله فاستمعوا
إليها وأخذوا منها . ومن حكم الرسول وأقواله ، (١٩٠)

ووجتروا فيهما العناء عن الحكم والأمثال بما فيهما
من بيان رائع وفكر راق ، وحجج دامغة ، وبراهين ساطعة
تفتد حجج الخصوم وتبطلها .

فأعدوا منهم وبخاصة القرآن الكريم في الأسلوب ودقة
العبارة ، وروعة الأداء . وجمال التصوير ، وشدة الإمتاع
والذاثر ، وما ذلك إلا لفتيتهم بأسلوبه ، وإحكام نظمته ، فأبكت
تجد العبارة دل اللطمة حين تأتي في سياق كاتب أو خطيب
أو شاعر بضيء كأنها الشهاب الساطع ، (١٩١) .

وورد استخدام الحكم والأمثال في خطابه « هذا العصر
» في خطب الإمام عبي بخاصة حيث احتلت الحكم والأمثال
مكانا بارزا فيها ، (١٩٢) ومنها قوله : « أما بعد فإن معصية
لذاصبح الشقيق العالم المجرب تورث الحسرة ، وتعقب
السيامة ، وقد كنت أمركم في هذه الحكومة أمرى ، وحلب
لكم محزون رأيت لو كان يطاق لقصير أمر فأسيتم على إياها ،
الخائفون الجفاه ، والمنايذين العصاة حتى أرباب الناصح
بناصحه ، وضمن الزند بقبحه . . . » (١٩٣)

(١٩٠) الخطابة في عصر صدر الإسلام ١ : ٤٥٢
(١٩١) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)
د / شوقي ضيف : ٣٤ ط ٩ دار المعارف .
(١٩٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ٢٠١ ط ٢ سنة ١٩٨٠ م
(١٩٣) نهج البلاغة . ١٨٣ .

ولمَّا تلاحظ الحكمة في النص والمثل في قوله ، لو كان
يطاع لقصير أمر ، (١٩٤)

وعلى الحملة فإن أسلوب الخطابة في هذا العصر كم
ميسل :

« هو الأسلوب الفطري الذي يساقط الطبع ، ويوائم
المسليقة ولا يعتدّ في لفظ أو فكر أو خيال ، فهو لين هادي ،
أو ثائر عاصف على حسب مقتضيات ، وربما للأحسول ، مع
وضوح اللفظ ، وسهولة الأسلوب ، والانسجام التام في بـ
الكلمات ، وترك المسجع المزدول ، وحجر الوحش ، والبعد عن
التكلف ، والإيجاز في موصع الإيجاز والإطناب فيما يستدعي
الإطناب والاكتثار ، (١٩٥)

والمطالع لخطب عصر صدر الإسلام يرى أنها تختلف عن
خطب الجاهليين التي كانت تنقسم بعدم العمق أحسانا ،
وضيق الأفق وتحديد الأعراض والمعالم ، أما الخطبة في عصر
صدر الإسلام فكانت أوسع مجالا ، وأرحب ميدانا ، وتنوعا
في الأعراض والموضوعات وذلك لاختلاف الدواعي والأسباب
والمؤثرات في العصرين ، ففي عصر صدر الإسلام اصطفت
الخطابة بالصيغة الإسلامية ، وأصفت عليها الإسلام ثوبا

(١٩٤) هذا مثل ضربته الإمام علي - كرم الله وجهه - لتقصير
حاله مع قومه بحال ، قصير ، مع سيده الذي همى أمره حينما أُنشأ عليه
بأن لا يخرج ، الزبد ، ملكة الجزيرة لكنه خالف أمر ، قصير ، وقروح
بالمملكة مقتلته بعد زواجهما فذل ، قصير ، ، لا يطاع لقصير أمرا ،
انظر الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية وصدر الإسلام : ٢٨
(١٩٥) السابق : ٥٩

من الجلال والعمق والتقدير ، واستندت معانيها من روحه
وعاليه ، وهي من كل ذلك تستمد من القرآن وخطابه
الرسول وأحاديثه ، تستمد المعاني وتستمد الأساليب ذات
البهاء والرونق ، (١٩٦)

و قد تمت الخطابة الإسلامية وتطورت فأكدت
سمات وخصائص مبرتها عن الخطبة الجاهلية ، (١٩٧) وقد
ظهر هذا في رقي الأفكار وعمتها وتربطها .

وقد وجد الإسلام مدن الخطاب في توجهاتهم ، وطريقه
رضهم لأفكارهم ومعانيهم ولا عجب فقد جعلهم جميعاً
بديون بدين واحد . ويعتمدون عمدة واحد ، ومن ثم
فتفكرهم بمر في محط واحد لا يختلف في موضوعه أو
أسسه من شخص إلى آخر وإنه يعتمد على أسس ثابتة
واحدة ، (١٩٨)

ومن ثم جاءت أفكارهم وأصحه بوبة منلاحمة النسيج .
تستمد من العديد من المعاني والأغراض حيث تناولت أمور
الدين والملة وترحب المبادئ وبببت معالم الشريعة والأحكام
المنظمة للحياة الشخصية ، والمعاملات بين الناس ، وعلاقة
المسلمين مع الملوك والحكام ، والحلال والحرام وغير ذلك مما يستدعيه
نظم الدعوة والرد على الحصرم ، والوعظ والإرشاد ، (١٩٩)

(١٩٦) - ج الألف - العرس (العصر الإسلامي) ١٢٩

(١٩٧) - أدب العرس بين النبوية والحضر : ٢٨٢

(١٩٨) - المسبب في ٢٤

(١٩٩) - الخطابة في صدر الإسلام : ٤٤٢

ففي مسنن هذا العصر كانت معاني الخطابة تشور في
محدث الدعوة إلى الاسلام بروحيد الله ، وشرح عقيدة الإيمان
به ، وإنتاج الناس بآثاره لأزويته وعلى رأسها الحساب
والبعث .

وكان - صلى الله عليه وسلم - « بخطب في نفس معاني
القران انكيه محدث عن رسالته ، وداعيا إلى وحدانية الله
دنيا ، نه يهمن على الناس هي . مصهم ، وانه سببهم يوم
القيامة ليجزى بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا (٢٠٠)

من هذا خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في
قريش حين أمر أن يمدح بآثاره . ونودي فيهم قائلا : يا معشر
قريش فاجتمع الذس حركه دن كأل حذب وصوب يصغون
إليه . فقال : « إن الرائد لا يتكذب أهله » . وقد سبق ذكر
هذه الخطبة .

وكانت معاني خطب هذا العصر دينية بلغت شأوا كبيرا
في بلوغ الغاية وإصابة الهدف ، وبصاعة الحجة ، والمصدق
في تبليغ المراد ، لأن الاسلام نفخ فيها من روحه ، وقد وضح
هذا في خطبة أبي بكر الصديق أمتي متأثر فيها بالانسان
وعمل على رأب الصدع بين المهاجرين والأنصار في مجتمع
الحقيقة ، وفيها يقول :

« أيها الناس نحن المهاجرون أول الناس إسلاما » .
وقد سبق ذكر هذه الخطبة .

ولعل ما يميز الخطابة في عصر صدر الإسلام وحسنه
الموضوع وعمق الأفكار ورباطها ، والمقتدر بالوسائل التي
تميل القلب وتشوق الفؤاد ، ولا عجب فقد بقيت الخطابة في
ظل الإسلام كل تقدم ورقى وازدهار ، ومد ظهر هذا في كثير من
حطب هذا العصر وبخاصة حطب الإمام علي - كرم الله
وجهه - ومنها خطبته التي يحدث فيها الناس على نفوى الله
وحته بينه وبينهم وحمده وألته عليه ، ومن أمثلتهم في معلى
الخير ، يقول الإمام علي :

« أوصيكم أيها الناس بشئى الله وكثرة حمده على آلائه
إنيكم وبعثته عليكم ، وبلائه لعيكم ، فكم خصكم بنعمه ،
وتداركم برحمته ، أعمرتكم له (٢٠١) فسبركم ، وتعرضتم
لأحده ندماءكم ، وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه ،
وكيف غفلتم عما يبس بعلكم ، وطعمكم ممن ليس يمهلكم ؟
فكفى واعظا بموتى ، عانتهموهم ، حملوا الى مجورهم عسر
راكبين ، وأنزلوا فيها غير نازلين ... فابعوا - رحمكم الله -
راكبين ، وأنزلوا فيها غير نازلين ... فسابقوا - رحمكم الله -
الى مارككم اسى أمرتم أن نعمروها والتي رغبتم فيها
ودعيتم إليها ... » (٢٠٢)

والمقصف للموضوعات والأغراض في الخطابة الجاهلية
مكنه القول بأن الإسلام تفاول بعضا منها بالانقطور والتهذيب
بحيث تتمشى مع روح الإسلام وتعاليمه السمحة ، من هذه

(٢٠١) أي ظهرت عوراتكم وعيوبكم

(٢٠٢) نهج البلاغة ش الشيخ محمد عبده : ٢٨٥ وما بعدها

ط الرحمانية .

الموضوعات والأفكار الفخر بمحاسن القسوم وهو المعروف
في الجاهلية بالمفاخرات والمفاقرات ، وقد بدأ هذا في خطبه
طارد بن حاجب بن زرارة خطيب وفد بني تميم عند رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — وميام قيس بن الشعمس خطيب
الرمول بالرد عليه بأمر منه — صلى الله عليه وسلم — وقد
سبق ذكر هذا .

بيد ن تناول خطيب بني تميم وطريقة عرضه للفكر
نحتلف عن عرض قيس لها ، فخطبه بني تميم يبدو عليها
مسحة من الحفوة والشدة والصلف والغرور فصلا عن نسبة
الفضل إليهم دون الله عز وجل وهذا مخر مذموم يقرأ منه
الاسلام ، أما رد قيس فقد بدا فيه الاعتراف بنعمة الله وبسببه
الفضل إليه على أنه صاحب النعمة وله اليد الطولى في كل
شيء ، فافتخر قيس بظهور النبي محمد من بينهم ، ومآزرهم
ومناصبهم له ، ووقوفه بجانبه صفا واحدا ، وهذا فخر
محمود ، كما بدا هذا الفخر في حطبة الصديق في سقبة بني
ساعة حيث ذكر مناصب المهاجرين ومصلحتهم على إخوانهم
الأنصار ، لكنه فخر في إطار الدين ، استمد منه الصديق
خطوطه ومعانيه من روح الاسلام الحنيف .

وهن المعاني والأفكار التي أصابها الخطور والتهذيب في
الاسلام المنحرف عن الحق والحرب والغفل والأخذ بالذات كلها
في الدعوة ، وبصبيء الاسلام ثلاث هذه الخزعينة
من دلائل منها الدعوة إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل
الله ودينه ثوب ذلك ، وخطب رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — في الخطب لاسلامية ملتبقة بهذه الفكرة ،

الأمر ، ولا تجتهد مسرعا حتى تثبتن غايتها الحرب والحرب
لا يصاحها إلا الرجس المكث (٢٠٥) الذي يعصف
الفرصة ... ، (٢٠٦)

وإذا كان من الحزب الجاهلية ما دعا إلى عبادة الله
وتوحيده كما في خطبة قس بن ساعدة فإن الخطبة الإسلامية
تناولت هذا المعنى وكان شغلها الشاغل وبحثه في المراحل
الأولى من الإسلام ، فقد حطبت - صلى الله عليه وسلم - في
جمع من مريش يحذرهم من الشر والطغيان وفيها يقول :
« إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت أناس جميعا
ما كذبتكم ... » وقد سبق ذكرها .

كما تناولت الخطبة الإسلامية بعض معاني حطبت
الجاهلية ووصفت عليها روح الإسلام - بنصمبها بعض
آيات القرآن الكريم - كالدعوة إلى السلم وحقن الدماء ،
وخاب أنكر ، والصالح بين الناس ، وتوحيده النصمب لهم .
وتوصيتهم بنموى الله ، ... بهم بأمور الدين كما في خطبة
الصدق - رمى الله عنه - فيقول بعد من حمد الله وأنتى
عليه :

« وصمبكم بنموى الله وإن سئفوا عليه بما هو أهله ، وأن
نخطوا الرعية بالرهبة ، ونجمعوا الإلحاف بالمسألة ، فإن
الله شى على ركريا وعلى أهل بيته فقل : « إهم كانوا
بمردون هى الخرب ويدعوننا رعبا ورهبا وكانوا لمسا

(٢٠٥) المكث : المتكث الهوى

(٢٠٦) جمهرة خطب العرب : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ط ٢ الحلبي ١٩٦٢ م

حاشعين ، (٢٠٧) ثم اعلّموا عناد الله ان الله قد ارثهن بدينه
أديسكنكم ، وأخذ على ذلك مواسمكم ، وعوضكم بالقليــــــــــــل
الفاشي الكذبر الصافي . وهذا كتاب الله فيكم لا تفنّي عجائبه ،
ولا تطفأ نوره ، فتّقوا بقوله ، وادّتصحوا كتابه ، واستحصروا
به ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته . . . » (٢٠٨)

وإذا كان العرب في الحــــــــــــــــاهلية عرموا حطب الوعظ
وإرساد فإن الاسلام جاء بنوع منظم في هذا الصدد يقول
بعض الأدباء :

« ولكن الرافح بن العرب في جاهليتهم كانوا يعرفون
شبهنا من هذا التّجبل بنضمين بعض المواظ القى قدخل في
نطاق الدين ، ومع ذلك فإن الاسلام جاء بنوع منظم ومنسق
من الحطب لم يكن معروفا من قبل ألا وهو خطبة الجمعة
والعيدين » (٢٠٩)

وبهذا أصبح الخطابية شعيرة من شعائر الاسلام
وتمثّل جزءا من عبادته بعد أن كانت اداة من أدوات الدّعوى
و دى شئ لى رسوخ أقدامها واتساع مجالها ونهوضها .

و « لعل أهم ما يميز الخطابية الاسلامية عن الخطابية
الجاهلية طغيان الروح الاسلامي عليها فكرا وموضوعا ، فهي

(٢٠٧) سورة أنبياء من الآية : ٩٠

(٢٠٨) العقد الفريد ٤ : ٦١ ، ٦٢ ت أحمد أمين وزميليه .

(٢٠٩) من أدب الدعوة الاسلامية : ١٢٠ عباس الجزارى ط ٢ دار

الثقافة الناصر البيضاء .

في مختلف ألوانها متأثرة بمثل الإسلام وفيه ، ثم إنها عرت
في هذا العصر متفاسحة العبء ، مترابطة لأجزاء ، وأصبحه
الهدف والغاية ، (٢١٠)

ولقد احتوت أساليب خطباء هذا العصر على بعض
الصور والأخيلة التي مصدرها الإمتاع الفني والأفكار
والتأثير ، وتأثر هؤلاء الخطباء في هذا الصدد بأساليب
المرآن الكريم ومن ثم تأثروا منه بالبيئة التصويرية والتحقيقية
حدث : إن التصوير هو الأداة المفصلة في أسلوب المرآن
الكريم ، (٢١١)

ومع هذا فلبت الصور والأخيلة في أساليب الخطباء
للاعتماد على المصوح في الدعوة ، والإقناع بالبراهين والحجج
الساطعة ، ومن ثم كثرت الأساليب التحقيقية والتفريعية التي
تحدث دويًا في النفوس وتأثيرًا مباشرًا كما في خطبة الرسول
- صلى الله عليه وسلم - والتي قدم لها بقوله :

« رأيت لو أحذرتكم من خيل بالوادي نريد أن نقسم
عليكم أكديم مصدق ؟ قالوا نعم ما جريما عليك كذبا ، ثم
بدأ خطبته بعد ذلك ويقول : « إن الراشد لا يكذب أهله ،
والله لو كذب الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو هرت الناس
جميعا ما غرتكم ، والله الذي لا إله إلا هو أني أرسسول

(٢١٠) المسبوق : ١٢٢

(٢١١) التصوير العبر في القرآن الكريم للشيخ سيد قطب . ٢٥

دار المعارف ط ٨ سنة ١٩٧٥ م

الله انكم حاصه والى الفاس كافة . والله لتمومن كما
فنامون ، ولتمعتن كما تستيفظون

ومن خاتل النص يددو ان الرسول عليه الصلاة والسلام
اثر التعبير الحقيقي على الحيال والمصوهر . فأم موجسد
سوى صورين تشبهين وهما (لنموقتن كما فنامون ،
ولتمعتن كما تستيفظون)

يقول الدكتور : محمد رجب المدوني معطفا على هذه
الخطه ومثلا الى إفتاح الرسول ان حوله . وكشف خطبه
مأربهم ؟

« رأيت الى الإفتاح المزم بأخذ به مدمدا ، ليعول ؟ بعد
سألهم عن صحفه ما عرفوا به ، ثم أفسم لهم بما يثبت هذا
المعنى ودونته حتى إذا أعلن رسالته إليهم حاصه والى الناس
كده . لم يدرت الأمر دون فذلّل مهابك حساب وبعث وجراء ،
واث كانوا فنامون ملوت كالنوم حقيقة واقعة ، ولقن كانوا
سستيفظون فالبعث كالديتظه حبعبه اخرى ، ووراء البحث حراء
وحسب ، وإذها لحنة وإنها ثار » (٢١٢)

ولا يجهى أن النصور به أدره لفعال في فغل شمساعر
اسم طيب وبع أفكاره على سامعيه في موه وصدق ، ومن ثم
لج منه ٥٥ من اسطبه الذين سافروا بما جاء في القرآن
أنهم عن « عربية القهوه والشمس » (٢١٣) وأدركوا أن

٢١٢- الدكتور المدوني ١٤٠٠

٢١٣- « رسالة الألفية » ص ١٠٠ ، « رسالة » وصدر الاسلام ٢٠٠٠

« المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقفاً
في القلوب » (٢١٤)

ومن الخطب الذي نجمع بين الحقيقة والخيال والتصوير
بالإنشاع والذاتية خطبه سيدنا محمد بن عبد الله - رضي الله
عنهما - ومنها قوله : « فمهلاً لا نمنلوني فإنه لا يحل إلا
ذل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصائه ، أو كفر بعد إيمانه ، أو
هزل نفسه بغير حق ، فإنكم إذا منتموني وصعتم السيف
على رقابكم » (٢١٥)

ومن أساليب التصوير التعبير الكنائى في قوله :
لا يحل ،

ومن الأساليب التصويرية التعبير الكنائى في قوله :
« فإنكم إذا منتموني وصعتم السيف على رقابكم » وهو
كناية عن قتلهم وعدم إقلاصهم من هذا السيف

وتأثر الخطباء بالبيان النبوي الشريف وبما فيه من
نصوير وتخيل لأن « للتصوير في الفن النبوي مكانة أي
مكانة ، أعمد صاحبها في توصيحه وإفصاحه على لأحالة
العربية التي التقطتها مخيلته من البيئات العربية المخالفة ،
واختزنتها على مدى سني النشأة والتكوين ، فأما كان دور

(٢١٤) العمدة ١ : ٢١٦ ت محمد محيي الدين ط ٤ دار الجيل
بيروت ١٩٧٢ م
(٢١٥) اعجاز القرآن ط باقلائي : ٤٩ ط مكتبة الحلبي ١٩٧٨ م

البعثة كانت هي المرد الذي استغله بفطرته الخالصة وثقافته
القرآنية الجديدة ليفدى به بيانه في اقتدار » (٢١٦)

ومن الصور البلاغية التي كثر استخدامها في أساليب
الخطباء الاستعارة كما في خطبة الصديق - رضى الله عنه -
وهو يحدث عن القرآن ، ويبين مكانته في سعادة الناس :
« وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجايبه ، ولا يطفأ نوره ،
فثقوا به ، وانتصحووا كتابه » (٢١٧)

وفي هذا النص أراد أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -
أن يبين مكانة القرآن في النفوس وأثره في صلاح الأمم
والجماعات عن طريق التعبير الاستعاري في الحرف (في)
في قوله « فيكم » نجسيما للفكرة وتوضيحا لها ، ونقلها
للسامعين وأثره مشاعرهم وإمتاعهم بها ، وأريد به التمكن
والاحتواء ، كما جعل للقرآن نورا لا ينطفىء ، وهذا تجسيم
لمعنويات أو نقل المعقول إلى المحسوس أريد به التمسك
بكتاب الله عز وجل ، والالتزام بما فيه واتباع هديه ، إلى
جاء ، أنه جعل من القرآن شخصا ناصحا أميناً ينتفع الناس
بناصحه وتوجيهاته كما في قوله . « وانتصحووا كتابه »

واستخدم الصديق - رضى الله عنه - هذا الأسلوب
التصويري لأن التصوير « ينقل النفس من المعقول إلى

(٢١٦) تأملات في البيان النبوي : ١٤٢

(٢١٧) جمهرة خطب العرب ١/٧٢

المحسوس فتأتس به وترتاح له ، وذلك لأن أنس النفس
موقوف على أن تخرجها من خفى إلى جلى ، (٢١٨)

والتشبيه من الصور التى ورد استخدامها فى أساليب
خطباء هذا العصر وقد سبق بيان هذا فى خطبة الوداع .

ومما تميزت به الخطابة فى هذا العصر كثرة استخدام
التصوير أو المجاز لصاحب البديع فى عبارة واحدة
بهدف توصيح المكره ، وإمناح السامعين وإثارة مشاعرهم
ووجدانهم ، من ذلك ما جاء فى خطبة الإمام على - كرم الله
وجهه - التى يقول فيها :

« فب عجباً والله يمهت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء
المقوم على باطلهم ، وتمرقم عن حقكم » (٢١٩)

فتصح من النص مجيء الحبال مع البديع فى تعبير
واحد . فوجد الحبال هنا مصحوبا بنغم موسيقى ناتج عن
لازدواج فى قوله . « يمهت القلب ويجلب الهم » وهو كناية
عن الألم والمرارة ، وناتج أيضا عن المقابلة والحناس من
قوله : « اجتماع هؤلاء المقوم على باطلهم وتمرقم عن حقكم »
وسبق مما سبق أن الصور والمحدثات البديعة التى وردت

(٢١٩) التشبيه والتشبيه - د. يوسف - د. يوسف

الطبعة ١٩٦٣ م

(٢١٩) الدرسات والبحوث ، ٢ ، ٤٤ ، ٤٥

« في خطب هذا العصر كانت بعيدة عن التكلف والتصنع
المعاصر وبخاصة خطب الإمام علي فقد كان أول من عالج
الشؤون الإنسانية معالجة سديدة ، فخرج عن سنة الإبلاغ ومحض
مدح المصنعة التعدير ومن الأداء ، مستقام له أسلوب
مختلج ومتنوع »

وهكذا بدأ اثر الإسلام وأصبحا في خطب هذا العصر بما
أصفاه عليها من روحه ، وأمدتها من معينه ، وتأثرها بفراشه ،
وبعدين نبويه - صلى الله عليه وسلم - معذبت ألفاظها
وعصفت معانيها ، ورق حبالتها ، وارتقت شكلا ومضمونا ، وأداء
وتصويرا بعد أن غلبت عليها الجاهلية من ذي قبل .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل
والموتقى لما فيه صلاحنا في ديننا ودنيانا .

موقف الشعب
إزاء صراع الخارجيين
مع الدولة

د / أشس هارون عبد المجيد

ثانيا : الأسباب التي أدت لتتبنى

المشروع لهذه المواقف

١ - المخاوف الاجتماعية للضمراع

٢ - المعاناة الاقتصادية :

(أ) سياسة التجويع .

(ب) الكؤوس والإتاوات .

(ج) الحروب الاقتصادية .

أولا : المحاور الرئيسية للنقطة

مواقف المشعوب

☆ المحور العقائدي

☆ المحور العسكري

☆ المحور الاجتماعي

☆ المحور الكائني أو الجغرافي

أولاً : المحاور الرئيسية لمناقشة مواقف الشعوب :

- ★ المحاور العقائدى •
- ★ المحاور العسكرية •
- ★ المحاور الاجتماعى •
- ★ المحاور المكانى أو الجغرافى •

انضمت دراسات أعقاب الباحثين الذين تعرضوا لصراع
الدولة مع الخارجين في بحوثهم في البحث عن صور المساجلات
والمواجهات العسكرية والسياسية وأسباب النصر والهزيمة
والمواقف العمالية والسببية لطرفي الصراع . في الوقت
نذى خلفه فيه أغرب هذه الدراسات من التعرض لخصائص
الشعوب ومواقفها .

على أننا يمكننا أن نتعرض لمجموعة من الأسئلة في
إطار تلك القضية من أهمها هل كانت شعوب العالم
الإسلامي في تلك الفترة لها مواقف إزاء ذلك الصراع الذي
يدور بين طهرانيينهم ؟ ولأن كان يأيدهم ؟ وهل كان ذلك
الذي يد على مستوى واحد لكل الحركات أم لبعضها دون
البعض الآخر ؟ وهل توجه تأييد الشعوب للدولة في بعض
الأحيان ؟

ومن هذا المنطلق يكون مكره هذه الدراسة والتي حصر
أهم مواقف الشعوب إزاء صراع الخارجين مع الدولة في
ربيعه محاور رئيسية . عقائدية ومكرية واجتماعية ومكانية أو
جغرافية .

وانتهت هذه الدراسة بذكر أهم الأسباب التي أدت
لتبني الشعوب لمثل تلك المواقف المتباينة .

المحور العقائدى :

عند مناقشتنا لقضايا الفكر والتبعية المذهبية والعقائدية نعتقد أن الأمر سيختلف اختلافاً كبيراً عن مناقشة قضايا الحرب والنوعية العسكرية حيث أننا يمكننا فى قضايا الحرب التصنيف السريع الواضح لجموع المقاتلين والمفحازين عسكرياً لجبهة ما .

أما هى قضايا الفكر فإن الأمر سيختلف حيث يصعب صابعه تصنيف الأعضاء والاتباع وأعدادهم ومدى انتمائهم فى ظل ظروف متغيرة مع ما يصاحبها من تنقل وترحال سواء كان هذا التنقل تابع من سياسة الفرقة ورعيها أو بحثاً عن الأمان وبعداً عن الاضطهاد السياسى والمكرى الذى يمكن أن يمارس ضد أبناء تيار معين فى ظل ظروف معينة خاصة أو مستحدثة كتغير هواء الحقائق أو اندماءات الخلفاء أنفسهم بتدهيتهم هم أنفسهم لنيارات معينة يعملوا على نشرها وصرب غيرها من تيارات ومذاهب أو أفكار ، وبناء عليه فإن الفرقة الواحدة قد تمر بظروف متباينة من هذه التبعية الفكرية والاندماء الشعبى لها حسب مساحة الحرية الفكرية التى يمكن أن يكفلها كل خلية وحسب مجموعة الظروف والملايسات المحيطة سواء كانت فكرية أو سياسية أو حتى اقتصادية .

والنظر احركة الاعتراف يستطبع أن يدقشعر بسهولة

هدى الجهد الذى بذله الحركة فى سبيل الحصول على التأييد الشعبى والانتشار الجماهيرى ، حيث لم تترك الحركة أى فرصة تتيح لها إلا واستغلتها والغريب فى ذلك أن المعتزلة فى سبيل ذلك الانتشار أوجدوا الكثير من صور التطور فى الممارسات والأساليب التى كانت مجهولة وغير مطروقة من أبناء المجتمع الإسلامى فى ذلك الوقت ، وأول ما يصادفنا فى ذلك هو توظيف المسجد . حيث لا يخفى أن جموع المسلمين لابد وأن نرناد المسجد لصلاة الجماعة يوميا ومن ثم يكون هذا التجمع الشعبى فرصة سانحة لإلقاء بذور الأفكار والدعوة لها وشرحها بل وتبليغ المناظرات التى تخلق فى النفوس على الأقل محاولات التفكير وأعمال العقل فيما يقال ، نتحدث بعد ذلك عماية التبعية الفكرية خاصة اذا تكررت هذه الموافف إتحدثت فى النهاية ما يشبه عصيل المخ فتتوحه جموع الناس لهذا الذكر لتأخذه بتلقائية .

وإذا كان المعتزلة قد وظفوا المسجد لهذا الدور فى الحصول على التأييد الشعبى من جموع الناس (١) إلا أنهم كانوا أوسع وأعمق نظرا عندما شغلوا بقضية النشأ وعملوا على أن يوجهوا جهودهم لتربية ذلك النشأ منذ البداية على هذا الفكر (٢) .

(١) الكندى : أبو عمرو محمد بن يوسف المصرى ت ٣٥٠ هـ :
الولاية وكتاب القضية ص ٤٤٧ طبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨ م
(٢) ترجمة الامام أحمد بن حنبل ص ٥١ دار الومى حلب نقلا عن
تاريخ الإسلام للمحافظ الدهمى . أحمد جاب الله : التربية والتعليم ص ٥٢
مقال لمجلة دراسات فى الحضارة الإسلامية ج ١ - ١٩٨٥ م الهيئة
المصرية العامة للكتاب .

ولا بد من أنها فلسفة حظيرة كفسلة بقلب مواردين القوى
الكرية في أى مجتمع في فترة وجيزة بحيث يمكن في خلال
هذه الفترة الوجيزة صيغ مجتمع بأسره بتيار مرقه معسلة لو
وجهب هذه الفرقة جهردها للصبيان والصغار .

ومد كان ! فقد وحه المعتزلة جهودهم لتعليم الصبيان نفس
هذا الفكر بحيث ينشأ الطفل مفتنعا به مؤمنا بقيادته ومتبعاً
لها تحت أى ظرف من الظروف .

وإذا كانت اليهود مع الكفار ثم نصر و كانت ثمرتها
صغيرة فالإمساك بالحد ل اقادم فرصة سبباً ثمة يحسن
استغلالها .

وتجدر الإشارة إزاء ذلك المعتزلة الذى استغل كل فرصة
لتوجيه الرأى الشعبى وخلق بيار مؤمن به وبفعل له ، على أن
هذا الفكر لم يقصر نفسه على أبناء الطبقات الشعبية وكفى
وإن كان هذا مهماً إلا أنه استطاع أن يغزو دار الخلافه نفسها
من نفس المنظور الساسى الا وهو منظور التعليم وتربية السوء
بترجيح يد الاعترال لشخصيه الأئمة نفسها وهو فى سن
السليم والتربية فحونه . مما كان سبباً فى افتقاره بهسدا
الفكر ، ولا يخفى أنه قام بدوره بعد ذلك فى صيغ المجتمع كله
بصيغة فكر الاعترال وحقيقه فإن ما سبق من حديث يفهم منه
أن فكر الاعترال ألقى حيوطة حبه التبار الشعبى فى محاولة
لاحوائه وإكثاله على ما يدرى بم يوفق فى هذا الانجاء فعمد الى
سبباً استغنى الطويل . يدرى ذكره فعالم البشر الخلق جليل

جند كامل يؤمن بهذا الفكر . وكان المأمون أحد أبناء هذا
الجل الذي عزاه فكر الاعتزال وحواله بده (٣) .

على أن هذا السحب بغير دليل هم إلا وهم هل انصرف
جهود المعربة في خلق ديار سعى يؤمن بهذه الأفكار وبتدو
بها ؟ والجبهة تؤكد أن المعربة مثلوا في ذلك بدليل ما وصح
إبان محبة القول بخلق المران حيث تشكل من طبقات السحب
على مختلف أشكاله ما يشبه الأغلبية الصامتة التي رفضت
هذا الفكر ولمعطيه ولكن للأسف الشديد (٤) في صمت وكيف
يستطيع الجاهل بذلك الرضى وديف الدولة مسيطر على
الرفاق لاحداث الرؤوس والأرزاق من لا يؤمن بهذا الفكر
لا رزق له في الدولة ولا عمل (٥) ولا أدل على ذلك من هذه
الجموع لى كانت برعب في حضور دروس احمد بن حنبل
بعد عمو الدولة عنه مما دعا الدولة لأن دامره باجتماع
المجموعات وعدم سماء الدروس (٦) وكذلك فإن الجموع التي
حصرت حنارته هي خير دليل على مثل فكر الاعتزال في أن
يستجيب جموع الناس له أو يحتويهم .

(٢) في رأي أنه من لواحق تاريخيا فتح ملف الصراع بين الامين
والمأمون نليبحث عن بيت المأزلة هي هذا الصراع وهل كان لهم دور في
ايحاده وانكاه ناره بحثا عن قصه الامين والابن المأمون صاحب
فكر الاعتزال قضية هذه جدا

(٣) ترجمة المأمون ص ٢٦ - ٢٧ عن تاريخ الاسلام
للحافظ الذهبي

(٤) ابن خلدون في الكمال ص ٢٢٢

(٥) ابن خلدون في الكمال ص ٢٢٢

ولا ادل على حصفه الموقف الشعبي المعارض لفكر الاعتزال والرافض له عامة وفي القول بحلق القرآن خاصة مما صرح به أحمد بن أبي دؤاد نفسه عنهما فام أحد أتباع المعتصم بعرض عليه أن يقطع رأس الامام أحمد أمام جماهير الناس التي شهدت هذه المحاكمة التاريخية . حيث قال بن أبي دؤاد : « لا بأمر المؤمنين لا تفعل ما به ان مثل او مات في دارك قال الناس صفر حتى قتل فأتخذوه إماماً وتحدثوا على ما هم عليه » (٧) .

وهي كلمات تؤكد الميابة الجماهيرية الصامتة للإمام أحمد في موقفه والرافضة كل الرفض لفكر الاعتزال ولكنّه كما قدمت الرفض لسلبى . حتى ان جماهير المسلمين كذب يؤدى صلاه الجماعة خلف أئمة المعتزلة وتعود لتعيد صلاها مرة أخرى في المنازل (٨) .

على ان الدولة نظرا لتنوع الراى العام الشعبى لفضية محبة اخراج بن حنبل امام جماهير الناس بعد أن أحضرت ماريه وحيرانه وأهل الحل والعقد وشهدت على خروجه حيا من دار الخلافة (٩) بعد ابتلائه بمحنة القول بحلق القرآن وما لاماه فيها من صنوف العذاب وحفيمة فان الدولة استطاعت ان توهف عمار ثورة عارمة لو مثل بن حنبل في محبسه .

(٧) ترجمة الامام أحمد ابن حنبل ص ٤٨ نقلا عن تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي .

(٨) نفس المرجع ص ٥١ .

(٩) نفس المرجع ص ٥٠ .

والدارس لماريح الحركات الفارسية يلمت نظره تنوع
موقف الإقبال الداعي على هذه الحركات حسب ظروف الزمان
والمكان والاتجاه الفكري وغيرها .

فالبابكية فسدت في الانحدام بالحماس مير في حواضر
النبوة التي سسم بالزواج العلمى والثقافى والحضارى
المصبوع بالصيغة الإسلامية ولكنها عندئذ طورت نفسها
ولم تقف مكتوفة الأيدي أمام فقدان التبعية الجماهيرية
والانتشار الشعبى فى هذه الأوساط فاخترعت حيلة خطيره
ستطاعت من خلالها ان تحقق الانتشار الشعبى والتواجد
بين الجماهير .

وبمذات هذه الحيلة فى اللجوء لأطراف الدولة العباسية
حدث المراج العلمى والثقافى وغياب الصيغة الإسلامية هذا
بالاضافة الى حدانه الإسلام فى هذه المناطق ووجود بقايا
الدبسات المدمجة بين جموع الناس فى هذه الأماكن .

ومن تم حققت البابكية فى هذه المناطق انتشارا سريعا
وواضحا ووجدنا حركة انضمام ضخمة من أهالى الجبال
بناحية أذربيجان (١٠) وهمدان (١١) وأصبهان (١٢)

(١٠) أذربيجان : بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة
رياء ساكنة وحيم وفيل معناها بيوت النار . ومن أشهر مدنها تبريز ،
خوى ، ملباس . ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ١ ص ١٢٨ .
(١١) همدان : بالتحريك وذال معجمة وآخره نون . كان فتح همدان

ومما سبق (١٣) مع بنوع (١٤) لأحناس لجموع الناس الذي انضممت لهذه الحركة فانضم الكرد والأرمن وغيرهم ، (١٥) .

واستطاع بذلك أن يعقد عدة اتفاقيات مع تدوحيب — امبراطور الروم لضمان الاستقرار والانتشار في تلك المناطق مع امكانيه التوجه لتقسيم الجبهات اصعابا لحارب المسلمين .

وعصفت بحركه على عقد الاتفاقيات مع بعض فواد الدولة العباسية (١٦) وبعض (١٧) ولايتها تحقيقا للانصارات وجلبا لالتباعد وسعياء على الدولة ، إذ لا يخفى ان تحقيق الانصارات مع ما جمعت من نتائج عسكريه وماديه مهمه له اثره الكبير في جموع الناس وعامتهم الذين يأخذون بمثل هـ —

في حمادى الاولى على رأس سنة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان الذي فتحها المعيرة بن شعبة . ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٠ .

(١٢) أصبهان منهم من يفتح البصرة ومنهم من يكسر مدية مشهورة من أعلام المدن واعيانها . وهي اسم للاقليم بأسره وهي من فواحي الجبل .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ١ ص ٢٠٦ .

(١٣) ماسدان : فتح السنين والبياء الموحدة والذال مصححة وجره تون ، فتحت على يد ضرار بن الخطاب عام ١٦ هـ . ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٥ ص ٤٠ .

(١٤) الاسفرائينى : عبد القاهر بن طاهر بن محمد لبيداتى ت ١٢٩ هـ الفرق بين الفرق ص ٢٠١ ط بيروت ١٩٨٥ م .

(١٥) قدورة : د/ زاهية - الشعوب واثرها الاجتماعى والسيسى في الحياة الاسلامية في العصر العباسى الاول ص ٢٤٥ ط ١ بيروت

(١٦) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٥٢ .

(١٧) نفس المرجع والحيزه ص ٢٨٢ .

لأنصاره ويسمّعون أن الحق والامتنان والامن مع هؤلاء المنتصرين. وحماش الفريج يؤكد أن البيكية، سنطاط بحقيق الكثر من الانصارات وقضت على الكنبرين من امهر واشهر فزاد الدولة العباسية (١٨) ، كل هذه الأمور كانت سببا في كثره اسما ونشاعهم وبواجد الذاييد الشعبي والتبعية الجماهيرية بين جموع الناس .

ولا أدل على مدى نجاح البيكية في بسط سيطرتها على جماعات صخره من الناس ومن تحقيق قدر مذهب من الانصارات العسكرية والتبعية الجماهيرية من بقائها أي حركه بابك - ننظر في عظام الدولة العباسية ومكرها مده ، وروى العشر من عاما في ظل قيادة بابك الخرمي .

وبناء هذه الحركه بعد المضاء على بابك لفترات طويلة كما ذكر السفدادي (١٩) والغريب أن لهم مساحدهم يؤدنون قبها ويعلمون أولادهم الفران . نكهم لا يصومون ولا يصلون ولا يرون جهاد الكفرة .

وسيصبح أن نصرب مثالا آخر للحركات المدسية بحركه المصع فإنه بالرغم من أن المقنع من مرو إلا أن حركته لم تاول الانصار الشمس والنبعده الجماهيرية إلا من أهل الجبال

(١٨) م. ليكر مراجعة أحداث سنة في الطبري حتى سقوط مدية

(الف) م. ٢ من ٢٤٢ .

(١٩) الفرز بين المشرق من ٢٠٢

والأطراف في منطقة جبل ابلق وقوم من الصفد والتوك (٢٠)

وكذلك فإن الحركة استطاعت أن تبتعد عن أرض التجمعات الثقافية والدينية وأن تنتشر بين طبقات العوام وجهال الناس وأصحاب الحرف البسيطة خاصة إذا امتزج هذا الجهل بما كان يصنعه المقنع من خوارق وحيل هندسية خالت إلى الكثيرين من هؤلاء العوام . ومن ثم فقد وجدت الحركة من يعينها ويتشرب فكرها ، ولا أدل على ذلك من بقاء هذه الحركة مدة ترمو على الأربعة عشر عاما وهي تقابل جند الخلافة وتقتل من أبنائها وقوادها الكثيرين .

ومما بلغت البطر أن الحركة بالرغم من القضاء على قائدها وحصارها في ملعة كش واستئصالها إلا أن جموع المتبعين لها والذين بقوا حتى عصر الاسفرائيني البغدادي كانوا كثرة لا يستهان بها وتنتشر بينهم عادات المقنع من استئصال الميعة ، وأكل الحبر ، والحربة الجسسية ، وخلاف ذلك بالرغم من وجو المساجد في فراهم (٢١) .

كل هذه الأمور تؤكد أن المقنعة استطاعت اغواء الكثيرين من عامة الناس وبسطانهم وحققت انتشارا شعبيا لا يستهان به. بعد بقاء هذه الأجيال في مرى خاصة بهم لمتترات متأخرة تؤمن بهذا الفكر ونعيش به في ظل الحكم والحكومة الإسلامية .

(٢٠) نفس المراجع ص ١٩٥

(٢١) الاسفرائيني الفرق بين الفرق ص ١٩٦

ونستطيع أن نقول عن حركة المازبار أنها تعد امتداداً
لحركات العارسية من ناحية ومقنعة وغمرها واستطاعت
أن توحد الكثير من الأتباع في مناطق جرجان (٢٢) وعاشوا
هناك مرات طويلة حتى بعد القضاء على مازبار في عهد
العتصم وصلبه ، سر من رأى ، بجوار بابك الخرمي إلا أن
جموع متبعيه من أهالي هذه المناطق بقوا يطهرون الأسلام
ويبطنون الكفر (٢٣) .

(٢٢) جرجان : بالصم وأمره نون ، مدينة عظيمة بين طبرستان
وحراسين ويقال أن أول من أحدث سائح يريد من الهلب من أبي صبرة
يأبوت الحموي معجم البلدان ج ٢ ص ١١٩ .
(٢٣) لاسفرائيلي : الفرق بين الفرق ص ٢٠٢ .

المحور العسكري :

يعتبر المحور العسكري محكا رئيسيا بين أى مدى
مبايعة مواقف المشجعون من نظريتها للصراع الدائر بين
الدولة والخارجين عنها مختلف سياساتهم ومذاهبهم .

وهي رأيى ان مقامه هذا الامر يستوجب الفصل بين
هذه المواقف المتباينة لتقارب الشيعى . وذلك بعرض الدبر
المؤيد للحركات منفصلا عن الخيار المصارص خاصة إذا دار
احديث عن الصراع العسكري .

ومن أهم صور الخيار المؤيد ما ذكره محمد النفس الزكية
صراحة إبان منامه بحركة من المدينة ووسط حماهيرها من
إحدى خطبه من أنه ما خرج بين ظهرانهم إلا بعد ان احذت به
البيعة في كل أمصار الدولة العباسية كما كان يركز على
حراسان (معقل التأييد الشيعى الجارف للعباسيين) وكان
يعول . (اهل خراسان على بيعتى) (١) إلا أن اسروايات
التاريخية تذكر أن المنصور أشاع أنه هو الذى امر بمكنته
محمد حتى يغرى بالخروج بعد ان يبدشمر بهدى التأييد
الجارف الذى ينتظره فى حائه خروجه ، يؤكد ذلك إسناده

(١) البلاذرى : احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ . انصباغ
الأقرب ج ٢ ص ١٠٦ تطبيق محمد باقر المصمودى ج ١ - بيروت .

المنصور بنفسه عندما سمع خبر خروج النفس الزكية
بالمدينة لأنه هو الذي استطاع أن يخرج الثعلب من جحره .

وختمة فإن مجريات الأحداث وتطوراتها يفهم منها أن
الموقف الشخصي في المدينة يغير أو مر بمرحلتين

الأولى تلك التي كانت في بدايات الثورة حيث توبلت
بالتأييد الشعبي الحارغ من جميع طوائف المجتمع في
المدينة وحصل خلالها قائد الثورة على بيعة مجتمع المدينة .

أما المرحلة الثانية فقد كانت عند مجيء عيسى بن موسى
بموافقة لضرب الثورة وحصار المدينة ، إذ حل النفس الزكية
من سجنه من يديهم فتوجهت الحشود الشعبية تسفوح
الجبال تاركه المدينة النفس الزكية وبعض كبار متبعيه
وباصريه .

وبسبب أن يلمح أهم صور التأييد والتعاطف الشعبي
مع الخارجيين في حركة إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن في
البصرة ، حيث استطاعت هذه الحركة أن تستولى على
كثير من مدن الحلاء العباسية وأن تصبح لدى وملك إسقاط
الحلاء العباسية نفسها بمصل حطة إبراهيم التي كانت
تعتمد في الدلائل الشعبية المعاصرة مع هذه الحركة

فالإشارة أن الحطة العسكرية كانت تعتمد على الأساليب

على ثلاثة من أهم حواضر الدولة العباسية في تلك الفترة وهي واسط (٢) والأهواز (٣) وفارس (٤) واستخدام الكتاب البشرية الشيعية بل وغيرها من المنحوفين والمجتمين في هذه المناطق كمواثق يومف تقدم مواب العباسيين في الوقت الذي يتركز هو عليه على مشارف البصرة وبصبح من الواجب على العباسيين أن يمرروا على هذه الحواضر ويسحقوا تحريك الثورة فيها قبل الاتحاد لأبراهيم وحربه .

وحقيقة فإن المنصور كاد أن يقتلع الطعم فنراه يرسل القوات للكوفة ثم واسط بقيده عامر بن اسماعيل المسلمي وفوات أخرى للأهواز بمباداة خازن بن خزيمة ، إلا أن المنصور استطاع في اللحظات الأخيرة أن يستوعب خطة إبراهيم لنشوب قوات الخلافة في حرب التجمعات الشيعية الشيعة في حواضر المدن ، بحيث تتمكن قوات الشيعة بعد ذلك من هزيمة جيش المنصور في البصرة عند اللقاء الأخير وبصبح سقوط بغداد لفحة سائغة في يد إبراهيم وقواته .

(٢) واسط . تطلق على عدة مدن ولكن المقصودة هنا التي بين البصرة والكوفة لتوسط بين البلدين . ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٤٨ .

(٣) الأهواز . جمع هوز وأصله حوز . وهي اسم للكورة والبلد الذي يعصب عليه الاسم سوق الأهواز : ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤) فارس . ولاية واسعة من أهم كورها أصطخر وأردشير فتحت في أيام عمر واستكمل فتحها أيام عثمان رضي الله عنهما . ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٢٧ .

ومن ثم فقد حرك المصور قوائمه لإبراهيم مباشرة بعد
إيقاف القتال في واسط والأهواز (٥) .

والحملة الداربيجة اسجل أن تسابن التعطـاـطـف
الجماهيري على مستوى أحواله العامة في تلك الفترة
كأن يفقد الحامه العباسية دنيا وعرشها حيث أفلت
أجماهر على نور إبراهيم في البصرة والأهواز وفارس
وواسط والمداين والسواد (٦) وأيجتها .

كما كتب مصر في ذلك لشهره ميته شررب العرب
والقبط ، كما لا يستطيع أحد أن يدرك مدى التعطـاـطـف
الجماهيري في الشام ليدى فيه ، وبأين أسدع في الحجار
والبن بين حب لعدده ولذات ومناج السـمـوزات
القديمة ، ونظرة إجمالية للوضع في تلك الفترة فسـنـطـيـع
ن نفهم منها إمكانية سقوط الدولة العباسية على يد حركة
إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، حدث ثم سبق للعامة من
سرى حرسه بعد أن تشرب وتباينت رؤى القـسـوى
الشعبية والجماهيرية بصورة أصبحت كلها في صـحـ
الخارجين ضد الدولة .

(٥) ابن الأثير : أبو الحسن علي بن الكرم ت ٦٣٠ هـ ، الكامل
في التاريخ ج ٥ ص ١٧ - ط/٢ بيروت .
(٦) الطبري : محمد بن جرير ت ٢١٠ هـ ، تاريخ الأمم والملوك ج ٢
ص ٢٥٦ بيروت .

وهي حثيث الطبرى (٧) عن ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عفى بن ابي طالب بالديلم (٨) ذكر صريح لرؤية جموع لناس الواضحة من الصراع تلك الرؤية المؤيدة للحركة والمعركة بالدولة مع دل ما يمكن ان بحمله هذا من صور التنكيل والمطاردة بهذه الجموع في حالة فشل الثورة .

وحقيقة فبالرغم من نظرف الكان وعدده ووجوده في مناطق نائية عن الثورة إلا أن هذا لم يمنع جموع الجماهير من التحرك ، لموع نمركز الثورة في الديلم ، لا مرق بين أبناء الأمصار الرئيسية ، و لى المرحبه مما يشعروا بمدى اندابيد الشعبى الحارف لهذه الحركة وسنطبع أن بفهم صحامة النابيد الشعبى في موقف الرشيد الذى اغتم لهبده الحركة ورصد لها من الأموال والنفوذ الشئ الكثير وباب يخطر انحسار خطرهما بصوره يؤكد مدى قوة هذه الحركة وخطورتها . كما سجلت كتب التاريخ صور متعددة لفرجه الرشيد بانحسار خطر هذه الحركة عن طريق الصلح الذى أبرمه الفضل بن يحيى البرمكى مع يحيى بن عبد الله بن الحسن (٩) ، وبالرغم من عوده يحيى بن عبد الله مع الفضل إلى دحنى إلا أن جموع الجماهير لم تنقطع في الإتيان

(٧) تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤٥٠ .

(٨) الديلم : اسم ماء بنى عيسى . قل عثرة : زوراء تنفر من حياض الديلم . ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٢ ص ٥٤٤ .

(٩) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٩ ص ٤٥١ .

لبحي والسلام والدخول عليه (١٠) مما يؤكد مكره العاطف
الشعبي والتأييد الجارف للثورة ولشخصه بحبي من
عبد الله .

وبدع ان نضيف لما سبق محاولات الحركات لكسب
العاطف الشعبي والحرص على . وهي نعم ما يمكن ان
نقدمه لشعوب حركات الخارجين خاصة عندما يقتنع بفكره
معينه فانها تذل في سبيلها الغالي والرحيص ويد لاحظ هذا
(حسين صاحب مخ) فنراه يتواعد مع اصحابه في الخروج
على الدولة في موسم الحج (١١) املا في أن يكون لهذا
التواحد الشعبي الضخم من جماهير المسلمين دوره في
الامساع بحركته والاضمام إليها ومن ثم تسهل عليه إسقاط
الدولة بعد ذلك بهذه الجموع الغفيرة من أبناء المسلمين .

واسطاعت حركات الموصل ان تجمع شمل العرب في هذه
البلاد بصورة لم تحدث من قبل واستحوذت على كل العاطف
الشعبي . ثم عوت السياسيين ، يؤكد هذا ساحات المعارك
التي كانت أرضها المساجد والأسواق مع ما فيها من تواجد
سكاني وبشري (١٢) مما يؤكد إقبال سكان هذه المناطق على
تأييد هذه الحركات والوقوف في وجه الدولة على ان يمس
بهم . لاحتدت بكررت مع ابو السرايا في الكوفة (١٣) كم

(١٠) نفس المرجع والجزء والصفحة .

(١١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٧٥

(١٢) الديوحي : سميد : تاريخ الموصل ج ١ ص ٦٠ وما بعدها .

بغداد ١٩٨٢/١٤٠٢

أجانب الحركات في بغداد عند حركتها للكرخ ، بحثا عن التأييد الشعبي وبعدا عن مطلق المركز العباسي (١٤) .

وهي صراع الأمن والأمن انخار عامه الناس وجموع الشعب للأمن العربي ضد برايد الوجود والتدخل الفارسي المتمثل في الأمن وحركته وشهدت بغداد كيف وضعت جموع الناس بزعامه حركات العيارين والسطار والعوام في وجه زحف هواب ظاهر من الحسين مع كل ما يمكنه قواب ظاهر من عدد وعده وكيف صارت أركان بغداد من مساجد وكنائس وأنهار ودروب ومصور وأسواق أماكن للمعارك العسكرية التي قادتها الجموع الشعبية من طبقة العوام على محذوف أنسكالهم ، من طرار وسواط وبطاف ومن المعروف أن هـ ، الجموع هي الأندلس إلى حرس المعركة الشعبية (١٥) عر النظامه ومن ثم تعدد شعوا حتى آخر لحظة في صف الأمن وفرائد الأمن ، حيث لم يكن أمامهم إلا انتفاض المدييه وما تسليبونه من موب طاهر النظامه كمصادر تمويل لحركتهم الشعبية (١٦)

كما طلب إجراء المدييه من مبان وحواشط وابواب صورة من أهم صور الحماية لهذه القوات الشعبية البسيطة وذكر

(١٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ١١٧
 (١٤) د/صلاح أحمد . بغداد مدينة السلام الحائز الغربي ج ٢ ص ٢٥ عدد ١٩٨٥ م .
 (١٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٧١ .
 (١٦) نفس المرجع ونجزة ص ٥١ .

الطبرى (١٧) صراحة بوعية الفاطميين من هذه الجموع الشعبية عتقوا . وذلك الاحقاد وتواكب عن السائل إلا باعه الطردق والعراء وأهل السجون و الأوباش والرعاع والطارئين و أهل السوى وإصناف إليهم الطبرى المهش والأفارقة .

وكن للتوجه المعنى الرافض لبقاء قواب الأتراك الخاصة بالمعصم أثره في الانفعال لسامراء (١٨) ومرك بغداد خاصة وبى بقاء هذه القواب بد بكفهم الكثير من جراء محاولات الانشقاق والاعتداء عليهم من قبل حمسوح الناس في بغداد .

وبدا كان ما سدى من حذب بذور حول ذكر التمسار . من أريد للتجارحين في صر بهم مع الدولة فابى أود في الصعاب السالبة أن أعرض لخصص وعنى يوسف الشعبى المعارض لحركات الحارجدن .

وإن الامنة التى يمكن صرنها توجه الكثير من حركات الخارجين إلى أطراف الدولة العباسية تاركين قلب الدولة وأهم الأمصار . ولا يمكن أن يفسر هذا إلا على أنه استئثار من هذه الحركات بمدى الرفض الشعبى لها فى هذه المناطق ومعداتها لأرضيه صالحة وتوية من التمساطف

(١٧) نفس المرجع والجزء ص ٥٢ .

(١٨) د/غريال مصطفى : البيت العربى في العراق في العصر

الاسلامى ص ٦٦ - ٦٧ بغداد ١٩٨٣ م .

الجماعيرى يمكنها من المعابشة والتحرك وتنفيذ المخططات مع عدم تلاضرار بها بالتبليغ أو الانذار أو المصادمة .

على أن لا نستطيع أن نغفل دور ملوك الأطراف في إيواء هذه الحركات وشمولها بالرعاية والعطف والتمويل المادي والعسكري خاصة وأن ملوك هذه الأطراف هم يضم الكثيرين منهم فروع الطاعة للدولة مثل ملوك أسروشنه (١٩) وفرغانة (٢٠) ولم يحدث هذا إلا في تصر ولانه المأمون على خراسان عندهما استنصر بحظوره هذه الأطراف وإيوائهم لحركات الخارجين الفرس بالأخص (٢١) ووصل الأمر لحد إعطاهم العسكري بين الدولة وملوك هذه الأطراف لإيقاف تأثير هؤلاء في مجريات الأمور بإيوائهم لزعماء الخارجين وتمويلهم (٢٢) .

ويلاحظ أيضاً أن حركة بابك الحارمي بطرا تبطسرف أفكارها لم تستطع أن تعاضد الوسط الجماعيرى في الكور ولا مصار ، لأنها وجدت كل مقاومة من أهل الامصار

(١٩) أسروشنه : مدينة بما وراء النهر بالفتح ثم السكون وضام الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وبنون ياقوت الحموي . معجم البلدان ج ١ ص ١١٧ .

(٢٠) فرغانة بالفتح ثم السكون وعينه معجمة ف مدينة ومبسمة فيما وراء النهر . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٢ .

(٢١) درثولد هاسيلي فلابديمير وفتش : تركستان من الفتح العربي إلى العزو المعولي ص ٢٢٢ . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ج ١ الكويت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

(٢٢) نفس المرجع والجزء ص ٢٢٤ .

الرئيسية لهذا الفكر الغريب الشاذ ، ومن ثم فقد لجأت
أيضا لهذه الأطراف واستنطعت مع مجموعة أخرى من
العوامل الجغرافية والمناخية وغيرها البقاء لفترة تربو على
العشرين عاما وهي محارب الدولة العباسية . على أن القائد
الوحيد الذي استنطاع أن ينصر على هذه الحركة كان من
نفس هذه الأماكن وهو أعلم بطبيعتها (٢٣)

وبالرغم من ظهور مرفه الخوارج في أرض العراق إبان
الصراع مع الإمام على (رضى الله عنى) إلا أنها في مسيرتها
نحدها قد تمركزت في أطراف الجزيرة العربية والشمال
الأفريقي أكثر من أى مكان آخر وهي مناطق تبعد عن أماكن
التجمعات السكانية العامة وحواجر المدن الرئيسية في دولة
الخلافة .

ويمكننا أن نفهم من ذلك أن الخوارج وإن كانوا قد
وجدوا في بدايات تواجدهم صورا من التأييد والتعاضد
الشعبى إلا أن ما لافته الشعوب من أفعال هذه الحركات
وم حربه هذه الحركات عليها من ويلاب - على ما يبدو - إلى
غرض من أسباب أفقد مرفه الخوارج عوامل التأييد
والتعاضد الجماهيرى وحتم عليها اختيار الأماكن الحواء .

(٢٣) الأفشين : أبو حيدر بن كاوس من أسروشنه ، الخضرى ،
الشيخ محمد : محاضرات تريح الأمم الإسلامية والدولة العباسية
من ٢٢٧ مصر ١٩٧٠ م .

ونظرا لشراسته الخوارج في الشمال فقد استأنفوا بعد الدولة العباسية في الشمال الأفريقي بعد احجام المشاركة الشعبية بدليل أن أكبر حركات الخوارج حدثت عندما خلب ثريممة من الحند وذلك عندما توجه عمر بن حفص أبناء مدينة طبنجة بأمر المنصور (٢٤) حيث انتفضت أفريقية فقتل حبيب بن حبيب الهامى والى القيروان على يد أبى حاتم الأنصى واتجه الوليد بن طريف الشاربي الخارجي إلى أرمينية (٢٥) بعد فتنه إبراهيم بن حازم بن خزيمه بنصيبين (٢٦) من بلاد الجزيرة (٢٧) . ونظرا لعباس العصور الشعبية وعوام الناس فقد تمكن الخوارج من فرض لحصار على عمر بن حفص في القيروان حتى اضطر للخروج وقتال الخوارج في قرية حدر مكائنة وقتل على أيديهم (٢٨) .

ومن أوضح الصور التي سجلها التاريخ والتي تمثل عدم المشاركة الشعبية في الإحجام التام والبعد الكامل عن

(٢٤) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢١ .

(٢٥) أرمينية : بكسر أوله ويفتح . وسكون ثانية وكسر الميم وياء ساكنة وكسر الدوز وياء خفيفة مفتوحة .

اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال وقيل إنها أرمينيتن الكبرى والصغرى وقيل ثلاث وسيل أربع ياقوت الحموي معجم البلدان ج ١ ص ١٦٠ .

(٢٦) نصيبين : بالفتح ثم الكسر . مدينت عامرة من بلاد الجزيرة على حافة القوافل من الموصل إلى الشام . اختلف فيمن فتحها من المسلمين والأصح عيص بن عم عام ١٧ هـ عندما فتح الجزيرة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٨٨ .

(٢٧) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤٦١

(٢٨) المرجع السابق والمزم ٣٢ .

سبار الحروح ما حدث إبان ثورة السودان من أهل المدينة
بأنهم من منتهى المورد التي فهم منها مدى الظلم العاجز
الذي مارسه حدد الخلافة العباسية على الأهالي وعامة الناس
من صباح ونهار وأرباب حرف على مختلف صنوورهم
وشكالكهم ، حبث امتنع هؤلاء الجنود عن دفع فيمنهم
مشروباتهم بعد الحصول عليها من النجار بل وعتدوا على
من يطالب بحقه مما كان سببا في تفجير هذه الثورة بالمدينة ،
إلا أن الظروف العامة المحيطة قصبب اظافر المشاركة الشعبية
وأحمدتها والتي كان من أهمها الممارسات السيئة التي عامل
دها المنصور أهل المدينة بعد ثورة النفس الزكية ، سواء كانت
هذه الممارسات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية ، ما بعيننا
أن أهل المدينة بعمر النرس و سبر عبوة وبم يكربوا فسند
اموا منه . ما فكيب سندر على من هذه المشاركة في تلك
الفتنة التي دأب ، فعندوا على أن يقفوا موقفا حازما من
هذه الحركة بل ونشروا على معاومها بأنفسهم إذا لزم الأمر ،
حتى أن حر رعمه المدينة (٢٩) أنى مك حديد بعد إخراج
السودان من سحر وحسن عرض الإمامة رفضها حتى
لا أنهم من إمامة الصلاة فادنه الحركة ومسؤولينه عنها ،
وذلك فراه على من خطبه براءته من هذه الحركة وعدم
مسؤوليته عنها بل ودعا لطاعة المنصور وإفراار بيعته وحذر
من الفتنة (٣٠) ومما قاله في خطبته (٣١) : « أتشحكم الله

(٢٩) اسمه أبا بكر بن أبي سبرة وكان في السجن مقابلا له على
مشاركته في ثورة النفس الزكية أثناء ثورة السودان . ابن الأثير . الكامل
ج ٥ ص ١٢ .

(٣٠) البلاذري . انساب الأشراف ج ٣ ص ١٢٠

(٣١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٢ .

وهذه الدلائل التي وقعت قوالله ان ثبتت علميا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الاولى انه لهلاك البلد وأهله ، وأعتقد أن هذه العبارات على الرغم من قلنها الا أنها فلسفة الأمر كما ويختصر الكثير من الأحداث والمواقف التي تبين بوضوح كيف تدهورت طبيعة اهل المدينة بالنسبة لقضية مشاركه الخارجيين وخلق رأى عام شعبي يؤازرهم وينتفض لهمم ويضحي معهم ليكونا في النهاية اصحاب مصير واحد اشتراكا في النعم ويرغبا في الشر .

وفي بحثي عن مكره دحرج او تدهور العلامة العامة والنوحة الشعبية بين شعب المدينة وحركات الخارجيين تقابلنا ثورة الحسين صاحب مخ والتي شهدت هي الأخرى موشا شعبيا يستحق أن يذكر ، إذ انه يسجل عليه انه امنع تماما عن المشاركة ، ليس هذا فحسب بل انه قاوم هذه الحركة قدر استطاعته وحاول إيمان مسيرتها وما هو الطبري يسجل مدى الإحجام الشعبي عن المشاركة والرمص الشعبي لها ويستطيع أن يرجع ذلك خصوص لنين منها هذه المواقف .

ففي أول ظهور اسركه يذكر الطبري (٣٢) : « أن أتباع الحسين استطاعوا أن يفتحوا مسجد المدينة ويؤذوا للصبيح بعد أن جلس الحسين على منبر المدينة ومد اكتفى بعمامة بيضاء وجعل الناس يقرن المسجد فإذا رأوه رجسوا ولا يصلون » .

وبينهم من حسب الطبرى الإحجام وعدم المشاركة حتى
أن الناس امتنع عن أداء صلاة الجماعة فى المسجد نظرا
لتواجد الحركة وضاعتها فيه .

ويقرن فى موضع آخر (٢٣) : « فلما خرجوا من المدينة
سأد المؤمن فاذنوا ونادى الناس إلى المسجد » .

وهذا النص يبين كيف فقد المسجد فى ظل هذه الحركة
درره الدينى بين جمهور الشعب ولا يريد أن يول أن حركة
الحسين كانت مهملة للمطور الدينى بين أبناء الحركة أو
بين جمهور المسلمين ونكس يريد أن يقول أن هذا النص ذو
دلالة كبيرة فى التأكيد على مدى الإحجام الشعبى عن
المشاركة فى الحركة والبعد المطلق عنها حتى فى الأمور التى
تبدو المشاركة فيها من الأمور البدئية والطبيعية ولا يمكن
أن تتم امتد (خاصة فى تلك العصور) على أنها نوع من
المشاركة السياسية أو الفكرية مع الحركة ولا يخفى أنى
اقصد باطبع الادان والصلاه وعندهما من شعائر العبادة
فى مسجد المدينة .

ويمول الطبرى (٢٤) فى موضع آخر شارحا موقف
الإحجام الشعبى فى بداية هذه الحركة « وتفرق الناس وقد
عدى أهل المدينة عليهم ادوابهم » فما كان من هذه الجموع

(٢٣) نفس المرجع والجزء ص ٤١٢ .

(٢٤) نفس المرجع والجزء ص ٤١٢ .

إلا أن رمصب مشاركة وتزكيت الحسين وأصحابه في المسجد
ومن ثم فقد أبحت هذه الجماهير سعادتها البالغة يوم أن
مرر الحسين وأصحابه الوجهة تاركين المدينة فقاموا
بتظيف المسجد مما فيه وجعلوا يدعون عليهم .

وبذكر أن حسينا لما انتهى إلى السوق متوجها إلى مكة
اليفت لأهل المدينة ومال . « لا حلف الله عليكم بخير . فقال
الناس وأهل السوق » لا بل انت لا خيف الله عليك بحذر
ولا ردك ، (٣٥) . وهي كلمات إن دلت فإنما تدل على مدى كره
أهل المدينة لهذه الحركة والمائمين عليها ومدى رفضهم لها
حتى أنهم دمروا عملاك أصحابها وعدم عودتهم مرة أخرى
ولا يغيب عن النظر تركيز الطبري في روايته على لسطي
الناس وأهل السوق في خطاب الحسين مع جماهير المدينة
وهما كلمتان لهما أهمية عندنا عندما يصدران من مؤرخ كالطبري
حيث يؤكد هاتان الكلمتان أن مفهوم ذلك أبحت الدائر عن
موافق الشعوب إزاء مختلف حركات الخوارج وتنوع
أو تباين هذه المواقف تبعاً لتباين الظروف والأحداث السابقة
والحائثة بما نحوه من حتميات اجتماعية وامتصاصية
وسياسية .

ولا أريد أن أدرك موضوع المعارضة الشعبية إبان ثورة
الحسين صاحب فتح ومدى الإحجام عنها دون التعرض لدفعه

مامه وحطبره اعفها معفون والكف على الرءم من اهتمام
سادز الددومه بها وذكرهم بإمام ألا وهي ما فعله الحسن
متعويض نقص بل انعدام المعونة الشعبية والتأييد
الحماهيرى لفوربه بإعلانه عن تحرير العبد . معلنا أن اى
بد يدينهم بغرض اشراكه فى الثورة فهو حر (٢٦) وهي
حبله غربية وحديثة ولكنها غير شرعية ، والاهم من ذلك كله
هو انها أنت سائح عكسه عنه وعلى ثورته إذ أهاج هذا
التصرف ملاك العند وأحبروا هذا التصرف بمثابة إسقاط
دال حادث طئه الاسلام وأمن حرمة مما أثار هؤلاء الملاك
كأمرنا بربا "ثوره وعمر" نزل فى طارقت الثورة مما حصل
بنهايتها

المحاور الاجتماعية :

من بين المحاور التي يمكن أن نتطالع منها على مواقف
الشعوب وتباين استراتيجياتهم وبعينهم في الصراع الحاد بين
قوتى الخارجين والدولة • المحاور الاجتماعية

وإن كنت أسدشعر أن هذا المحور يرتبط كثيرا بالمحور
العقائدي ، ذلك لأن الإيمان بعميدة معينة لابد وأن يتبعه
الالتزام بالمضمون العام لأسس فكر وأيدلوجية الفرقة من
جميع جوانبها ، ومن بين هذه الجوانب الجانب
اجتماعي •

وأول هذه الجوانب الاجتماعية أمور الزواج والطلاق
وحلله ، فقد شهد هذا العصر صورة جديدة وغريبة على
المجتمع الإسلامي ، حيث بدأت الدبعبات الفكرية تلعب دورها
في أمر المداكحات سواء ما هو موحود منها بالفعل أو ما
يبتدعت منها لقيام أسر جديدة ، وهذا معناه أن المجتمع
العباسي في ظل هذا الصراع الذي احندم بين الخارجين
والدولة لم يكتف بأن يأخذ الصراع شكله التقليدي في
المحابهات العسكرية والانقماءات الفكرية ولكنه طور هذا
الصراع ليأخذ بعدا اجتماعيا جديدا •

هذا يسأل من حكم ارتدائهم بأبناء هذه التيارات

وهل يجبر الاسلام لهم أن يربطوا بنافهم بعلامات الزواج من أبناء هذه القنارات ولحدأوا للفتوى الدينية لحل هذه المشكلة وكان رأى الإمام ماك فاطما عما سئل عن حكم تزويج القدرى بقـ رله

« ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » (١)

وهذا معناه أن الفقه السنى رفض عمليه المران الفكرى وأصر على وضوح الرؤية للأجيال المتعاقبة .

على أن مهم بامى الفرق لفتوى الإمام مذك هذه كان مختلفا حيث اعتبروا موقف الفقه السنى صـ هذا نوع من الاستتار لاستبقاء البعنة والغلبة الاجتماعية له ومن ثم فقد كان رد فعل بعض هذه الفرق حادا ومقطرطا فتد رفض فقه الخوارج مباحات المجتمع العباسى واعتبروا أن إمامة أى علاقة حميدة للزواج مع المحتمم بل وبقاء أى علاقه قديمة فى ظل مكر الخوارج لادد وأن تقوم على أساس النبوة من لإمامين عثمان وعلى رضى الله عنهما (٢)

لـ س هذا فحدهـ بـ بل ان مجتمع الخوارج رفض إمامه أى نوع من أنواع علاقه مع المحتمم العباسى .

-
- (١) الأصفهاسى : حافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله ت ٤٣٠ هـ .
حلبة الأولياء وطبقات الأصفياء ج ٦ ص ٢٢٦ - بيروت .
(٢) الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ .
الملل والنحل ج ٩ ص ١١٥ تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل . الطبى .
مصر .

فقد رفض طعام ذلك المجتمع والدراث معه وانتخب
أرضه أرض كفر .

دل وطيب المجتمع الاسلامي كله بالاستنباط من فكره
فبل أن يقدم أي نوع من أنواع العلاقة بأبناء هذه
المتغيرات .

وسأثل فإن الموقف المعنى من فكر الخوارج كان فاسد
ولم ينف مكنوف الأدي أمام هذه الأفكار التي يمكن أن نحمل
الحياة لاجتماعه من ظل المجتمع الاسلامي لنوع عديد من الصراع
الاجتماعي ومن ثم فقد رفض المجتمع مناجات الخوارج
وتنبيع زيجات بناته وأولاده وأبطل ما تم منها أو ما ثبت فيها
بمذهب أي من طرقي أنزج بهذا المذهب وفي هذا تحركت
القبائل العربية ووصولاً إلى يد لبأمر بطريق إحدى بناتهم
ومد ارتطبت من حمل فكر الخوارج (٣) وقد كان .

ودثر احباء الاجتماعية في بغداد إبان محنة القول
دحوى المران ادما فدر ووقف هذه الدولة من هذه الخصية
دوقها عرب ، حبت عمرو الذي الحكم بالطلاق والبرقة بين
كل زوجين لا يحمل أحدهما فكر النور بحلق القرآن بنساء
على أوامر الدولة (٤) .

(٣) عمر فروح تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي ، الأدب
المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري (١٢٢ - ٢٩٩) ٤/٥
بيروت ص ١٨٢ .

(٤) ترجمة الإمام أحمد بن حنبل : نقله و تاريخ الاسلام
للذهبي ص ٥١ .

وأقفل المجتمع العدي على التعاليم والأخذ من الماهل الصامبة لبيوت ثمة اسرق حتى من النساء منهم .

مقد كانب الميده نفيسة (٥) صالحة ورعة تبة تحفظ المران عالمه بالنفس وبمعصر الحديث ونفى عنها الجميع ومن أهم من تلقى عنها الامام الشافعي نفسه .

على أن المراه هي المجتمع الشيعي براها قد شاركت في ذلك الامم التي لاحقت الشيعة وم نفى مكنوفه الايدي .

بعد كن يسمعن شعر السند الحمري في شعراء الشيعة من حجب وكان يسمع صيونهن ونحبهن (٦) حتى التحركت العذكرة شاركت فيها المراه من الحيد الشيعي حيد حرج احد الحسن صاحب مخ معه وصبرت عند زينب بنت عليهما لما قتل (٧) .

كما خرجت ابنه محمد النفس الركبة ، وأخته لعيسى بن

(٥) نفيسة بنت الحسن بن زيد العلوي صاحبة الشهيد المعروف بمصر تزوجت من اسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق مانت بانقذيرة ٢٠٨ هـ . برزكلي . حيد الدين : الاعلام وقاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ج ٩ ص ١٦ - ط/٣ بيروت .
(٦) د : شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ص ٣١٤ .
(٧) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ٤١٢ .

موسى بعد مغفل محمد يطالبان بحجته حتى بأذن لهم
في تفنيسه (٨) .

أما في مجتمع الرندمة بعد عمل ذلك المجتمع - بنا -
على أفكاره - على تمديد دور المرأة الاجتماعي والأسرى بصورة
تتمشى وطبيعة الأفكار التي تنبى بها فرقة الزنادقة . ورأينا
أن المرأة في المجتمع الرندمي تبدل نداء الحركه وتلبى
طلباته فسايرت الشرور المرسوم لها بكل قيمه وافكاره الهابطه
والذى جمعها مباحه لكل يد كالماء والهواء بلا أى ضوابط
محميات المرأة من والدها وعاشريه معاشره الأزواج (٩)
ومغلغات المراكز في المجتمع الرندمي في كل جلسانه تشبع
جوا من المنعة والاستمتاع (١٠) .

أما في مجتمع الجورج فقد ببت المرأة النداء المدرفه متمثله
بكل قيمه وافكارها حتى في صروب الشجاعه وإفدم فمد
حملات السلاح منذ سمرها ودعمت عاون القتال ومن ثم بعد
كانت لها موانع العسكرية مثل الحدباء امرأة أبى حمزه
الخارجي (١١) والفارعة ببت طريف أخت الوليد بن طريف
الخارجي .

(٨) ابن الأثير : ج ٥ ص ١١ .

(٩) الطبري : ج ٦ ص ٤٢٤ .

(١٠) الأتقجي : د/رمزية : الحياة الاجتماعية في بغداد م ١٠

نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول ص ٢٢٨ ط ١/

(١١) معروف . د/نايف محمود : ديوان الخوارج ص ٣٧ ط ١/

بيروت ١٩٨٢ م .

وانبصرت المرآة هي بسمل العرقه ومكر الفرقه حتى على
طبيعتها وأبوئها مامع عن معاشره الأزواج وكرهن ابقت .
تحت أفخاذ الرحبال في الوعد الذي تحتاج فيه الفرقه
للكثير من الأبناء (١٢) .

ونذكر في هذا روجه بن ملجم (فابل الامام علي رضي
الله عنه) الذي اشترطت عليه أن يكون مهرها قتل الامام
علي وبعد معاشرتها لفرقه ذكره بوعده لها قائله له . ولشد
دا أحببت أهلك ، (١٣) .

ولما ذكر ذكر السريعه الاجتماعي والسياسي بنرم في
السياسيه لأحد امرع قريش بل محتصا بأبناء بنت معينه
الارهي السسيده فاطمة .

كما كن مكر أهل الحديث يدعو لسياده طبقة قريش على
بامى القبائل العربيه ومن ثم تصبر لهم الرياده والسياده
السياسيه والاجتماعيه .

فمد كان فكر الحوارج بلا شك يعد طفره جديده وتطورا
خطيرا في الفكر الاجتماعي والسياسي للفرق يوم أن نادوا

(١٢) معروف د/نايف محمود ديوان الحوارج ص ٢٧ ط/١ بيروت

١٩٨٢ م

(١٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ .

بإهمال فكره قرشييه الامام . ولا يخفى أن الدعوة لمثل هذه
الفكرة في المجتمع الاسلامي لابد أن تجد آذاناً صاغية وعمولا
منفتحة حارت في فهم ومضم فكره قرشييه الامام والتعرف
على فلسفتها من وجهة النظر الاسلاميه (١٤) .

(١٤) يرجع لمقدمة اس خلدون لتفسير الحكمة الاجتماعية من قرشية
الامام في تلك الفترة .

المحور المكانى او الجغرافى :

من بين المحاور التى يمكن أن يرقب منها او من خلالها موقف الشعوب نجاء صراع الخارجيين والدولة المحور المكانى او الجغرافى .

واقصد بهذا ذلك الارتباط وهذه التسمية التى صارت تربط كل تيار من تيارات الخروج بمكان معين أو قطـر معين بحيث صار ذكر هذا التيار لا يتم الا وقد ارتبط به ذلك الحس الذى أصبح حراً معه لا يملك عنه كما أصبح ذلك المكان لا يذكر الا ونسج ذلك لاشارة تتبعته لمرته معينة و صار معنى وأصبح الارتباط بين المكان والتيار أو القرمة وثيقاً يشبه ارتباط الأرحام .

وحمسقه فإن ديمة المكان وساكنيه لفرمه معينه نبدا بظهور هذه القرمة واحتضان المكان وأهله لأبنائها الذين هم غالباً أبناء ذلك المكان ومن ثم يتشرب المجتمع فى ذلك البقعة هذه الأفكار ويصير جزءاً من مكونات حياته الأبدية .

ثم يحدث ان نصلحدم تلك القرمة بالدولة بصورة أو أخرى أو حتى بغيرها من الفرق وهذا تحدث عملية التفاعل والمشاركة ونفصهر المشاعر والأحاسيس بين المكان والقرمة ، ان يشارك أهل الكان فى تلك الأحداث فيصـابوا

بالأذى وقد يتعرضوا للاضطهاد السياسى والامتناع بآدى
ويكون فى النهايه ما يصح أن يطلق عليه مشاركة المصدر
الواحد بين ذلك المكائ وبك الفرمة مما يكون له أثره فى خلق
روابط الدم والدار التى لا تنفك أبدا .

وبداية تصادفنا مقولة الفاذة العباسيين نوعاً انذبن
وجههم للأمصار ، حيث ذكروا لهم ان « البصره وسرادى
مد غلب عليها عثمان وصنائع عثمان فليس بها من الشبعة
العباسية الا النحر واليسدر ، أما الكوفة وسودها فمعد
عاب عليها « على ، وشبعة وليس بها من شبيعتهم
الا القليل .

وأما الشام فشبيعة بنى مروان وآل أبى سفيان ، أما
الجزيرة فحرورية شـارية مافه ولكن عليكم بهـذ
المشـرق ، (١) .

وحقيقة فإنها كمت مله الا أنها تعد منهاجا وفلسفه
الجغرافيا السياسية وبارىخ احركات وارتباطاتها
القطرية أو المكائية .

وفى رأى أن ثوره يكون موادها على هذا الفكر والعملية
السياسية لآبد وأن نكلل بالنجاح ، لأنها سوف تلمى بذورا

(١) ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ . عيون
الأخبار ج ١ ص ٢٠٤ القاهرة ١٩٢٥ م .

في أرض صالحة ومن ثم فإن هذه البذور لابد وأن تثمر .

وإذا أخذنا الشيعة كمثال سنجد أن التشيع ارتبط مكانياً وجغرافياً بأماكن معينة ، فالكوفة مهد التشيع ولا خلاف (٢) في حبها لآل البيت . ومن ثم فإنها أمرت مجتمعا ~~مقتسما~~ ~~بها~~ ~~فنبها~~ ~~وقالبا~~ .

واعتمد أن ما يقال عن اجتماع الكوفة يمكن أن يمتد عن مجتمع البصرة وأن كتب البصرة قد انهمت بالمسائل للامويين . إلا أن الواقع يكذب هذه ادعوى بل يؤكد مكره تشيع المجتمع البصري وإلا ما أشار شيخ أهل الشام على المصور بسحن البصرة بالحناء عندهما سمع بحجر خروج محمد بنفس الزكية بالمدينة فهو يعلم أن المجتمع المدني وإن كن من الممكن أن يحتضن ثوره شيعيه إلا أن الامتداد الطبيعي والتواجد الحقيقي نبعها للنبي المكارية والتوزيع الجغرافي والسباسب يكمن في البصرة .

وحقيقة فإن زعامات الشيعة الواعية كانت على دراهه بهذا التوزيع ويبدو هذا في كلام جعفر الصادق وهو يرد على عبد الله بن الحسن عنهما أحبره بأن هناك رسالة من شيعتهم في خراسان تدعوهم للخروج ويضمن لهم البصرة حيث قال ~~أمر الصادق~~ : وصي صار أهل خراسان شيعتك ، (٣)

(٢) البلاذري : أنساب وأشراف ، ٣ من ٨٧ .

(٣) ابن طباطبایا : محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي : الفخری

وهي كلمات نعد وبصدق منهاجا بوصح مدى الارتباط
بين حركات الخارجين والأرضية الجغرافية للاتساع أو
التوزيع السكاني لهم إذا صح التعبير .

فتد كان جعفر الصادق بعلم أين هي الأرضية الجغرافية
التي يمكن لتشيعة أن يكون لها تواجد يسرى وشعبي فيها .

ومن ثم فإن حراسنا لم يكن أبدا في يوم من الأيام
أرضيه مكابيه للتجمعات الشيعية ويكون أي رسالته أو
أي دعوة من هذه الأرض للنوره . والحروح مع الوعد بالنصره
من قبل الأباطيل وأحبيالات و الحرس والوامرات . حصه
إذا عرفنا أن جعفر لصادق ، به رسالة مثل التي وصلت
عبد الله بن الحسن فيها نفس الخسوم مع كان منه إلا أن
حرقها أمام الرسول التي أتى بها .

على أننا يمكننا أن نلاحظ بعض التصرفات الأخرى
من بعض المبادات الشيعية والتي نخسب بعدم المهم لطبيعة
العلاقة بين النمسيم الحرامى للمجتمع والولا ، السياسى
لأخرف ويبدو هذا واضحا فى تصرف محمد النفس الزكية
قبل الغيام بثوربه فى المدينة ، حيث أرسل ابنه عليا لمصر

فى الآداب السلطانية من ١٢٢ الحلى . مصر . والقصة باختصار أن
أبا سلمة الحلال كان على وشك تحويل توجه ثورة من العباسيين للشيعه
بأن راسل قيادات الشيعة بالسبع طامع فى أن يأتى منهم من يأتى
لتولى زمام الثورة قبل اعلى اسقاط الدولة الأموية وتحويل الأمر هوذا
للعباسيين .

للدعوة الى الثورة وبهتب أوجو العام فيها والمسؤول الذي
يمكن ان يصرح ، هو هل كان لشيعة في مصر في تلك الفترة
نوع من سعي يمكن ان يحدد عليه هذه الدعوة ؟ والواضح
ان شيئا من هذا لم يكن بدليل ان علي ما لبث ان مبص عليه
ورسل للمنصور مما يؤكد دعوى إرسال « علي » ، مصر كان
مصر شواذب أكثر منه بصرف مدروسا معروف العو وب
والسائج . وكذلك كان توجه الشيعة للمعاشية في منطقتهم
المقد وإن كان قد تم في ظل معاهدة مع ملك السند (٤) إلا
انه كان حارما حاكما ونسبي ، عن عدم فهم لأماكن التجمعات
الشيوعية الحفيفة وارتباطاتها المكابية .

ولا يخف ان المعاهدة تمت أخبارها للمنصور وطسوك
الأطراف المحورة مما كان سببا في لقضاء على التجمع
الشيوعي هناك وعلى ملك السند نفسه .

ولا شغ نزاعات حركات الشيعة في تلك الفترة
الاحتجاج بن زعيم الشيعة محمد وابراهيم أنى عند الله
ن الحسن قد فرلا من بين ما فرلا ارض السند إبان فترة
خاربات العاصم لهم ومحاولات الخفى من مبيهم (٥)
وكما تمت فإن نعرف الخبائات العاملة الزكية لخطورة هذه
الخطوة دعاها لأن تحاول خلق ارتباطات جوهرية بين الفرمة
والقوى الاممية ذب التأثير الهام والمؤثر في الأحداث
السياسية .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢١ .

(٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٤١ .

من ذلك ما حدث من الامام علي بن موسى الرضا حيث أكد ارتباط خراسان وبلاد فارس بالشعبة بقصه رواج الحسن والحسين انفى الامام علي بنتين من بنات يزيد بن شهريار ملك الاعاجم (٦) .

والحقيقة ان الدولة هي الأخرى كانت على علم كامل ومقتنع لكل صور النبعة والولاء التي تربط الافاليين الجغرافيه ببعض بآراب الخروج في الدولة . ومن ثم فنحن نرى المنصور يحثم على صدر الكوفة عندما تعلم بمسعود اميرآب خروج ابراهيم بن عبد الله بن الحسن لثورة (٧) .

وهذا يؤكد معرفه الدولة بوزبع الولاء الجغرافى مما دعا المنصور لان يمسك خطوط الإمداد الجغرافية التي يمكن أن تكون شريان تغذية رئيسى للدولة ، فلمس من المسئول ان يسمع اجتماع السعبيه الشيعيه في الكوفة بثورة ابراهيم ولا يبادر بالحرك لإمدادها والانخراط في سلكها وتحركاتها .

ليس هذا فحسب بل ان الدولة كانت أكثر مكرآ ودهاء عندما فكرت في ان ترسل جندا لمحاربة حركة ابراهيم بن عبد الله بن الحسن من اهل الشام ، إذ لا يخفى نهم سيكونون أكثر عنفا في حربهم للشعبة لأنهم من مدم أعداء لهم (٨) .

(٦) البلاذرى : انساب الاشراف ج ٣ ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٧) البلاذرى . نفس المرجع والجزء من ٨٧ .

(٨) العبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٤٧ .

كذلك ذهب أثنوا : مع بحوارح حسن الفكر حيث فكرت
من نريد أن نجد : حرسهم من عن المصمم : حسن الأساليب
السياسية .

ربما سارت ببعده المكان وولا النجمعات والشعوب
بالدولة لم يكن يعمل من حراسين والحراسانيين إلا لولا
المطق الذي لا يشوبه أى نقصان ومن سم يستطع أن يفهم
لماذا يحكم : محطبه من شبيب لطشى ، يعمل الحراسانيين
إذن مررا من أمام موت الدولة العباسية إبان قيام الدولة
بحرفها من صورة المستقبل على يد العباسيين . من الوقت
الذى عما فيه : شبيب ، عن الشاميين وعمرهم (٩) . إنها
بالطبع نصه التنعية الحفرافية والولا : السكاني علا يمكن
أن يعمل الدولة العباسية أى حطة بصميم جديده لولا ، المناطق
والنجمعات السكانية تحسر مبها الدولة بعضا من الاراضى
المعروفة بالتبعية السكانية لها .

(٩) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ المعارف
ص ٢٧٠ تحقيق ثروت عكاشة دار المعارف ج ١ ص ٤ .

ثانيا : الأسباب التي أدت لتبني الشعوب لهذه المواقف :

١ - المخلغات الاجتماعية للصراع .

٢ - المعاناة الاقتصادية .

(أ) سياسة التجويع .

(ب) المكوس والإتاوات .

(ج) الحرب الاقتصادية .

١ - المخلفات الاجتماعية للصراع :

لا يحصى ان ظهور الخارجين من جسم الدولة واصطدامهم بها وما ترتب على ذلك من محاولات الدولة للقضاء عليهم واستئصالهم استتعارا بحظورهم الكامنة في إمكانيه تهديد كيان الدولة واستمرارها ثم إمكانيه سقوطها ، لا يحصى ان هذا لابد وان يسبح مجموعة لا بأس بها من المخلفات الاجتماعية التي يمكن ان تملأ كل المجتمعات وأن نساب بين مختلف الشعوب بحيث نصير هذه المخلفات عبره وشاهد على ان لكل ذي شر له شره في الحرب وهذه الصراعات وما دورها في طيات المجتمع سواء رضى الناس بهذا أم أبوا .

وإذا كان ضرر المرد أو القبيلة أو المجتمع لابد وأن يحكمه عنه عوامل تدعى رأسها مجموعة المعيشات الحياتية اليومية وهي مأوى ومخلعات وأشلاء صراع الخارجين مع الدولة .

فلا بد وأن يتأثر هذا القرار برؤية هذه المخلفات مما يكون سببا في الإحجام عن المشاركة أو التخوف منها .

ونستطيع أن نلقى الضوء سريعا على أهم هذه المخلفات الاجتماعية التي ملأت ذلك العصر وكان من أهمها آلاف الغنم الذين سقطوا كضحايا طبعين لمثل هذه الصراعات العسكرية التي تقع بين الدولة والخارجين .

على أن صحايا هذه الصراعات شملت جنة الدول،
والحارجين بل الأعم من ذلك تلك الفجادات العسكرية المدعومة
التي سقطت كضحايا لهذه الصراعات .

والراجع للطوري سبب غيره عدد الفتى من الحسود
والعواد ، فكم سقط من مواد الدولة إبان الصراع مع السبعة
والزط والمفتح وبابك الخرمي والخوارج - خاصة في الشمال
الأمريقي - وغير هؤلاء كثير .

وعلى الجانب الآخر فقد شهد الحارثون أيضا أعدادا
لا بأس بها من الانسح والخسر من المبادات العسكرية التي
دبت في أمس الساحة بسبب وهي في صراعها مع الدولة ،
ومع المسلمين بأهمه ما سبق إلا أن انشطور الاجتماعي لدى
نحن بصدده الآن بعينه أكثر وبهم أكثر بالكمائنات الأسرية
التي ينفذ عائلا وبصير بار عرس في دومة الحناء ومن ثم
يكون مطعم لكل طمع ورزق وبهم ن يهيموا على وجوعهم
بحفا من المورد الذي أو لأمان نفسي ترى صدوه بعسب
عائلهم ورجلهم .

وبطرفة الأحداث الموصل يعرف منها ما خلفه هذه الأحداث
على الساحة الاجتماعية إبان صراع الموصل مع الدولة العباسية
أولاده من أسر لاقت القتل والتشريد بعد حزن طويل على
قتلها ولاقت في النهاية نفس المصير (١) .

(١) الديوجي : تاريخ الموصل ج ١ ص ٥٩ .

وعاشب بلاد الشمال لأمر يقى أسسوا أيامه إبان نفس الحوارج هذه ومحاولات الدولة لمقصاء طيهم حصه وان كلاً استرد من عد تفنن فى أساليب الحصار والاضطهاد العسكرية وكانت النتيجة ان دمعت جموع الناس فى هذه البلاد الثمن اعطى من مصء ابدئها فى سبيل هذه الحروب (٢) .

ولا يمكن ان نعمل قائل الفشء من أبناء الخارجين بظروف اسرته واستمائنهم الفكرى خاصة وأن ظروف الأسرة - نظراً لهذا - لا يمكن - ظروف مصء - وعسببه ما أسره سجن من مصى البلاد لأصده ما بحث عن مهرب (٣) ، أو تنقيها لأوامر الدولة بالتدخل (٤) ومن ثم فقد حفظ الأطفال ادق الأمدب الذى نم إبان هذه الاصطدامات العسكرية ومدى فقرهم عم وأسرههم به بل ورووا اهم أحداث المدينة حتى محاولات الناس لصنع الملابس بالسواد إظهاراً لانتمائهم لعمالى فخوفاً من حشوش الدولة وإبعاداً لتهمة الانتماء لصفوف ابحارجين (٥) عند خروج النفس الزكية .

وعاش النما فى بدوب السبعة يجهل بسببه حتى يبلغ مبلغ الرجل فخوفاً من الادلاء على والديه وأسره أثناء تحرركه وعبه دون أن يعلم من الرمت الذى تقوم فيه كل

(٢) ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء الدمشقى ت ٧٧٤ هـ . البداية والنهاية ج ١٠ ص ١١٣ ط/١ بيروت ١٩٢٢ م .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٦٨ .
(٤) نفس الموضع ج ٦ ص ٤٤٥ .
(٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٤٨ .

نحركات الأسر الشيعية على السرية تخسوفاً من بطش
الدولة (٦)

وانتقل الطفل المرموكى من أفخم درجات العز لأحقصر
صفوف المذلة والهوان فى أيام معدودة دون أن يعلم لماذا كانت
هذه التقلّة الخطيرة فى حياته .

وبعد أن كان يلعب أبناء الأمراء من البيت العباسى
صباح يلعب أبناء العوام فى حوارى بغداد وغيرها وفرد
ارتدى الملابس الرثة على أجساد لم يخب منها بعد بياض
واشراق النعيم (٧) .

وعلى العموم فإن الحياة فى ظل هذه الظروف القلقة
والغير مستقرة لا يمكن أن تنبت فى النهاية إنساناً سوياً .
وفى حرص مصر لانتشار القتل فى صفوف أبناء الخارجين
رأيت سدد الأشراف من البيوتات العربية يرتبطن بالموالى
وكذا بناتهن بعد عن الأمن الذى فقد وطننا للاستقرار (٨) .

وبعرضت أسر مبادرات الخارجين لنوعية حاصصة من

(٦) الألبى : أبو سعد منصور بن الحسين ت ٤٢١ هـ . نشر الدر
ج ١ ص ٢٦٠ تحقيق محمد على قرنه الهيئة المصرية ١٩٨٠ م .
(٧) الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٢٢١ هـ .
توزع وانكتاب ص ٢٤١ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط/٢ الطب
مصر - ١٩٨٠ م .

(٨) الديوحى : تاريخ الموصل ج ١ ص ٦١

المعاملة ليس على يد الدولة محسب بل من نفس قيادات الحركة وأرباب ديوتها بعد سقوط واستحار الحركة أو ضرب سموطها ، فالمفيع يأخذ أهل بيته جميعا ويفضي عليهم بطريقه أو بآخرى حتى لا يكونوا عرصيه للأسر أو القتل أو التنكيل من بعده .

ومن أشهر الحداث لأجتماعية التي أفرزتها صراعات الدولة مع الخارجيين والتي كانت سببا رئيسيا في عوامل الاحجام والامدام للأفراد والأسر والمجتمعات ككل على حد سواء . الأسرى فمن المعروف أن نجاح الخارجين المؤتب في صراعاتهم مع الدولة كان ممكنهم من الامساك ببعض قيادات الدولة ، كما أن سموط الخارجيين بعد ذلك كان يمكن الدولة من منبج هؤلاء الخارجيين في كل مكان والحصول عليه مثم التصرف بهم ، بالتدلي أو الأسر حسب الحاجة لهذا الأسير (٩) ووصل الأمر بحولته إلى أنها قامت بأسر الأتارب والعمال والكتاب بل و الأولاد (١٠) وإن كانت قد عفت عن بعض الأسرى لأسباب مسوية كانتهم إليهم (١١) أو بعد مكانة هذا الأسير وما يمكن أن يحدثه من آثار عكسية قد تؤثر على أوضاع منطقتة (١٢) .

كما حلف صراع الدولة مع الخارجيين كمية لا بأس بها

(٩) الطبري : تاريخ الأمم والوله ج ٧ ص ٤١٥ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٧ .

(١١) المرحم الأصيل ج ٦ ص ٤١٥ .

(١٢) المرحم الأسير ج ٥ ص ١٢ .

من السبى والذي كانت محصلة طبيعية لهذا الصراع . ولا يخفى أن تأثير المجتمع بأسره وأفراده وهو يرى كميات السبى التى وقعت فى يد الدولة فتنبجة لهذا الصراع لابد سيكون له أثره فى خالق عوامل الإحجام والانحدام عند أخذ قرار المشاركة مع أى من الفريقين أو الاحجام التام .

وحقيقة فقد تنوعت مواقف الدولة تجاه قضية السبى من أسر الخارجيين ومن ثم فإن الدولة لم تسب نفسها الخارجيين الذين خرجوا تحت منظور دينى معين . مثل إنكار بعض تصرفات الدولة التى تتعارض مع أفكار وأحكام الشرع والدين . حدث رأينا المصور عندما بعث « زياد بن صالح الخزاعى » لحرب « شريك بن عون الهمداني » الذى خرج من أجل الدين وغيره إله . نصحه أن لا يقتل الرجال ولا يسبى النساء . ومن ثم ورد لسؤال هل كانت الدولة تسبى نفسها بمثل هذه الممارسات خرج أزواجهن لأسباب أخرى سياسية أو غير ذلك .

الحقيقة أن الروايات الموجودة لا تثبت على شيء من ذلك وإن وجدت بعض التصرفات والأفعال التى تحمّل روح محاولة ودك مثل محاولات الجند العباسيين فى الموصل لدى بعض الحرائر وإن لم يتمكنوا من ذلك (١٣) وإن كانت هذه الأمور لا تنهض دليلاً على سبى الخارجيين الذين يدمرون بالاسلام . ومن المعروف أن الدولة قد سببت أسر حركات

الخزمية (١٥) والخط والخبط (١٥) والزبادة وغير ذلك من الحركات التي لا تتين بالاسلام أصلا .

ونعبر الإشارة الى أن الخارجين من ذوى الأجنحة العسكرية ممن لا يدينون بفكر إسلامي معين لم يتورعوا عن سبى النساء المستلمات ودخولهن في نطاق ذلك الخارجين من أبناء الحركات الفارسية (١٦) .

هذا وقد حلف صراع الدولة مع الخارجين من بين ما حلف نوعية معينة من الجور بعد أن أسهمت حركات الفجور في تطوير فكر هؤلاء الحوارى وفدراتهن وثقافتهن مما يمكننا أن نقول أن الجارية حلت الحياة السياسية في ذلك العصر من أوسع أبوابه فقد تمكنت حربة من الفصاء على « يعقوب بن داوود » (١٧) واتهم الحوارى بقتل المهادى وإن كان هذا قد تم بدوجيه من أمه بعد موقفه المحالف والرافض لها ولتدخلاتها السادة في شؤون الدولة (١٨) ودصح الجاساخط الحكام باستخدام الحوارى لاختبار الأتباع ومدى صدمهم وحرصهم في حرمة بيوت الخلافة (١٩) .

(١٤) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٢٨ .

(١٥) د/قسم عبده : أهل الذمة في مصر في العصور

الوسطى ص ٤٤ .

(١٦) السيد سبلم . العصر العباسى الأول ص ٨٨ .

(١٧) الجهشيدى : الوزراء والكتاب ص ١١٦ .

(١٨) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤٢١ .

(١٩) الجاساخط : التاج في أخلاق الملوك ص ١٠٠ .

وبذلك الدولة الفاضلة والبرحيص في سبيل سنائهم ومن ثم سراحهم يمكن شرب الخلفاء ومسيرين الكثير من الامور السياسية تبعاً لاهوائهم (٢٠) - ولا يخفى ان صراع الدولة مع الخارجين أدى لاستخدام الجوارى في الامور السياسية واقصد بذلك امور الجاسوسية وغيرها وكان البرامكة هم اساتذة هذا النحال ولا منازع (٢١) *

ونظراً لاحداهم الصراع بين الدولة واخارجيين فقد بحث كل منهما عن التجهيزات البشرية والتكتلات ذات الصلة المعركة او الفكرية واصبح اختلاف مثل هذه التكتلات امراً طبيعياً ويبحث عنه كلا الجانبين واصبحت هذه التكتلات من مخرجات الصراع ومن الاسباب التي تدعو المجتمعات والاشخاص لانتها موقف واصبح من الصراع فيما البعد عنه او القرب منه و الاندماج فيه ومن ثم فقد حدث تطور غير بسيط في وضع الامور التي ارتفع قدرهم بصورة ملفتة للنظر وخاصة موالي العباسيين فقطعوهم الاقطاعات الواسعة (٢٢) وولاهم الولايات وقربوهم من مجالس الحكم مما لفت نظر بعض أعضاء البيت العباسي انفسهم فعرضوا قضية حب الموالى ومكانتهم في قلوب العباسيين للمناقشة وان كان الحدث لم يصرح بذكر الحقيقة الجائمه في احتياج الدولة لهؤلاء الموالى وتكتلاتهم الخطيرة او احتياج الموالى للتواجد

(٢٠) الطبري : المرجع الامين ج ٦ ص ٤٠٥ ، ٤٢١

(٢١) الذرياتي : ازمة التاريخ الاسلامي ص ٩٧٦ ،

هوفي ضيف : الفن ومذاقه في الشعر ص ١٠٢

(٢٢) صالح العلي : بعداد مشيئة السلام الجانب الغربي ص ٦٧ *

في نكتلات بعمل حساسها ويبحث عنها وانصب الحديث كله
-لى اشكر ومظاهر بعدة -ن. لوائح (٢٣) .

والحقيقة أن نفس هذه الظروف دعت المولى لأن يجتهدوا
لأنفسهم دورا ، وعليهم ان يكونوا في الصورة في ظل حياة
يصعب العيش فيها بعيدا عن مثل هذه التكتلات ونسنتطبع
ن نقرر ان اشترك هذه التكتلات في هذا الصراع كان بمحس
إرادتها ورعيها وبحثا عن مصلحتها الخاصة .

والحقيقة أن باقي الفرق وبالأخص الشيعة حرصت على
موضوع المولى هذا فحربتهم وارنيط بهم برباط الخدب على
ان مولى الشيعة قد قتلوا هذه الصلات بابرعم من أنها سوف
يرجعهم (٢٤) طرنا رئيسيا في صراع الشيعة مع الدولة .

ومن بين المحطات الاجتماعية ما انه -سبب في صلب
المجتمعات في تلك الفترة من مشاركه للدميين في أعيادهم
وإظهار أشكال العرج والسرور بعيادهم فراينا العامة في
الكنايس تساعد الاحتمالات الكنسية وتدعوا بعضهم
بعضا إليها (٢٥) .

ومن الثابت مساعدة المأمون لبعض هذه الأعشاد مع

(٢٢) الطبري . تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٩٧ .

(٢٤) الطبري . تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤١١ .

(٢٥) الشافعي ، أبو الحسن علي بن محمد ت ٢٨٨ هـ . الديارات .

تحقيق كوركس عواد ص ١٧٧ ط/٢ - ١٩٨٦ م . بيروت .

مجاميع من العامة في أحد الأديرة عندهما وافق بزوله هذا الدير
أعيد من أعيادهم أثناء رحلته للشام (٢٦) *

وبينما مع ذلك الإشارة إلى أحدثه هذه الأديرة والكنائس
من نشر روح المجون والبرذنة عن أوساط المجتمعات العباسية
في تلك الأديرة فهي أماكن وسعة مرممة لأطراف مائية
بالزراعات والأبنية المختلفة والغرف الحالية المهجورة كما
إنها تقدم أجود نواع الخمور في الوقت الذي حرت منه
الكثير من صور الجمال الطبيعي والجنس في الوقت نفسه
فهي أماكن منعزلة نحقق الأمان لطالبي الزخايل وأريد أن أقول
أن كتاب الثيارب (٢٧) مليء بتذكر هذه الأسس ، وما هو أكثر
منها مما يعف القام من تسجيله *

(٢٦) نفس المرجع والجزء والصفحة *

(٢٧) الشياشيتي : ص ٥٠ ، وما بعدها * وغير ذلك من الصفحات

الكثير *

٢ - المعاناة الاقتصادية :

عانى الشعوب أبدا معاناة من صراع الدولة مع الخارجيين وكانت المعاناة الاقتصادية من أظهر وأوضح صور هذه المعاناة ومن ثم فإن قرار هذه الشعوب بالتدخل في حضم هذه المعاناة لابد وأن يحكمه العامل الاقتصادي .

و بمعنى أوضح لابد وأن تحسب حساب الأرباح والخسائر في حالة المشاركة وعدمها .

ولابد أن يفاثر قرار هذه المجتمعات والشعوب بالأساليب الاقتصادية التي عاملت بها لدولة أو الخارجيين هذه الشعوب والمجتمعات إبان صراعهما معا .

وحقيقة فإن الناظر لهذه الأساليب الاقتصادية التي عولت بها الشعوب من قبل الدولة أو الخارجيين على حد سواء سيجد أنها أساليب تنوعت بين سياسة التجويع أو الأتاويات أو الحرب الاقتصادية على مختلف أشكالها وإن كانت جميعها يمكن إدراجها تحت مسمى واحد ألا وهو المعاناة الاقتصادية .

(أ) سياسة التجويع :

ومخافة نستنتج أن نتحدث عن سياسة التجويع لانتبين كيف عانت الشعوب من هذه السياسة وكم كلفتها من قوتها وقوت ابنائها ومن ثم يتضح كيف تنابذت مواقف الشعوب من صراع الدولة مع الخارجيين ولم كان هذا المتباين .

والشيء الذي يستحق التسجيل أن بدايات مثل هذا التصرف في العصر الاسلامي الأول حيث قطع تمامة بن ائال الحنفى مرة البمامة عن فريش عندما دخل الاسلام لم يعده . بعد ان امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك (٢٨)

ثاني : انه عند حديث مواقف مشابهة في العصرين الأموي والعباسي فقد كان من بين أنواع المبره التي صعدت عن الحذر ، والتي ذكرت معناه في الكتب مرة البحرين (٢٩) واليمامة (٣٠) على اعتبار أنهم من أهم أنواع المبره التي أدت إلى انحلال ومن أهمها . على ان ما ذكر بعد مثالا

(٢٨) د/ عبد الله محمد السيف . الزراعة في اليمامة في العصر العباسي ص ٨١ مقالة مطبوعة في الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب . وموضوعها : مساهمات العرب في علم الفلاحة . الكويت قسم التراث العربي ط١/١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(٢٩) البدرين : اسم بلاك على ساحل بحر الهند بين البصرة وعبان قيل أنه من أعمال العراق ياقوت الحموي معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٧
(٣٠) اليمامة : اختلف في أصل الكلمة ومعناها . كان قتلها وقتل مسلمة الكذاب عام ١٢ هـ . بين اليمامة والبحرين حفرة أيام . ياقوت معجم البلدان ج ٥ ص ٤٤٢ .

واضحاً لفكره سياسة الجوع وكيف يمكن أن يكون فلسفة
اقتصادية لدولة والممارسين في فترات اصطدامها السياسي
والعسكري .

وهن أشهر أفكار سياسة الجوع العمل على توقف مطاحن
المياه التي تعمل بواسطة تدفق مياه الأنهار وهي تعتمد على
نهر اللد والجزر هي عملها حيث برع في ذلك أهل البصرة وأهل
الموصل وكثير من مده العراق (٣١) . حيث يقوم أحد طرفي
الصراع والراغب في تنفيذ تلك السياسة بطمس هذه الأنهار
وإغراق تلك المدن وهذه المطاحن ، لمنع أهل البلد من
الحصول على أهم ناصب اقتصادي وهو الخفيق والزيتون .

وحقيقة فقد استخدم الحارثون في الموصل أسلوب
تجريد السفن والطواحين لمعطيل هذه الصناعات عند الشتداد
لازمات والاصطدامات السياسية والعسكرية (٣٢) مع
الدولة . كما قام طاهر بن الحسين بإبان حصاره لبغداد
بطمس بعض الأنهار انطلاقاً من هذه السياسة أيضاً .

وانطلاقاً من تلك السياسة الاقتصادية نعريف مدد
الاستيلاء على أموال الكثرين من الوزراء والعمال والكتاب

(٣١) د/أنور عبد العليم الملاحه وعلوم البحار عند العرب ص ٨٥٣
تقوم الفكرة على استخدام ضغط تدفق المياه في الأنهار لإدارة تدفق
الدواليب التي تحرك المطاحن والتي تقوم بدورها بطحن الحبوب
وعصر الزيتون .

(٣٢) الديوجني : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٢٤ .

والاطباء واسنصفاء أموالهم (٣٣) كما كانت تحد من الأرزق
والعطء ببناء على سياسة معينة الفصيل فيها المواقف المتباينة
من صراعيها مع الخارجين .

وبناء على ما سبق نستطيع أن نفسير هذه المجاعات التي
كاذب تحدث في ذلك العصر والتي نزامت مع خروج الفرق .
حدث مذهب بارتوليد في تفسيره لمجاعة خراسان في عام ٢٠١ هـ
لشوران ذلك ما وراء الدهر وعدم استقرارها خاصة بعد رحيل
الأمون عن خراسان لضعفها مما دعاهم لقطع إمداد خراسان
بالغلال (٣٤) .

وود أن أشير بعض الروايات التي لم تأخذ حقيقتها
من الدراسة والتي يفهم منها ذلك الفهم وهو فكر سياسي
التحويص فهناك محاولة أبي أيوب المورثاني لشراء طعام
سوادى الكوفة والبصرة لشهرا ، فرصة رخص الأسعار (٣٥) ،
وحذيفة بن أن تصرف أدى أيوب هذا بالإضافة إلى تصرفات
السياسة التي أوجت به إلى النهاية المعروفة يمكن أن نفسير
في أنها محاولة استخدام فكر سياسة الجوع على سوادى
البصرة والكوفة بعد الاستحواذ على طعامهما ، مما يكون
سبب رئيسا في قهر الرأي العام الشعبي وتحريك
لجميع الثائرة .

(٣٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤١٧ .

(٣٤) تركستان ص ٢٢٤ .

(٣٥) فروق ص ٤٠ ، الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، ص ٤١ .

و مستخدم فكرة سياسة السحويح على نطاق واسع من
طاشي القفال الرئيسيين إبان الفتننة بن الأمدن
والمأمون (٣٦) .

على ن عالبنة الناس قد بشر بهذا الفكر ، إذ رأينا
الكثيرين ممن يحملون مكرأ عمديا أو سياسيا معينا يحاربون
في أزمهم بل ويمنعون من تولي مناصب الدولة وعزلهم
و ول ما لاحظته هو أن ولاية مدن الخارجين أصبحت موطنة
من لشدهم السخرة على التتويج و لارهاب بهذا الفكر ثم الفخرة
أي استخدامة (٣٧) .

كما أصبحت الصلة بالسلطان العباسي والخصم على
أموال الدولة موطنة سولس الفكر السياسي للدولة وإلا أصبح
التجويح هو السهابة الرئيسية (٣٨) .

لكن ن دردمنة القرن الحادي عشر ان كان قد من أشهر
المزب التي اسم ههنا فكر سياسة السحويح لاقرار مكرز
على معين سعمله مرقه معينة على جموع المسلمين ، ومن ثم
هذه السخرة المناصب الرسمية في الدولة على من يؤمن بهذا
الكر مزب ، من الاممادة السخرة وبعدها ضمانا لعمدهم

(٣٦) المصري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٦١ ، ٦٢

(٣٧) البلاذري : أنساب الأشراف ج ٣ ص ١١٥

(٣٨) د/سلومة : شخصيات كتاب الأغاني ص ٢٥٦ .

تولى أى مسئول لوظيفة ما إلا وهو مؤمن بفكر المعتزلة (٣٩)،
والأفانجوع له ولأسرته هو الصبر الحنوم ، ودافع الحال
والعلماء فى ظل سياسة التجويع هذه لى ترك مذهبهم والهجرة
منها مع أن كل حاجتهم البرومة لا تتطلب أكثر من بعض
البساقلا (٤٠) .

(ب) الكوس والاقاوات :

من بين صور المعاداة الاقتصادية التى عانت منها
الشعوب والمجتمعات سياسة الكوس والاقاوات .

ولا يخفى أن مثل هذا النظام تصطر إليه الجماعات
المتحاربة - الدولة أو الخارجين - لتمويل نفسها خاصة
إذا ما ينقص من مدد التمويل اللارم لاستمرار هذه
المعارك .

ولا يخفى أن من بدفع الثمن فى هذه اللحظة هم الشعوب
من قوتهم وقوت أسرارهم على أن المومنين يصيبون فى
الغالب عرصة أكثر من غيرهم لأساليب الابتزاز المختلفة

(٢٩) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٢٢ ، أبو ريرة : تاريخ المذاهب
الاسلامية ص ١٩٧ .

(٤٠) أبو بكر محمد بن الحسن : طبقات الشيعيين والفرقيين ص ٥٥
الاقلا : نوع من الطعام فى البصرة . دار المعارف مصر .

إيمان الصراعات والمحن سواء من الدولة و من الخارجيين
سواء .

وإذا كان رأس المال جباناً بطبعه فلا بد أن صاحبه سوف
يكون به موقف من هذه الصراعات وسوف يبيع ذلك الموقف
من حرصه على ماله وبحثه عن سبل الاستقرار والأمان خاصة
بهذا المثل . ومن ثم فإن المؤسسين والقادرين من أي الطبقات
سوف ينظرون لأجبهه لأقوى والجهة الغالبة ليعطوا
انصافهم بها وحتى لا يضيع ما الحديث عن سياسة
المكوس والاتوات التي طبقت في ذلك العصر على مستوى
واسع نستطيع أن نضرب لهذه السياسة عدة أمثلة من واقع
الأحداث التاريخية إذ كلف الأمن أحد فوائده بتتبع أموال
المؤسسين والقادرين من أصحاب الأموال واستتصااثهم
بالدولة (٤١) . وقد قام ذلك القائد بتنفيذ هذه السياسة على
حبر ما يرام تأني ن لعب للخطر هو موقف التجار وأصحاب
رؤوس الأموال والذين غمروا موافقهم ببيعاً لطروف الحرب
والمصادمات بين الأحرار واستطاعوا ان يلعبوا مع الطرف
الغائب طوال فترة الصراع بحثاً عن الأمان والاستقرار
لأموالهم بغض النظر عن اعتقادهم المكري ولن يكون !!

أما الخارجيون فقد كانت سياسة مرض المكوس والاتارات
هذه سياسة مغلقة وصروحة لهم ومصدراً من أهم مصادرهم
المالية .

(٤١) السبيري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٤٦ .

والمعجيب أن حركة كحركة الخوارج بثروهم مما سربت به
من نعبه وصدق وما حواه منهجها المعتدى من اغتبار الخروب
كلها كبائر وأن ليس في الخروب صفائر .

إلا أنهم لم يتورعوا عن هذه السياسة ، إذ يرى المصن
ابن سعيد بن هراد الخارجي بأخذ من أهل مد ، وحلاط ،
وارزن ما يقرب من مائة ألف أرزب (٤٢) .

وجى الوليد بن طريق الأموي في أجواره ورمنيه (٤١)
وعند اندلاع حروب الحصاره السطيه مدن عرب لشمال
والجنوب اتبعت أساليب فرض الإتاوات على نطاق واسع
وكان الخارجون من أصحاب حركات العبارين والشمس
أشهر من مارس هذا الأسلوب وبفده كسبائه صريحة لجمع
الأموال وتمويل الحركة ، إذ فرضوا الإتاوات صراحة على
التجار والأسواق والموسرين (٤٤) .

واستطاع نفس هذه الحركات بين مناسه الامين
والمأمون بن نجيب الكثير من الأموال بفرض الخوس والاقوات
على التجار والموسرين قسراً (٤٥) .

وهي أثناء هذه الفقة عاوى استجار أشد العناء من عمليه

-
- (٤٢) الديرجى : تاريخ الموصل ج ١ ص ٧٠ .
(٤٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤٦١ .
(٤٤) نفس المرجع ج ٧ ص ١٢٦ .
(٤٥) نفس المرجع والجسز ص ١٢٧ .

والأعراس والآبوات من الطرفين استحبوا ربين إذ نرى
السبب - زهير السبي عن سواد الأمين - بعض مول التجار
سراجه بناء الفانة ، كما كان يرب السمن الدخلة لسفد
عن طريق المسطبة السابعة له وبفرص عليها ، خاصة إذا كانت
محمله بالبضائع ، إذ كان يفرص على هذه السفن ما يصل
بلايف والألفدين دل والنسالة الاف درهم (٤٦) في بعض
الأحيان حسب الحمولة ونوع البضاعة . وعلى الجانب
الأخر مأمون طاهر بن الحسين من قواد المأمون باق مع
نفس السبيسة سواء مع التجار أو السفن (٤٧) .

وبعد انتهاء الأوضاع واستتباب الأمن بعد صرع الأحموس
الأمين والمأمون إذ بأحد الخارجين (٤٨) يخرج في سعادته من
الناس وجماعه كثيره من الأعراب حتى أتى اسبيل مفرص
سبيسة الكوس والآبوات حتى أنه انتهب القرى (٤٩) .

شي ن كبر حركة مضطه عاشت لمصر فريه في ماب
استلامه العباسية نجى أموال ونفرض البصراية والكوس
كانت حركة لظ ، إذ استطاع الخارجون من أبناء هذه
الحركة ن بقطعوا طرد البصره ، وان يفرصوا المكوس
والأبوات على السفن الداخله البصرة بمصر فريه حتى

(٤٦) نفس المرجع والحزه ص ٤٩ .

(٤٧) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٦٣ .

(٤٨) اسمه الحسن الزرقى : خروج يدعو لفرصه من م - م

١٩٨ هـ . وثقه زهير بن زهير السبي سنة ١٩٩ هـ .

(٤٩) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٦٣ .

تمكن عجيب بن عبيسه من القضاء عليهم في النهاية (٥٠) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عمله فرص الكوس والادوات هذه كانت لها آثار اقتصادية سيئة على الشعوب والمجتمعات بل والدولة العباسية ذاتها ، إذ اختفت السلع وهرب التجار وغلت الأسعار الى غير ذلك من الآثار الاقتصادية السيئة .

وما حدث في الموصل إبان حروبها مع الدولة خير مثال لذلك حيث كانت سياسة مرض الكوس والاتاوات على نطاق واسع فلم يحد أهل البلد ندا من معادرتها والهروب منها مما كان سبب رئيسا في خربتها وتوقف أسسها وتجرانها (٥١) .

هدد عمد الكنائس والأديرة المسيحية من الكوس المختلفه التي مرض عليها من قبل الدولة . حيث شملت الحيوانات والخنايا والحمامات والطواحين والدروعاب والمساكين مما يستطیع أن نفهم منه أنه سبيل من سبيل صرب قوى القيادات الكنسية حتى لا تفكر في الخروج أو في إغاثة الخارجين من أبناء الحركات المسيحية .

(٥٠) نفس المرجع ج ٧ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٥١) الديوجي : تاريخ الموصل ج ١ ص ٧١ .

(ج) الحرب الاقتصادية :

لننبج نصراع الدولة مع الخارجين سوف نكتب نظره
ان كلا الطرفين لم يكتف بالحرب العسكريه ادائره بينهما
وانما حاولا ان تكون لهذه الحرب صوره اخرى غير الصور
العسكريه واقصد بهذه الصوره صوره الحرب الاقتصادية .

والغريب في هذه الحرب انها كانت تعتمد على حب الضر
من مادي مستطاع لطرف المحارب في الوقت الذي يعمل
فيه على حرمان الطرف الآخر من كانه ضرر وأشكال العون
الاقتصادي بل وحرمانه من اقتصادياته هو تشخيصا التي
يمكن ان يعتمد عليها .

هـ يعتقد ان السعوب و المجتمعات قد تأثرت بهـ
الحرب الاقتصادية باطعم ولا بد ان هذا انعكس على تبعياتها
وروابطاتها لمكريه و اذهبـه سواء مع الدولة أو
الخارجين .

و أول صور الحرب الاقتصادية ما عملت به الدولة
السنة ، حيث حرمت الدولة العلويين من حقهم في
الدين . (٥٢) في الوقت الذي ذهب فيه آراء العلماء للقول (٥٢)

(٥٢) الأصمهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد
الأموي ت ٣٥٦ هـ مقاتل الطالبين ص ٢٣٠ النجد ١٣٥٢ هـ
(٥٣) الماوردي : محمد بن حبيب المصري ت ٤٥٠ هـ الأحكام
السلطانية والولايات الدينية ص ١٨٤ ط ١ مصر ١٩٨٢ ، الساييس :
الشيخ محمد علي ، تفسير آيات الأحكام ج ٢ ص ٨ مصر ١٩٥٢ م .

بأن سهم قوى العربى لا ينفط لأنه مستحق لجماعتهم ومن الواجب فصله عن بيت المال ولا يكون للإمام رأى فيه .

على أن الذى لا خلاف عليه هو أن حرمان الشخصية من أموالهم هذه سوف يحرمهم من مورد عدم من مواردهم المالية من الممكن أن سعيهم في حركتهم وصراتهم هم الذى لا ينبغي مع سؤلة . خاصة وأن أمور تمويل الحركات من الأمور الهامة لأن المال هو الذى سوف يجلب الأنبياع ويخرجهم من عزهم وندحورهم للمشاركة صعد على السويح لمدى . كما أن نفس هذه الأموال - أموال الفىء - والذى احتفظت بها الدولة لنفسها بدلا من أن تكون قوة للعلويين سوف تكون قوة تصاف وتحسب لقوة الدولة .

ويمكن أن نستشعر ملامح هذه الحرب في بعض الصور التي تدور في بعض دورهم وممتلكاتهم إبان خروجهم من أنصور لعمسى بن موسى والذي ستر منصور بمسارده بهذه الدور - على أنباراتها دور ، عدائهم - فما كن من المنصور . وسوغب سريعا هذا ، اسصره من أن المنظرين في منزله الصحيح التابع من مكر الحرب والعداء في العلويين هياهم إلا ليخرجوا على الدولة بنهمها (٥٤)

في هذا الجانب الصور سكر الحرب والاقتصاص من ربه على خلق واسمع مع ذلك ، اجتماعات السى في وقت

سورت و خاصه ثورات الطوفان ، حيث هم نور من خرج مع
النفس الزكية و خوه ابراهيم كما عقر نخلهم (٥٥) بل أنه
عمر في تحريض المذبذب وان لا يدع بها نافع حزمه (٥٦) .

ونظرا لمعرفه المنصور بأسس الحرب الاقتصادية والتي
تقوم على حرمان العدو من أى معطيات مادية فقد قام المنصور
بقبض كل أموال الطالبين بالمدينة (٥٧) حتى يحرم الشيعة
من كل صور اسناد المادى اللازمة والمعينه في جلب الأنبياع
وتحويل موقوف الأغلبية من أبناء المجتمع إلى على مختلف
اشكالهم وذلك بالتلويح لهم بالعطاء المادى .

وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَمْ يُفَسِّرْ مَوْقِفَ نَبِيِّكَ الْمَجَاعَاتِ الَّتِي لِحِجَابَاتِ
 ... (٥٨) ... نَصَاءَ طَائِفَةٍ حَرَكَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ ...
 نَفْسِ الْمَنْظُورِ السَّابِقِ إِلَّا وَهُوَ مَدْطُورُ الْحَرْبِ الْاِقْتِصَاصِيَّةِ الَّتِي
 دَارَتْ مَعَ الْخَارِجِينَ وَمِنْهُمْ *

- (٥٥) المبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٥٢ ، الجاحظ :
- البيان والتبيين ٢/ ٢٨٢ .
- (٥٦) الأبي : نشر الدر ج ١ ص ٣٥١ .
- (٥٧) الكري : المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٥ .
- (٥٨) الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٩٣ .
- (٥٩) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٥٥ .

وردت الدولة على ثورات القبط في مصر بنسوع من الحرب الاقتصادية (٦٠) والتي وصلت آثارها لحد هجر الفلاحين لأرضهم .

وفي عصر الهادي اتبع والي المدينة مع الخسارجيين من العلويين والمؤيديين لحركة الحسين صاحب فتح نفس الأسلوب إذ عمد أدورهم وأموالهم فقبضها كما أنه عقر نخلم (٦١) .

ويلاحظ أن رضى تلك الحرب لم تتوقف عند ممارسات الدولة فقط ، بل امتدت لفرق الخارجيين على مختلف أشكالهم فقد كان من أوائل التصرفات التي يقوم بها الخارجيون بعد إعلان ثورتهم انتهاءهم لبيت المال ، حدث ذلك إبان ثورة النفس الزكية (٦٢) وأخوه إبراهيم (٦٣) والحسين ابن الأفسس وفي حركة أبو السرايا بالكوفة استولى الخارجيون على أموال العباسيين وتقبضوها (٦٤) وكذلك تتبع زيد الفار أموال العباسيين واستصفافها لنفسه وأم يبق منها شيئاً حتى أنه كان يحرق ما تصل إليه يده من عقاراتهم وزراعاتهم حتى أطلق عليه لقب زيد الفار .

-
- (٦٠) الكندي : الولاة والقضاة ص ١١٩ ، ص ١٨٦ .
(٦١) الأصبهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٠٥ - يلاحظ أنه سمي فلا يعتمد عليه في قضايا العلويين .
(٦٢) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٧ .
(٦٣) المرجع السابق ص ٧٥ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤١٣ .
(٦٤) الطبري : المرجع السابق ج ٧ ص ١١٩ .

واستطاع الخارجون أن يستولوا على إمكانات نفس البلاد التي خرجوا منها كإبراهيم بن عبد الله بن الحسن (٦٥) والزط ، حيث استغلوا منطقة ظهورهم فنهبوا الطريقين البرى والبحرى (٦٦) .

ولا يخفى أن ظهور الخارجين فى أى منطقة من مناطق الحضر كان يمكنهم من الاستيلاء على كميات هائلة من الطعام والعلف والخيول والأسلحة من الأشياء التابعة للدولة والمعدة لأجل استخدامها عند الحاجة إليها .

واستطاع الوليد بن طريف المشارى أن يحصل على كثير من الأموال عن طريق ضرب الحصار على المدن حتى تستسلم فيرفع عنها الحصار نظير أموال معينة (٦٧) ، مما مثل معاناة ضخمة وقاسية على شعوب وأهالى هذه المدن .

(٦٥) البلادى : أنساب الأشراف ج ٣ ص ١٢٧ .
(٦٦) الخضرى : معاضرات تاريخ الأمم ص ١٩٥ .
(٦٧) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٩٧ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
أ / د / محمود على السمان	
نصب الفعل المضارع بعد الواو	١ - ٦٤
د / عوض مبروك عبد العزيز شحاته	
ثمر ملهنية ودوره فى الجهاد ضد البيزنطيين	٦٥ - ١٦٠
د / أحمد محمد الحسنى المفوفى	
تاء التانيك خصائصها وأغراضها	١٦١ - ٢١٢
د / وجيه عبد العزيز زياده	
خطبة الوداع من منظور عام الخطبة الجاهلية والإسلامية	٢١٣ - ٢٢٤
د / عبد الكريم أحمد فراج	
واقف، الشعب، عوب إزاء صراع الخارجين مع الدولة	٣٢٥ - ٣٩٨
د / أنس هارون عبد المجيد	
فهرس الموضوعات	٤٠٠

مطبعة الشريعة

طنطا - ميدان الساعة - ت : ٢٢٢٩٥٠

